الجامع في الهدايات القرآنية

سُورة الأنعام

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

أولاً: فضل سورة الأنعام:

من فضائلها أنها نزلت كلها دفعة واحدة، قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة، ليلا، دفعة واحدة، ومعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح. ويؤثر عن كعب الأحبار أنها فاتحة التوراة. وهي داخلة في عموم الفضل الذي ورد للسبع الطوال كحديث "من أخذ السبع الطوال فهو حبر " إسناده حسن، أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص١٢٠، والبيهقي في "الشعب" (٢٤١٥)، والبغوي في "شرح السنة" (١٢٠٣)، وفي تفسير عبد الرزاق "إنها نزلت ليلا بمكة معها خمسمئة ملك يزفونها ويحفونها" تفسير عبد الرزاق ٢/ ٤٠.

ثانياً: اسمها وسبب تسميتها بذلك:

الثابت لها هو مسمى سورة الأنعام، وقيل سميت بذلك؛ لأنها فصلت الحديث عن هذه الأنواع بطريقة متعددة الجوانب، متنوعة الأهداف. وقد تكرر لفظ الأنعام في تلك السورة ست مرات في أربع آيات. أما الآية الأولى فقد حكى القرآن فيها ما كانوا يفعلونه من قسمتهم الحرث والأنعام إلى قسمين: قسم جعلوه لله يتقربون به إليه عن طريق إكرام الضيف ومساعدة المحتاج. وقسم جعلوه لآلهتهم فذبحوه على الأنصاب، وأنفقوا منها على سدنتها وخدمها، ثم هم بعد ذلك العمل الباطل لا يعدلون في القسمة، يجورون أحيانا على القسم الذي جعلوه لله بينما يتحرزون عن الجور على القسم الذي جعلوه لشركائهم. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وأما الآية الثانية فقد ورد فيها لفظ «الأنعام» ثلاث مرات، وقد كشف القرآن فيها عن بعض أعمال المشركين

المنكرة، وهي أنهم جعلوا الأنعام ثلاثة أقسام: قسما لا يأكل منه عند ذبحه إلا سدنة الأوثان والرجال دون النساء. وقسما يحرم ركوبه كالبحيرة والسائبة والحامي، وقسما لا يذكرون اسم الله عليه عند الذبح وإنما يذكرون أسماء آلهتهم. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، وفي الآية الثالثة تحدث القرآن عن لون من ألوان ظلمهم وجهلهم، فقد كانوا يجعلون بعض ما في بطون أنعامهم إذا نزل حيّا كان خاصّا بالرجال دون النساء، وإذا نزل ميّتا فالرجال والنساء فيه شركاء. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، أما الآية الرابعة، فقد بين القرآن فيها جانبا من نعم الله على عباده، إذ جعل لهم من الأنعام أنواعا تذبح لينتفعوا بلحومها، وشحومها، وجلودها، وأنواعا تحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، وهناك آيات أخرى سوى هذه الآيات السابقة تناول الحديث فيها أحكاما أخرى تتعلق بالأنعام... (الوسيط في التفسير).

وسماها بعض العلماء سورة الحجة، لقول الله تعالى في وسطها تعقيبا على جدال إبراهيم عليه السلام لقومه ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ثالثاً: عدد آياتها ووقت نزولها:

عدد آياتها مائة وخمس وستون آية. أما وقت نزولها: فيغلب على الظن أن نزول سورة الأنعام كان في السنة الرابعة من البعثة النبوية الشريفة؛ وذلك لأن سورة الحجر التي نزلت قبلها فيها آية تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بدعوته وهي قوله- تعالى- ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

رابعاً: موضوعها:

هو العقيدة، والاحتجاج لها، وعرض الأدلة عليها من حياة الإنسان، ونظام الكون، ومجادلة الكفار، وإبطال شبهاتهم، وإقامة الحجة عليهم. وتقرر الحاكمية لله وحده، وتربط بين العبادة والحاكمية، فالله هو المعبود وحده، وهو الحاكم وحده. قال تعالى فيها ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ولذلك سميت بسورة التوحيد الكبرى.

خامساً: مناسبتها لما قبلها:

ووجه مناسبتها لآخر المائدة أنها افتتحت بالحمد، والمائدة اختتمت بفصل القضاء، وهما متلازمان، كما قال- سبحانه- ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥].

وقيل في وجه المناسبة: «إنه- تعالى- لما ذكر في آخر المائدة قوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، على سبيل الإجمال، افتتح- جل شأنه- هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ- سبحانه- بذكر خلق السموات والأرض، وضم- تعالى- إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن، ثم ذكر أنه خلق النوع الإنسان وقضى له أجلا، وجعل له أجلا آخر للبعث، وأنه- جل جلاله- منشئ القرون قرنا بعد قرن، ثم قال- تعالى- ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٢ – ١٣]، فأثبت أنه ملك جميع المظروفات لظرف الزمان، ثم ذكر- سبحانه- خلق سائر الحيوان من الدواب والطير، ثم خلق النوم واليقظة والموت، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الإنشاء والخلق لما فيهن من النيرين والنجوم وفلق الإصباح وفلق الحب والنوى، وإنزال الماء وإخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات إلى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن». (الوسيط بتصرف) ولِهَذِهِ السُّورَةِ أيْضًا اعْتِلاقٌ مِن جِهَةٍ بِالفاتِحَةِ لِشَرْحِها إجْمالَ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١]، وبِالبَقَرَةِ لِشَرْحِها إجْمالَ قَوْلِهِ سُبْحانَهُ:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، وبِآلِ عِمْرانَ مِن جِهَةِ تَفْصِيلِها لِقَوْلِهِ جَلَّ وعَلا ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وبِالنِّساءِ مِن جِهَةِ ما فِيها مِن بَدْءِ الخَلْقِ والتَّقْبِيحِ لِما حَرَّمُوهُ عَلى أزْواجِهِمْ وقَتْلِ البَناتَ وبِالمائِدَةِ مِن حَيْثُ اشْتِمالِها عَلى الأطْعِمَةِ بِأنْواعِها. روح المعاني.

سادساً: أغراض سورة الأنعام ومقاصدها:

أهم الأغراض التي عالجتها السورة هي بيان أبرز قضايا الإيمان التي كان ينازع فيها المشركون، وهي: أولاً: بيان التوحيد والوحدانية لله تعالى: فاستهلت السورةُ ببيان أن المستحق للحمد هو الله تعالى وحده، فهو تعالى المتصف بصفات الكمال والجلال وهو المحمود ولا يزال على ما أبدى من النعم وأسدى من الكرم، خلق هذا الكون بما فيه من مخلوقات لا يحصيها عددا إلا هو، وجعل الظلمات والنور الحسية منها والمعنوي لحكم بالغة. كما تحدثت عن إبطال ما كان عليه المشركون من تصورات فاسدة في قضية التحريم والتحليل، التي أخضعوها لأهوائهم وتقاليدهم الراكدة، بدون حجةٍ أو برهانٍ، بل مجرَّد الافتراء والتَّقَوُّلِ على الله تعالى بغير علمٍ. وفي السورة الكريمة كذلك تفنيدٌ لشبهاتهم وردٌّ على مطالبهم المتعنتة واقتراحاتهم العجيبة. كما بينت بيان أسبابِ صدودِ المشركين وإعراضِهم عن الحق وغفلتِهم عن السننِ، وأن الهدايةَ من الله تعالى يوفقُ إليها ويعينُ عليها كلَّ من طلبها بصدقٍ وسلك سبيلها بإخلاصٍ وتجرُّدٍ. كما اشتملت السورة على كثيرٍ من الآيات الكونية التي تشهد لله تعالى بكمال قدرته وجمال صنعه وروعةِ مخلوقاتِهِ وعظمةِ سلطانه. فاشتملت هذه السورة على قواعدِ التوحيدِ، قال أبو إسحاق الإسفرائيني: " في سورة الأنعام كلّ قواعد التوحيد. وموعظة المعْرضين عن آيات القرآن، والمكذّبين بالدين الحقّ، وتهديدهم بأن يحلّ بهم ما حلّ بالقرون المكذّبين من قبلهم والكافرين بنعم الله تعالى، وأنّهم ما يضرّون بالإنكار إلاّ أنفسهم. وإثبات صدق القرآن بأنّ أهل الكتاب

يعرفون أنّه الحقّ". ثانياً: اثبات الوحي والرسالة والرد على شبهات المشركين بالأدلة القاطعة: فبينت الحكمة من إرسال الرسل، وأن مهمتهم التبليغ عن الله تعالى ودعوة الناس إلى الدين الخالص، وأن الله تعالى يؤيدهم بالحجج والبراهين، والآيات الدالة على صدقهم. وضرب المثل للنبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بمثل إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع أبيه وقومه؛ وكان الأنبياء والرسل على ذلك المثل من تقدّم منهم ومن تأخّر. كما تحدثت السورة عن نزول التوراة هدى ونورا، وتفصيلا وبيانا، ونزول القرآن الكريم مباركا ومصدقا لما بين يديه وتفصيل كلِّ شيء، فهو الرسالة الخاتمةُ المتممةُ والحُجةُ القائمةُ، والمعجزةُ الدائمة، وهو الدستورُ الخالدُ، والمنهاجُ الراشدُ، والسبيلُ الواضحُ المتفرِّد، والخطابُ المتجدِّد. وفي ضمنه الحديث عن الملائكة عليهم السلام وبعضِ مهامِّهم وأحوالهم. كما تضمنت السورة الكريمة جملةً من السنن الكونية مثل سنة التمكين وسنة الاستدراج، وسنة إهلاك المكذبين وسنة تولي الظالمين " تسلط بعضهم على بعضٍ، وتحالفهم، وتعاقبهم، وسنة الصراع بين الحق والباطل " وغيرها من السنن الربانية التي تُعدُّ أساسًا ونبراسًا على طريق الدعوة والإصلاح. ثالثاً: إثبات البعث والحساب والجزاء يوم القيامة: وختمت السورة بالوصايا الخالدة الراشدة، الجامعة لأصول الدين ومعالم الشريعة ومكارم الأخلاق. وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدّها مقارعة وجدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وفيما حرّموه على أنفسهم ممّا رزقهم الله. وفي صحيح البخاري أنّ ابن عبّاس قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد جمع سبحانه في هذه السورة وفي الأعراف وفي غيرهما ذنوب المشركين في نوعين: أحدهما: أمر بما لم يأمر الله به كالشرك، ونهي عما لم ينه الله عنه كتحريم الطيبات؛ فالأول شرع من الدين ما لم يأذن به الله. والثاني: تحريم لما لم يحرمه الله"

(مجموع الفتاوى ١/٨٦-٨٧)، ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن سورة الأنعام قد عرضت ما عرضت في أسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بتلك الكثرة في غيرها من السور: أما الأسلوب الأول فهو أسلوب التقرير، فهي تورد الأدلة المتعلقة بتوحيد الله وتفرده بالملك والتصرف، والقدرة والقهر، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]،... إلخ. هذا هو أحد الأسلوبين. أما الأسلوب الثاني فهو أسلوب تلقين الحجة، والأمر بقذفها في وجه الخصم حتى تأخذ عليه سمعه، وتملك عليه قلبه، وتحيط به من جميع جوانبه فلا يستطيع التفلت منها، ولا يجد بدا من الاستسلام لها. ففي حجج التوحيد والقدرة قال:﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، هذان الأسلوبان: (هو كذا) و (قل كذا) قد تناوبا معظم ما تضمنته هذه السورة من الحجج وقضايا التبليغ، وهما وإن جاءا في غيرها من سور القرآن إلا أنهما وخاصة الأسلوب الثاني وهو أسلوب: (قل كذا) لم يوجد في غيرها بهذه الكثرة التي نراها في هذه السورة، وهما بعد ذلك: أسلوبان من أساليب الحجة القوية التي تدل على قوة المعارضين وإسرافهم في المعارضة، وأنهم بحالة تستوجب تلك الشدة التي تستخرج الحق من نفوسهم. ويدل الأسلوبان من جهة أخرى على أنهما صدرا في موقف واحد، وفي مقصد واحد، لخصم واحد بلغ من الشدة والعتو مبلغا استدعى من القوي القاهر تزويد المهاجم بعدة قوية تتضافر أسلحتها في حملة شديدة يقذف بها في معسكر الأعداء فتزلزل عمده، وتهد من بنيانه فيخضع للتسليم بالحق الذي يدعى إليه. ومن هنا كانت سورة الأنعام بين السور المكية، ذات

شأن كبير في تركيز الدعوة الإسلامية، تقرر حقائقها، وتفند شبه المعارضين لها، واقتضت لذلك الحكمة الإلهية أن تنزل- مع طولها وتنوع آياتها- جملة واحدة وأن تكون ذات امتياز خاص لا يعرف لسواها كما قرره جمهور العلماء. (محمود شلتوت). تفسير القرآن العظيم ص ٣٩٨).

سابعاً: الهدايات التي وردت في السورة:

قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١].

١. فيها أنه لَمّا كانَتْ نِعَمُهُ سُبْحانَهُ وتَعالى مِمّا تَفُوتُ الحَصْرَ ولا يُحِيطُ بِها نِطاقُ العَدِّ إلّا أنَّها تَرْجِعُ إجْمالًا إلى إيجادٍ، وإبْقاءٍ في النَّشْأةِ الأُولى، وإيجادٍ وإبْقاءٍ في النَّشْأةِ الآخِرَةِ، وأُشِيرَ في الفاتِحَةِ الَّتِي هي أُمُّ الكِتابِ إلى الجَمِيعِ، وفي الأنْعامِ إلى الإيجادِ الأوَّلِ، وفي الكَهْفِ إلى الإبْقاءِ الأوَّلِ وفي سَبَإٍ إلى الإيجادِ الثّانِي، وفي فاطِرٍ إلى الإبْقاءِ الثّانِي ابْتُدِئَتْ هَذِهِ الخَمْسُ بِالتَّحْمِيدِ.

٢. فيها مِنَ اللَّطائِفِ أنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى جَعَلَ في كُلِّ رُبْعٍ مِن كِتابِهِ الكَرِيمِ المَجِيدِ سُورَةً مُفْتَتَحَةً بِالتَّحْمِيدِ.

٣. تفيد منزلة ومكانة الحمد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾، وختمه بالحمد فقال: ﴿ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥]، أي: بين الخلائق.

٤. حمد الله على نعمة خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور يحفز على البحث، والعلم بالكونيات، والنظر والتفكر فيها، ومعرفة حقيقتها وحاجتها للخالق للوقاية من الانحراف العقدي واتخاذها معبودات مساوية للخالق جلا وعلا.

٥. فيها الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية وهذه من القواعد الثابتة في القرآن الكريم؛ قال ابن عاشور: عُطفت جملة ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾، على جملة: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ ف ﴿ ثُمَّ ﴾ للتراخي الرتبي الدالّ على أنّ ما بعدها يتضمّن معنى

من نوع ما قبله، وهو أهمّ في بابه. وذلك شـأن (ثم) إذا وردت عاطفة جملة على أخرى، فإنّ عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنّه خالق الأشياء أمر غريب فيهم أعجب من علمهم بذلك. والحجّة ناهضـــة على الذين كفروا لأنّ جميعهم عدا المانوية يعترفون بأنّ الله هو الخالق والمدبّر للكون.

٦. عدم ذكر فاعل الحمد إيذان بأنه سبحانه محمود، سواء حمده الناس، أم لم يحمدوه.

٧. فيهـا أن جميع المحامـد ثابتـة لله جـل وعلا؛ لأن الألف واللام في قولـه: " ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق، فهو أهل للثناء الحسن، والذكر الجميل؛ لأنه المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن النقص وجوباً، الكامل النعمة على عباده.

٨. فيها تعليم للخلق أن يثنوا على الله بما أثنى جل وعلا على نفســـه، فهي تدل على وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله.

٩. إسناد الحمد لله خبر منه تعالى، والعبد يتلوه مؤمناً به فيكون حامداً له.

١٠. فيها دلالة على أن خالق الســـماوات والأرض، وجاعل الظلمات والنور التي هي من صفاته الفعلية، مستحق لكل حمد ولكل ثناء جميل، فأثنى الحقّ ـ جلّ جلاله ـ على نفسه بإنشاء هذه العوالم العظيمة، التي هي محل ظهور عظمته، وجلاله وجماله وبهائه. قال الســـعدي:" هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصـــفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموما، وعلى هذه المذكورات خصـوصـا، فحمد نفسـه على خلقه السـماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وســـعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شـامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشـمس والقمر. والمعنوي، كظلمات الجهل، والشـــك، والشـــرك، والمعصـــية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له".

١١. فيها الإشارة إلى عظم وجمال وكمال خلق السموات والأرض حيث أنشأهما على نمط فائق في الجمال والكمال، منطويتين على أنواع من البدائع وأصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والأفكار.

١٢. تفيد أن من أوجد الكون كلّه، جواهر وأعراض، فالجواهر السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، والأعراض الظلمة والنور هو المستحق للعبادة دون غيره، فأبطل بهذا عبادة الأجسام كالأصنام والملائكة والأنبياء، وعبادة الأعراض كالظلمة والنور.

١٣. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ جمع الظلمات، وإفراد النور يدل على تعدد طرق الضلال، وأن طريق الهداية واحد كما قال تَعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

١٤. قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ التفرقة بين فعل (خلق) وفعل (جعل) هنا معدود من فصاحة الكلمات، وإنّ لكلّ كلمة مع صاحبتها مقاماً، وهو ما يسمّى في عرف الأدباء برشاقة الكلمة ففعل (خلق) أليْق بإيجاد الذوات، وفعل (جعل) أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظامها. (التحرير والتنوير)

١٥. تفيد أن أهل التوحيد يحمدون الله حباً وتعظيماً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين فإن ما في قلوبهم من محبة الله لا يماثله فيه غيرها، ولهذا كان الرب محمودا حمدا مطلقا على كل ما فعله؛ وحمدا خاصا على إحسانه إلى الحامد، فهذا حمد الشكر، والأول حمده على ما فعله كما قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، والحمد ضد الذم، والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، ولا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة، فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو سبحانه المعبود المحمود، ولهذا كانت

الخطب في الجمع والأعياد وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين: تحميده وتوحيده، وأفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله.. (طريق الوصول ٢١١)

١٦. قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ الاقتصار في ذكر المخلوقات على هذه الأربعة فيه تعريض بإبطال عقائد كفار العرب فإنّهم بين مشركين وصابئة ومجوس ونصارى، وكلّهم قد أثبتوا آلهة غير الله؛ فالمشركون أثبتوا آلهة من الأرض، وَالصابئة أثبتوا آلهة من الكواكب السماوية، والنصارى أثبتوا إلهية عيسى، أو عيسى ومريم وهما من الموجودات الأرضية، والمجوس وهم المانوية ألّهوا النور، والظلمة، فالنور إله الخير والظلمة إله الشرّ عندهم، فأخبرهم الله تعالى أنّه خالق السماوات والأرض، أي بما فيهم، وخالق الظلمات والنور. (ابن عاشور)

١٧. في إيثار الظلمات والنور بالذكر دون غيرهما من الأعراض إيماء وتعريض بحالِي المخاطبين بالآية من كفر فريق، وإيمان فريق، فإنّ الكفر يشبه الظلمة؛ لأنّه انغماس في جهالة وحيرة، والإيمان يشبه النور لأنّه استبانة الهدى والحقّ. (التحرير والتنوير)

١٨. تفيد التنويه للعباد بنعمة الظلمات المتمثلة في الليل، والنور المتمثلة في النهار، فكما أن خلق السموات والأرض وما بينهما لكونه أثرا عظيما، ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمرا خطيرا، ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما.

١٩. فيها بيان ضلال الكافرين والمشركين، وسفه عقولهم فمع قوة الدليل ووضوح البرهان تجد﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه.

٢٠. التعبير ب ﴿ ثُمَّ ﴾ للدلالة على قبح فعل الكافرين لأن المعنى: أن خلقه السماوات والأرض قد تقرر وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد ذلك كله عدلوا بربهم، فهذا

كما تقول: يا فلان، أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني، ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه بثم.

٢١. التعبير ب ﴿ ثُمَّ ﴾ يدل على استبعاد الشرك بعد ظهور ما ذكر من بيان من قوله:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ التي تُظِلُّكم، مشتملة على الأنوار التي تضيء عليكم، ومحلاً لنزول الرحمات والأمطار عليكم، {و} خلق {الأرض} التي تُقلُّكم، وفيها نبات معاشكم في العادة، وفيها قراركم في حياتكم وبعد مماتكم، مشتملة على بحار وأنهار، وفواكه وثمار، وبهجة أزهار ونوار،﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ التي تستركم، راحة لأبدانكم وقلوبكم، كظلمات الليل الذي هو محل السكون. { و } جعل { النور } الذي فيه معاشكم وقوام أبدانكم وأنعامكم.: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ بعد هذا كله،: ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ عنه إلى غيره، أو يعدلون به سواه، فيُسوّونه في العبادة معه فيا للعجب.

٢٢. قوله: ﴿ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ بيان لقبح من كفروا به، وهو ربهم المحسن إليهم بكل أنواع النعم، الذي لم يروا إحساناً إلا منه.

٢٣. تدل على كمال قدرته جل وعلا على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته، وعظيم سلطانه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢]

٢٤. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر في الآية الأولى أن الله- تعالى- هو المستحق للعبادة والحمد، وعلى أن يوم القيامة حق، تحدث هنا عن أصل خلق الإنسان. قال القرطبي: وبالجملة لما ذكر جل وعز خلق العالم الكبير ذكر بعده خلق العالم الصغير وهو الإنسان، وجعل فيه ما في العالم الكبير، على ما بيناه في " البقرة " في آية التوحيد، والله أعلم.

٢٥. فيها: أتي بضمير (هو) في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ﴾ ليحصل تعريف المسند والمسند إليه معاً، فتفيد الجملة القصر في ركني الإسناد وفي متعلّقها، أي هو خالقكم لا غيره، من طين لا من غيره، وهو الذي قضى أجلاً وعنده أجل مسمّى فينسحب حكم القصر على المعطوف

على المقصور. والحال الذي اقتضى القصر هو حال إنكارهم البعث؛ لأنّهم لما أنكروه وهو الخلق الثاني نزّلوا منزلة من أنكر الخلق الأول إذ لا فرق بين الخلقين؛ بل الإعادة في متعارف الصانعين أيسرُ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧]، (التحرير والتنوير)

٢٦. يفيد الاستئناف في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ غرضاً آخراً وهو التعجيب من حال المشركين إذ أنكروا البعث، فإنّه ذكّرهم ابتداء بخلق السماوات والأرض، وعجّب من حالهم في تسويتهم ما لم يخلق السماوات ولا الأرض بالله تعالى في الإلهيّة. ثم ذكّرهم بخلقهم الأول، وعجّب من حالهم كيف جمعوا بين الاعتراف بأنّ الله هو خالقهم الخلق الأول فكيف يمترون في الخلق الثاني.

٢٧. فيها التأكيد على تفرد الله سبحانه وتعالى بالخلق، وذلك من خلال أسلوب القصر الموجود في الآية بتعريف الطرفين المبتدأ والخبر: (هو) مبتدأ وهو معرفة ضمير عائد على الله جل جلاله (الذي) خبر وهو معرفة لأنه اسم موصول.

٢٨. يفيد نسبة الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم- عليه السلام- وهو المخلوق منه حقيقة لتوضيح منهاج القياس، والمبالغة في إزاحة الاشتباه والالتباس، مع ما فيه من تحقيق الحق، والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه- عليه السلام- منه، حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه؛ بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد البشر انطواء إجماليا، فكان خلقه- عليه السلام- من الطين خلقا لكل أحد من فروعه، ذكره ابن عاشور.

٢٩. في الآية إشارة إلى أن أصل خلق بني آدم من طين والطين من تراب.

٣٠. تفيد الأمر بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة؛ لأن الخالق هو المستحق للعبادة.

٣١. في خلق الإنسان من طين دليل على قدرة الله عز وجل، وإبداعه في صنعه، لأن الإيجاد من العدم من الآيات الكبرى الدالة على عظمته سبحانه وقدرته.

٣٢. الخطاب في قوله ﴿خَلَقَكُم﴾ موجّه إلى الذين كفروا، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب لقصد التوبيخ.

٣٣. يفيد ذكر مادّة ما منه الخلق بقوله: ﴿ مِّن طِينٍ ﴾ لإظهار فساد استدلالهم على إنكار الخلق الثاني، لأنّهم استبعدوا أن يعاد خلق الإنسان بعد أن صار تراباً. وتكرّرت حكاية ذلك عنهم في القرآن، فقد اعترفوا بأنّهم يصيرون تراباً بعد الموت، وهم يعترفون بأنّهم خلقوا من تراب، لأنّ ذلك مقرّر بين الناس في سائر العصور، فاستدلّوا على إنكار البعث بما هو جدير بأن يكون استدلالاً على إمكان البعث، لأنّ مصيرهم إلى تراب يقرّب إعادة خلقهم، إذ صاروا إلى مادة الخلق الأوّل، فلذلك قال الله هنا ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ وقال في آيات الاعتبار بعجيب تكوينه ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]، وأمثال ذلك. وهذا القدح في استدلالهم يسمّى في اصطلاح علم الجدل القولَ بالموجَب، والمنبّهُ عليه من خطأ استدلالهم يسمّى فساد الوضع. (التحرير والتنوير)

٣٤. فيها: تنويه بضعف الإنسان، ومع ذلك يخاصم في التوحيد، وكان الواجب أن يذعن للخالق؛ قال الله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧]،

٣٥. وفيها ذكر مادة خلق الإنسان تنبيه إلى أنه ينبغي عليهم أن يتواضعوا لأن الإنسان مخلوق من طين، فليتذكر أصله إذا أراد أن يتعالى على غيره.

٣٦. فيها: عطفت الجملة الكريمة ب(ثم)، للإشارة إلى أطوار خلق الإنسان المختلفة، فهو في أصله من سلالة من طين، ثم يصيره الله- تعالى- نطفة، فعلقة، فمضغة، فعظاما، ثم يكونه- سبحانه- وتعالى خلقا آخر.

٣٧. فيها كذلك دليل من وجه آخر على البعث؛ لأن من قدر على إحياء ما لم يشمَّ رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها مدةً أظهرَ قدرة.

٣٨. فيها بيان كمال قدرة الله وإبداعه؛ لأنّه إذا جاز أن ينقلب الطين إنساناً حياً قادراً عليماً جاز أن ينقلب إلى كل حال من أحوال الجواهر إذ صح انقلاب الجماد إلى حيوان.

٣٩. قوله ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ فيها أن الله قد قدر المقادير، وعلينا الإيمان بالقدر خيره وشره.

٤٠. فيها دلالة على أن كل من مات بأي صفة كانت مقتولا، أو غريقا أو شهيدا أو غير ذلك فقد استوفى أجله.

٤١. تفيد أن لكل إنسان أجلا لا يتقدم ولا يتأخر.

٤٢. يفيد تقديم وتنكير لفظ " أجل" في قوله تعالى﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ كما ذكر غير واحد تعظيم شأن البعث.

٤٣. تفيد أن الله قد قضى أجل العباد وأجل الدنيا في كتاب عنده لا يعلمه إلا هو.

٤٤. تفيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ومن ذلك علم الساعة؛ لقوله: ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لا عند غيره.

٤٥. فيها: إشارة إلى اللوح المحفوظ؛ لقوله: ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾.

٤٦. تفيد: الإيمان بالبعث، وأن كل مخلوق سيفنى.

٤٧. قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ فيها توبيخ لأولئك القوم الذين عرفوا أصلهم، ومن أين أتوا، ومع ذلك يشككون في الأجل.

٤٨. قوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ جاء العطف ب(ثم) لبيان التفاوت الكبير بين الحقائق الثابتة الناصعة، وبين ما سولته لهم أنفسهم من المجادلة فيها.

٤٩. تفيد: أن أكثر الخلق في النار؛ لأنهم شكوا في البعث؛ يفهم من قوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ أي تشكون في البعث؛ فخرج الكلام مخرج الغالب، والنادر لا حكمه له.

٥٠. فيها: حذف متعلّق ﴿ تَمْتَرُونَ ﴾ لظهوره من المقام، أي تمترون في إمكان البعث وإعادة الخلق، والذي دلّ على أنّ هذا هو المماري فيه قوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ إذ لولا قصد التذكير بدليل إمكان البعث لما كان لذكر الخلق من الطين وذكر الأجل الأول، والأجل الثاني مُرجّح للتخصيص بالذكر. (أفاده ابن عاشور)

٥١. فيها التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣]

٥٢. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنّه لما كان الحديث عن خلق السموات والأرض وخلق الناس، بينت هذه الآية إحاطة علم الله تعالى بهذا المخلوق واطلاعه على أحواله.

٥٣. يفيد قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ تعريف ركني الجملة قصر الألوهية فيه جل وعلا. قال ابن عثيمين: ﴿الله﴾ علَم على الرب عز وجل، لا يكون لغيره، وهذا متفق عليه بين المسلمين. وهو علَم مشتق من الألوهية، وأصله (الإله)، واعلم أن جميع أسماء الله مشتقة كما هو ظاهر وليس هناك اسم جامد لله عز وجل أبدًا.

٥٤. إيثار اسمه الأعظم ﴿ ٱللَّهُ ﴾ للدلالة على عظيم شأن الألوهية، وأن أكثر البرية يجحدونه؛ وعليه: فالمعول عليه في الدعوة إلى الله، توحيد الألوهية لا الربوبية، لأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر؛ فجميع الناس مذعنون لكونه ربا، ولكن قلة منهم خضوا لكونه إلها.

٥٥. يفيد قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أن الله تعالى هو المنفرد بالألوهية في السماوات والأرض.

٥٦. يفيدقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أن لله عبادا في السماء يعبدونه، وكذلك في الأرض؛ فهو معبود رغم أنف من أبى.

٥٧. يفيد جمع السموات في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بأنه هو الإله وهو المعبود في كل واحدة من السماوات ففي كل واحدة من هذا الجنس هو المألوه المعبود فذكر الجمع هنا أبلغ وأحسن من الاقتصار على لفظ الجنس الواحد.

٥٨. قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ تفيد سعة علم الله تعالى، وإحاطته بما دق وجل، وبما خفي، واستسر، أو ظهر واستعلن.

٥٩. قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ تفيد التحذير من معصية الله؛ لأن الذي يستوي عنده علم السر، والجهر يجب أن يُتقى ويُخاف؛ فلا يرانا حيث نهانا، ولا يفقدنا حيث أمرنا.

٦٠. تفيد: أن من لم يعلم السر، والجهر، وما يكسبه الآدمي، لا يصلح أن يكون إلها.

٦١. تقديم السـر على الجهر يفيد ضـرورة الاعتناء بأعمال الباطن، وصـلاح القلوب؛ فعليها المدار، وقد روى مسلم في الصـحيح أن النبي صـلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

٦٢. في الآية تنبيه على اطلاع الله تعالى لما نكسبه فينبغي مراقبته والخشية منه.

٦٣. تفيد الحياء والتعظيم والخوف من الله عز وجل لأنه يعلم السر وأخفى.

٦٤. ذكر السرّ لأنّ علم السرّ دليل عموم العلم، وذكر الجهر لاستيعاب نوعي الأقوال.

٦٥. فيها رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ فنسب الكسب إليهم.

٦٦. يفيد قوله ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾ أي جميع الاعتقادات والأعمال من خير وشر فهو تعريض بالوعد والوعيد. (التحرير والتنوير)

٦٧. تفيد أن الاعتقادات الداخلية التي يخفيها الإنسـان عن غيره هي جزء من أعماله التي سيطلع الله سبحانه وتعالى عليها.

٦٨. فائدة التذييل بقوله: ﴿ تَكۡسِبُونَ ﴾ يفيد: بأن الكسب: يكون بالسر والجهر؛ فالسر أعمال القلوب، والجهر أعمال الجوارح؛ ألا ترى أنه قال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾ [الأنعام: ٤]

٦٩. يفيد العدول عن الخطاب إلى الغيبة بالنسـبة إليهم التفات أوجبه تشـهيرهم بهذا الحال الذميم، تنصيصا على ذلك، وإعراضا عن خطابهم، وتمحيصا لخطاب المؤمنين، وهو من أحسن الالتفات، لأن الالتفات يحسـنه أن يكون له مقتض زائد على نقل الكلام من أسـلوب إلى أسلوب المراد منه تجديد نشاط السامع. (التحرير والتنوير).

٧٠. التعبير بالمضـارع ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم ﴾ يدل على كثرة ما يأتيهم من الآيات الدالة على أنه دين الله الحق،كما تدل على عموم التكذيب للآيات مهما كانت، وليس عندهم أي اسـتعداد لترك الباطل، والإيمان بالله وحده.

٧١. يدل قوله:﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ على شدة عتوهم وتجبرهم وإعراضهم، وهل هناك أعظم من انشقاق القمر حسيا أمام أعين كفار قريش عندما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم؟

٧٢. يفيد كثرة الإتيان بالآيات حكمته ورحمته عز وجل؛ ولذا لم يرسل رسلا بلا آيات.

٧٣. فيها تأكيد تكذيبهم بكل الآيات، وهذا مستفاد من المجيء بمن في قوله ﴿ مِّنۡ ءَايَةٖ ﴾ وهي مزيدة للتأكيد.

٧٤. فيها: إثبات ربوبية الله سبحانه للكفار ﴿ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾،وهذه هي الربوبية العامة.

٧٥. قوله ﴿ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾،في إضافة الآيات إلى اسم الرب- عز وجل- دلالة على تفخيم شأنها، وعلى أن تكذيبهم لها إنما هو تكذيب لما عرفوا مصدره.

٧٦. كذلك إضافة الآيات إلى الرب سبحانه وتعالى يدل على أن إنزال الوحي، وبعثه للرسل وتأييدهم، وهدايته للخلق بهم من مقتضي ربوبيته، فهو السيد المالك المدبر لخلقه المربي لهم، وأن ذلك لا يقدر عليه غيره، فالذين يؤمنون بالرب ولا يؤمنون بكتبه ورسله يجهلون قدر ربوبيته، وعظيم حكمته ورحمته بخلقه.

٧٧. تفيد الآية بيان أن الإعراض عن الحق دأبهم، يدل على ذلك أسلوب الحصر في الآية، وكذلك اشتمالها على "كان" وخبرها المفيد للدوام.

٧٨. فيها: خطورة الإعراض عن الآيات البينات الواضحات وعقوبة ذلك.

٧٩. فيها أن المشركين كما لا ينتفعون بالآيات الثابتة في الآفاق، لا ينتفعون كذلك بالآيات المتلوة المتجددة في الدعوة للهداية والمرشدة إلى آيات الكون، فيقابلونها كذلك بالإعراض وعدم التدبر لمعناها.

٨٠. تفيد أن المعرضين مراتب ودرجات، أسوأهم من جمع المراتب الثلاثة؛ فإن المعرض عن التدبر في الآيات والبينات قد لا يكون مكذباً به، بل يكون غافلاً غير متعرض له، فإذا صار مكذباً فقد زاد في الإعراض، والمكذب بالشيء قد لا يبلغ حد الاستهزاء فإذا بلغه بلغ الغاية في الإنكار.

٨١. تفيد أن هذا الدين محارب للتقليد الذي يسبب عدم النظر في الآيات، والاستدلال بها، فالإسلام دين مبني على أساس الدليل والبرهان لا كالأديان المبنية على التقليد للأحبار والرهبان والكهان، فهو يدعو إلى النظر، ويذم الإعراض.

قال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ٥]

٨٢. فيها أن تكذيب الحق بعد مجيئه أشد من التكذيب به قبل مجيئه.

٨٣. تفيد الفاء في قوله تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾أن الله جعل للحق ما يؤيده وينصره من الحجج والبينات الدالة على صدقه، وأن الإعراض عن النظر في هذه العلامات الدالة عليه سبب في التكذيب به، ولا يكون مثل هذا الإعراض إلا عن عناد ومكابرة.

٨٤. فيها: الحكم لمن قامت عليه الحجة من إتيان الحق إليه.

٨٥. قوله ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فيها: عظم حلم الله عز وجل بإمهالهم، مع التأكيد على أن عقابه سيحل بهم، وإن تأخر زمانه

٨٦. فيها: التهديد الشديد لهم بالعذاب؛ لأن تكذيبهم مقرون بالاستهزاء والعناد، والحق أحق أن يتبع.

٨٧. تفيد بيان قبح صنيع الكفار حيث جمعوا بين الإعراض والتكذيب والاستهزاء، بما يوضح مدى إنكارهم وإعراضهم.

٨٨. كان تكذيبهم مقرونا بالاستهزاء وهذا من أسوأ الكسب الذي كسبوه، لأن الاستهزاء له آثاره النفسية المدمرة بالنسبة للمستهزأ به، ولذلك كان صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستهزاء من أعظم أنواع الصبر.

٨٩. تفيد أن من أراد الهداية فعليه بالإقبال على تعلم القرآن والانتفاع بهديه القويم، وعدم الإعراض عن النظر والتأمل فيه.

٩٠. تفيد أنه لولا إعراض المشركين عن آيات الله لظهرت لهم الحجة، وبانت لهم المحجة على توحيد الله وصدق رسوله.

٩١. تفيد أن التكذيب بالحق الذي هو القرآن الكريم سببه الإعراض عنه، فلو آمنوا به لأقبلوا عليه.

٩٢. تفيد أن المكذب بالحق لابد أن يذوق وبال تكذيبه.

٩٣. قوله ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ تفيد أن الاستهزاء والسخرية بالدين من موجبات العذاب وقرب وقوعه.

٩٤. فيها ما يدل على إعجاز القرآن حيث تحقق ما وعد الله به رسوله والمؤمنون، فحلَّ بهم القحط، وهزموا شر هزيمة في بدر ثم تم ذلك في يوم الفتح.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦]

٩٥. فيها دعوة إلى النظر، والاعتبار في سنن الله في الأمم الماضية، والعظة بهلاك الماضين، ونهاية الظالمين في قوله: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾، والرؤية اعتباريه حيث أهلك الله قوم نوح وعاد وثمود، وسفينة نوح مازالت باقيه حتي رآها أوائل هذه الأمة، وقري قوم سيدنا صالح مازالت ماثلة، وقد أمر صلي الله عليه وسلم الصحابة أن يتجاوزوها مسرعين، وأن يدخلوها باكين، للعظة والعبرة.

٩٦. تفيد الحث على الاعتبار بهلاك الأمم السالفة الظالمة.

٩٧. قوله ﴿ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ تفيد أن التمكين في الأرض ابتلاء يحتاج إلى شكر وطاعة؛ فإن عصوا جاء الهلاك بعده، كم من قوم سهّل الله لهم أبواب المعاش، ويسر عليهم أسباب الانتعاش، ولكنهم وطنوا على كواذب المنى قلوبهم، وجعلوا الدنيا مطلوبهم، وباتوا غافلين عن أن لله تعالى سننًا من الانتقام يقضيها على أعدائه، حتى فتح لهم من بواطن التقدير ما فيه آلامهم، ومن غوامض التدبير ما هدم أحلامهم.

٩٨. يفيد قوله ﴿ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب أن المخاطبين أقل شأنا، أضعف سلطانا، وهذا يعني أن إهلاكهم أهون وأسهل على أن الله سبحانه يستوي عنده إهلاك الأقوياء والضعفاء، ولكنه الجري على أساليب العرب في الخطاب.

٩٩. تفيد أن الذي يمكن في الأرض هو الله تعالى وحده، وكل تمكين ولو للمجرمين من وراءه حكم ودروس وعبر.

١٠٠. التمكين في الأرض لن تفلت به القرون من العقوبة متى حادت عن الله فما كان التمكين إلا بالله، ولن تنجو بغير الله، فمن فقه أدرك أن الذنوب كانت سببا في زوال أعظم الحضارات.

١٠١. تفيد أن القرون السالفة كانوا أشد منا قوة، وأكثر جمعا، وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء في الارض وعمارة لها لقوله﴿ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ أي من الأموال، والأولاد، والأعمار، والجاه العريض والسعة والجنود.

١٠٢. تفيد عدم الاغترار بالتمكين في الأرض لأعداء الله، وأن هذا لا يدل على رضاه تعالى عنهم.

١٠٣. تفيد أن وفرة المياه هي من أعظم أسباب رفاهية القرون ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارًا ﴾ .

١٠٤. تفيد أن الذي يرسل السماء بالمطر، ويجري الأنهار، ويخرج النعم هو المستحق للعبادة دون سواه.

١٠٥. تفيد أن النعم قد تكون استدراجا وإملاء للعباد.

١٠٦. تفيد أن من أجل النعم التي تستوجب الشكر استدامة هطول الأمطار.

١٠٧. تفيد أن قوام الحياة بالزراعة، ولذلك يمتن الله على عباده بإنزال الماء في مواضع كثيرة من القرآن العظيم، وفي ذلك إشارة إلى أن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يركز على الزراعة لتحقيق الاكتفاء ثم التصدير.

١٠٨. قوله ﴿ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾ فيها تهديد من الله للمكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم، بأن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من قبلهم، وقد رأيتم ذلك.

١٠٩. تفيد عظمة الله تعالى حيث أهلكهم مع ما عندهم من القوى والإمكانات.

١١٠. تفيد بأن الله له القدرة التامة، والملك التام، والسلطان، والقهر وذلك بإهلاك قوم وإنشاء آخرين، فسبحان الله القوي القاهر العظيم.

١١١. تفيد أن هلاك الأمم كان بسبب ذنوبهم، فما من مصيبة إلا بذنب ﴿ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾، والذنوب التي يهلك الله بها الأمم قسمان: أحدهما: معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به. وثانيهما: كفر النعم بالبطر والأشر، وغمط الحق، واحتقار الناس، وظلم الضعفاء، ومحاباة الأقوياء، والإسراف في الفسق والفجور.

١١٢. تفيد التحذير للمكذبين أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة.

١١٣. قوله ﴿ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ ﴾ فيها: أن الجزاء من جنس العمل.

١١٤. فيها هوان وضعف العباد مهما بلغوا من القوة.

١١٥. تفيد أن الذنوب تُذهب الخيرات التي تأتي من السماء، والتي تجرى في الأرض، وإذا أردتم العبرة فانظروا للقرون السالفة.

١١٦. تفيد أن استخلاف القرون ليتعظوا بمن سبقهم كما قال تعالى: ﴿ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي جيلا آخر لنختبرهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم فما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذي كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه.

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأنعام: ٧]

١١٧. قوله ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا ﴾ تدل هذه الآية على علو مكانة القرآن الكريم.

١١٨. فيها الدلالة على علو الله تعالى لقوله ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا ﴾

١١٩. قوله ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا ﴾ فيها أن الدليل المادي أقوي الأدلة.

١٢٠. قوله ﴿ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٖ ﴾ فيها إشارة خفيه، ولطيفة إلى كتابة القرآن، وحفظه في القراطيس.

١٢١. فيها إشارة إلى الأساليب التي يجب أن تستخدم في الدعوة، والتعليم من تمثيل وبيان.

١٢٢. قوله ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ذكر اللمس في الآية أبلغ من ذكر الرؤية ففي ذكر اللمس إبعاد للآية عن السحر؛ لأن السحر يتخيل في المرئيات دون الملموسات كما أن اللمس حاسة يشترك فيها الجميع حتى الأعمى كما أن في ذكر اللمس إفادة تأكيد.

١٢٣. قوله ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ فيها شدة تكذيب وعناد الكافرين.

١٢٤. فيها: أن المعجزات الواضحات، والأدلة الحسية لا تزيد الكافرين إلا عنادا واستكبارا وإصرارا على ما هم عليه من الكفر والضلال.

١٢٥. فيها تطيب لخاطر النبي الكريم، وتسلية له، لأن القوم من شأنهم التكذيب مهما أتاهم من الآيات.

١٢٦. فيها أن الكافر المعاند للحق، والمكابر في قبوله لا تنفع معه أقوى الحجج والبينات التي يقنع العاقل المنصف بأقل منها.

١٢٧. فيها أن المنصف يقبل الحق إذا دل عليه الدليل الصحيح الظاهر من غير تعنت.

١٢٨. تدل على عجز الكفار في الرد السليم على الآيات، والبراهين الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

١٢٩. تفيد أن امتراء الكفار المطالبين بالدلائل الحسبة امتراء استكبار وليس امتراء شك.

١٣٠. تفيد أن ادعاء السحر حيلة العاجز، فإذا قامت عليه البراهين ولم يستطع ردها هرع إلى ادعاء السحر.

١٣١. تفيد: حاجة العبد لربه، في هدايته وتوفيقه؛ إذ ليس الشأن فقط أن يلمس العبد، ويعلم طريق الهداية، بل الشأن أن يوفق إليها.

١٣٢. تفيد الآية شدة دفاع الكفار عن كفرهم، فمن ذلك إنكار المحسوس الملموس وقولهم ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ﴾ بل وزيادة على ذلك أنه ﴿ سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٨-٩].

١٣٣. قوله ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌۖ ﴾ فيها تعنت المكذبين للرسل مع أن الآيات بين أيديهم كثيرة تترى.

١٣٤. فيها التناقض العجيب حيث يكذبون الرسل، ويؤمنون بالملائكة، ويعلمون أنهم في السماء.

١٣٥. فيها أن اقتراح المكذبين للآيات وعدم الإيمان بها إيذان بتعجيل العقوبة لهم؛ ولذلك رد الله عليهم بقوله ﴿ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ قال ابن عطية: " قال قتادة والسدي وابن عباس رضي الله عنهما: في الكلام حذف تقديره: ولو أنزلنا ملكا فكذبوا به لقضي الأمر بعذابهم ولم ينظروا حسبما سلف في كل أمة اقترحت بآية وكذبت بعد أن أُظهرت إليها، وهذا قول حسن. وقالت فرقة: ﴿ لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ أي: لماتوا من هول رؤية الملك في صورته، ويؤيد هذا التأويل ما بعده من قوله: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ فإن أهل التأويل مجمعون على أن ذلك لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته، فالأولى في قوله ﴿ لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ أي: لماتوا من هول رؤيته".

١٣٦. فيها ما يدل على أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن في حالتهم التي خلقوا عليها، وذلك لأن استعدادهم التكويني لا يمكنهم من إدراك كل الموجودات، وما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من رؤية جبريل عليهم السلام في صورته التي خلق عليها كان من خوارق العادات.

١٣٧. يفيد العطف ب " ثم" في قوله تعالى ﴿ لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ الدلالة على التهويل، وبيان أن رتبة عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر؛ لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة، فالتراخي في " ثم" تراخ في الرتبة. (الزمخشري).

١٣٨. تفيد بيان رحمة الله تعالى ولطفه بعباده، في إرسال رسله من البشر حتى يكون الإيمان بما جاء به، عن علم وبصيرة.

١٣٩. تفيد بيان سنة الله في المكذبين بالآيات المحسوسة؛ لأن هذه سنة الله، فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها حلت بهم المثلات.

١٤٠. تفيد أن إمهال الله للكافرين والمكذبين خير لهم وأنفع، فطلبُهم لإنزال الملك شر لهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك، فالملك لو أنزل عليهم، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقته قواهم الفانية.

١٤١. قوله ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا ﴾ تفيد: أن الله في السماء، وعنده الملائكة.

١٤٢. في الآية إشارة إلى الصبر في سبيل الدعوة إلى الله، وتحمل ما يكون من بعض الناس من تعنت أو جهالة.

١٤٣. قوله﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ فيها أن النبوة لا تكون في النساء وإنما هي في الرجال.

١٤٤. فيها أن الله سبحانه لو أراد أن ينزل ملكا لم ينزله بصورته الملكية بل يصيره رجلا مناسبا للمرسل إليهم.

١٤٥. فيها ظهور الحكمة البالغة منه سبحانه في إرسال الرسل من البشر من أجل الركون إليهم، وقبول ما جاءوا به من الحق.

١٤٦. فيها: أن من أساليب القرآن الناجعة المحاجة بالحسنى، فالأمر لا يأت على ما اقترحوه ولو جاء عليه لعاد اللبس والاقتراح كما قال سبحانه ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾

١٤٧. تفيد أن البشر لا يطيقون رؤية الملائكة في صورتها؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال غير واحد من السلف: هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر؟، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك

إليهم، فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق، والرحمة.. (منهاج السنة ٢/٣٣٣)

١٤٨. فيها إمكان تمثيل الملائكة بصورة البشر (أبو حيان).

١٤٩. تفيد: أن من امتنع عن فعل أمر ما لمصلحة، وكان قادرا على فعله، أن يبين سبب امتناعه؛ تبيانا منه أن امتناعه لحكمة لا لمجرد الامتناع؛ وهذا حسب الحال.

١٥٠. قوله ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ فيها إشارة إلى: أهمية الترجمة في البيان وإقامة الحجة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

١٥١. في مناسبة الآية لما قبلها: لما كان طلبهم إنزال الملك على سبيل الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم بيّن الله تعالى له أن الاستهزاء بالرسل عليهم السلام ليس أمرا حادثا، بل قد وقع من الكفار السابقين مع أنبيائهم، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يهزؤون به وينكرون وقوعه.

١٥٢. فيها تأكيد وتقرير جملة ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ بالقسم المقدر وحرف التحقيق، وهذا يدل على كمال العناية بمضمون هذه الجملة، ولعل فيه أيضا إشارة إلى كمال العناية بشأن النبي صلى الله عليه وسلم.

١٥٣. فيها التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يصيبه من أذى قومه.

١٥٤. تفيد أن الاستهزاء إيذاء للنفوس الانسانية وتحمله تحمل لأمر شديد، ولهذا جاءت التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على هذا ما لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من أبناء عبد ياليل حين ردوا عليه صلوات الله وسلامه عليه بأقبح رد، كما في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: " لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ين عبدكلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب.." رواه البخاري

١٥٥. قوله:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ ديدن المكذبين للرسل الاستهزاء الناتج من نقص لديهم.

١٥٦. التعبير بالفعل المبني للمجهول ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ ﴾ تشعر بحقارة هذا العمل ومن يقوم به.

١٥٧. تفيد أن تكذيب الشيء سبب من أسباب الاستهزاء به، والسخرية منه.

١٥٨. من بلاغتها: أنها جمعت بين الوعد، فهي وعد لنبيه والمؤمنين بالنصر والغلبة على الكافرين. وجمعت بين الوعيد للمشركين بالإهلاك. وجمعت بين التسلية والتعزية لرسوله والمؤمنين على ما يجدونه من هؤلاء.

١٥٩. قوله:﴿ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ فيها تنكير الرسل للتكثير والتعظيم.

١٦٠. قوله:﴿ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ فيها: أهمية علم التاريخ.

١٦١. فيها: أهمية الاعتبار بآيات الله الكونية.

١٦٢. تفيد أن وبال الاستهزاء بالصالحين من عباد الله يلحق المستهزِء في الدنيا قبل الآخرة، كما قال تعالى ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾

١٦٣. تفيد أن الاستهزاء من أعداء الدعوة سنة ماضية في المصلحين وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلين.

١٦٤. فيها بيان لسنن الله في عباده على مر القرون، وأنها ثابتة لا تتبدل.

١٦٥. فيها التهديد والوعيد لمن عاند الحق واستهزأ به.

١٦٦. فيها: أن السخرية والاستهزاء بالرسل من أسباب العقاب الأليم.

١٦٧. فيها أن العقوبة بقدر العمل، وهذا من عدل الله أما المثوبة فهي مضاعفة.

١٦٨. دلت الآية على عقوبة المكذب والتكذيب شطر الكفر، فالكفر قائم على (التكذيب والاستكبار) وكلاهما موجود هنا، فالتكذيب يقود للاستكبار والإنكار.

١٦٩. تفيد أن الاستهزاء من الكفر، وهو من أعظم أنواع الكفر؛ لأنه ينافي التعظيم والتوقير، ولذلك كان من نواقض الإسلام.

١٧٠. قوله سبحانه ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾، ولم يقل بالساخرين، للإشارة إلى أن ما أصابهم من عذاب لم يكن تجنيا عليهم، وإنما كان بسبب سخريتهم برسل الله، والاستخفاف بهم؛ لأن التعبير بالموصول يفيد أن الصلة هي علة الحكم.

١٧١. تفيد أن العذاب ملازم لهذه السـخرية لا ينفك عنها، فحيثما وجد التطاول على أولياء الله والدعاة إلى دينه، وجد معه عذاب الله وسخطه على المتطاولين والمستهزئين.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١]

١٧٢. فيها ما يفيد بأن السير في الأرض، والنظر في أحوال الأمم فيه علاج لما يصيب النفوس من مرض السخرية والاستهزاء.

١٧٣. فيها أن السير في الأرض مع النظر يفيد الاعتبار والاتعاظ والانتباه؛ قال السعدي: فإن شككتم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلا قوما مهلكين، وأمما في المثلات تالفين، قد أوحشـت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به، سـير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار. وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا.

١٧٤. فيها: ذكر القرآن الكريم في سور متعددة أن آثار أولئك الأقوام المهلكين، ما زال بعضها باقيا، وإنها لتدعو العقلاء إلى الاتعاظ والاعتبار فقال- تعالى-﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴾ [هود: ١٠٠]

١٧٥. في قوله: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ دعوة لقراءة التأريخ، وأول ما نقرأ الكتاب والسنة، والأمر هنا بالسير للاعتبار بصرا وبصيرة.

١٧٦. فيها: الآثار تدل على المؤثر وهذا أمر معلوم حسا وواقعا.

١٧٧. فيها: الاعتبار مطلوب في كل وقت وحين لقوله ﴿ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾

١٧٨. فيها: الاعتبار بمن انتقم الله منهم حذرا، وممن أثابهم رغبة، وإن كان الاعتبار هنا ممن انتقم منهم سبحانه.

١٧٩. تفيد ذكر العاقبة في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بيان أن العبرة عند رؤية ما عليه أهل الباطل ليست بالحال، وإنما بما يؤول إليه أمرهم في المآل.

١٨٠. ذكر البقاعي أن ذكر حرف التراخي في الزمان (ثم) في قوله ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ في هذه السورة فقط وفي غيرها (فانظروا) بالفاء لأن الإمهال أقوى في التهديد، وأدل على القدرة، وأدعى إلى النصفة لا سيما والسورة من أوائل القرآن نزولا وأوائله ترتيبا.

قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]

١٨١. في الآية أسلوب السؤال والجواب، وهو أبلغ وأقوى في الإثبات أن الله مالك كل شيء.

١٨٢. تفيد كلمة ﴿قُل﴾ أن القرآن ليس من عند النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو وحي يوحى إليه.

١٨٣. قوله ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ﴾ فيها أنّ الملك لله تعالى وحده.

١٨٤. قوله ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾ تفيد: استغناء الله عن خلقه، وإن عبدوه وأطاعوه؛ لأن الذي يكفر يخسر نفسه فحسب، أما الله فلا يضره كفر الكافر، ولا طاعة المطيع.

١٨٥. تفيد أن إقرار الخلق للخالق بالخلق والملك والتدبير يستلزم إقرارهم بالإخلاص والتوحيد.

١٨٦. قوله ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾ تفيد أن النفس أمانة عند صاحبها، وأنه يجب صونها عن عطبها وخسارتها؛ وما ذاك إلا بالإيمان والعمل الصالح.

١٨٧. تفيد: أنه يسوغ للسائل أن يسأل ويجيب هو بنفسه، وأن السؤال لا يلزم منه مطلقا الجواب عليه، فقد يخرج مخرج الالتفات والتنبيه ومجرد العلم؛ لقوله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

١٨٨. قوله﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ فيها: إثبات صفة الكتابة لله – جل ذكره –.

١٨٩. تفيد جواز إطلاق النفس على ذات الله المقدسة، وهي حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يُطلق على الله تعالى.

١٩٠. تفيد كلمة ﴿ نَفۡسِهِ ﴾ نفي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه، فالجميع عبيده.

١٩١. قوله﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾تفيد شمول رحمة الله تعالى الواسعة لجميع خلقه العلوي والسفلي، ولرحمته بعباده لا يعاجلهم بعقوبة، ويقبل توبة من أناب إليه، وفتح لجميع العباد أبواب رحمته.

١٩٢. تفيد: عدم اليأس من رحمة الله عامة، وفي الآخرة خاصة؛ لإخباره عن يوم الجمع بعد إخباره أنه ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾

١٩٣. تفيد أن الله تعالى لكمال صفاته ولبيان نعوت جلاله أوجب على نفسه الرحمة تفضلاً وإحساناً، بل غلبت رحمته غضبه، فكان العطاء أحب إليه من المنع، كما جاء في البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"

١٩٤. تفيد عدم القنوط من روح الله، وإن وقع في كفر التكذيب والسخرية.

١٩٥. تفيد: أن من مظاهر رحمته عز وجل جمع الناس يوم القيامة فيجازي على الحسنة بعشر أمثالها وعلى السيئة بمثلها.

١٩٦. قوله ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾تفيد تقرير مبدأ جمع العباد في القبور محشورين إلى يوم القيامة للحساب والجزاء. وقيل " إلى " بمعنى في أي في يوم القيامة.

١٩٧. قوله ﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾يفيد أن بعث العباد وجمعهم وحسابهم لا ينبغي أن يرتاب فيه مرتاب؛ لأن الله أقسم بوقوعه وهو أصدق المخبرين، لأن اللام لام القسم والنون نون التوكيد، وأقام على ذلك الأدلة والبراهين، ولأن ملك الأشياء لا يهمل محاسبتها، فهو من كمال ملكه وعدله وحكمته ورحمته محاسبتهم، لأنه ينافي الفوضى والإهمال واستباحة الظلم.

١٩٨. يفيد الالتفات في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ خسـران من لم يؤمن بيوم الجمع فقدانه رحمه الله التي وسعت كل شيء

١٩٩. في الآية بيان لأشـد الخسـارات وهو خسـارة النفس، فما دون النفس من المال والأهل أهون. وسبب فداحة الخسارة عدم الإيمان.

٢٠٠. تفيد أن الخاسـر حقيقة في الآخرة هو من لم يؤمن بما يجب الإيمان به كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ بمعنى عدموا فائدة الانتفاع بما ينتفع به الناس من أنفسهم وهو العقل والتفكير.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣].

٢٠١. فيها إشـارة إلى: أن مقاليد كل شـيء بيد الله وحده، فعلى العبد أن يوقن بأن الضـار النافع هو الله، فلا يخش من غيره، وأن صلاح أمره بيد ربه؛ فليقبل على مولاه.

٢٠٢. قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾، يشمل المخلوقات كلها، من آدميها، وجِنّها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، وعبيد مسـخرون لربهم العظيم، القاهر المالك.

٢٠٣. تفيد: أن الأصل السكون، وأن الحركة طارئة.

٢٠٤. تشير إلى أهمية الليل والنهار؛ فهما يعملان فيك، فاعمل أنت فيهما.

٢٠٥. تفيد سـعة علم الله تعالى، فالسـكون اسـتقرار الجسـم في مكان لا ينتقل عنه مدّة، فهو ضدّ الحركة، وهو من أسباب الاختفاء، لأنّ المختفي يسكن ولا ينتشر، فالكلام مسوق للتذكير بعلم الله تعالى، وأنّه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ومحاسبكم عليها، وتخصيص الليل بالذكر لأنّ الساكن في ذلك الوقت يزداد خفاء.

٢٠٦. عطف النهار على الليل لقصد زيادة الشمول، لأنّ الليل لما كان مظنّةً الاختفاء فيه قد يظنّ أنّ العالِم يقصد الاطّلاع على الساكنات فيه بأهميّة ولا يقصد إلى الاطّلاع على الساكنات في النهار، فذكر النهار لتحقيق تمام الإحاطة بالمعلومات.

٢٠٧. قوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تفيد أن الله تعالى سميع لكل مسموع، بجميع الأصوات، على اختلاف اللغات، بتفنن الحاجات، عليم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

٢٠٨. تفيد عظمة الله تعالى، وكمال علمه وقدرته وإحاطته بكل شيء.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]

٢٠٩. قوله ﴿قُلْ﴾ تفيد أن الأمة تخاطب في شخصية النبي عليه السلام، فالخطاب وإن كان له فالمراد بذلك الأمة، لأنه حاشاه أن يكون من المشركين.

٢١٠. قوله ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ تفيد أن الاستفهام التقريري من أعظم سبل إقامة الحجة على الخصم.

٢١١. قوله ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ فيها: سلطت الهمزة على المفعول الأول لا على الفعل، للإيذان بأن المستنكر إنما هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا.

٢١٢. قوله ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ فيها أن الولي الذي يخلق ويرزق هو من يستحق العبادة دون غيره.

٢١٣. تفيد تَنْزيه القَلْبِ عَنِ الِالتِفاتِ إلى غَيْرِ اللَّهِ تَعالى، وقَطْع العَلائِقِ عَنْ كُلِّ ما سِوى اللَّهِ تَعالى.

٢١٤. تفيد أن الولاء يجب أن يكون في الله ولله.

٢١٥. تفيد أن من يتخذ وليا له من دون الله تعالى ما عرف عظمة ربه، وواسع فضله على خلقه.

٢١٦. فيها أن قوة المؤمن بحسب وعيه، واعتقاده بولاية ربه تبارك وتعالى وألوهيته.

٢١٧. تفيد أن الإيمان قول وعمل واعتقاد مع البراءة من تولي غير الله.

٢١٨. فيها الاستدلال بصفاته تعالى على توحيده واستحقاقه ألا يتخذ وليا سواه.

٢١٩. تفيد كفر وضلال من يتخذ وليا من دون الله عز وجل.

٢٢٠. تفيد الإخلاص لله عز وجل في عبادته، وتوحيده سبحانه وتعالى، والتوجه إليه بقلوب خاشعة، ونفوس مطمئنه راضية.

٢٢١. تفيد التحذير من الشرك وأهله، والبراءة منهم.

٢٢٢. قوله ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فاطر السموات والأرض تدل على قدرته على الإيجاد من العدم وهو الولي بالولاية، والعبودية والألوهية.

٢٢٣. قوله ﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ ﴾ تفيد امتنانه على خلقه ودليل ربوبيته.

٢٢٤. قوله ﴿ وَلَا يُطۡعَمُ ﴾ تفيد صفات تنزيهية عن النقص، من الحاجة إلى الطعام وما يستلزم ذلك.

٢٢٥. قوله ﴿ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ ﴾ تفيد أن الإله الحق لا يطعم لأن هذا نقص، وقد مضى في المائدة إبطال ألوهية المسيح، ومريم عليهما السلام بكونهما كانا يأكلان الطعام.

٢٢٦. تفيد أن الذي يحتاج إلى أن يطعم لا يستحق أن يعبد.

٢٢٧. فيها العلاقة الوثيقة بين الألوهية والإطعام، مما يدل على أن قضية الإطعام جوهرية في العبادة والعبودية. قال القرطبي: وخص الإطعام بالذكر دون غيره من ضروب الإنعام ؛ لأن الحاجة إليه أمس لجميع الأنام.

٢٢٨. تفيد عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وكمال غناه، واستحقاقه للعبادة لأنه المطعم للعباد وهو الولي الحميد.

٢٢٩. تفيد أن الله عز وجل هو صاحب الغنى المطلق، وهو الغني الحميد، وكل الخلائق مفتقرة إليه، ومن كانت هذه صفته فهو المستحق للعبادة دون سواه.

٢٣٠. تشـير إلى قدرة الخالق، وضـعف وحاجة الإنسـان إلى الطعام، وعليه: فالذي يطعمه ويرزقه، ويدبر أمره، يجب إفراده بالعبودية.

٢٣١. فيها أن الحاجة إلى الطعام أهم الحاجات البشرية، وبدء به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه: ١١]، وفي هذا إشارة إلى فضل الإطعام كما جاء في الحديث أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال " تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"، رواه البخاري، ومسلم.

٢٣٢. في الآية حجة على المشـركين من جهة أن من يُطْعَم هذا العالم الذي فطره، ولا يُطْعَم لغناه عن كل شيء، فواجب أن يستنصر منه، ويؤمل النفع منه لا من غيره.

٢٣٣. تفيد أنَّهُ تعالى هو الَّذِي يَرْزُقُ الخَلائِقَ كلها، وهو الغَنِيُّ المطْلَقُ فَلَيْسَ بِمُحْتاجٍ إلى رِزْقٍ.

٢٣٤. جمعت هذه الآية بين دليل العقل ودليل الشرع.

٢٣٥. في الآية تربية لطيفه على استخدام أساليب التورية، والتأدب عن ذكر ما يمكن السكوت عنه.

٢٣٦. قوله ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ لما ذكر من صـفات الكمال اسـتلزم ذلك التسليم وعدم الإشراك.

٢٣٧. يفيد إعادة الأمْر بِالقَوْلِ اهْتِمامًا بِهَذا المقُولِ، لِأنَّهُ غَرَضٌ آخَرُ غَيْرُ الَّذِي أمَرَ فِيهِ بِالقَوْلِ قَبْلَهُ، فَإنَّهُ لَمّا تَقَرَّرَ بِالقَوْلِ السّـابِقِ عُبُودِيَّةُ ما في السَّـماواتِ والأرْضِ لِلَّهِ، وأنَّ مَصِيرَ كُلِّ ذَلِكَ إلَيْهِ انْتَقَلَ إلى تَقْرِيرِ وُجُوبِ إفْرادِهِ بِالعِبادَةِ.

٢٣٨. تفيد ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ ﴾ أنه لا أمْرَ إلّا لَهُ، والرسـول عبد مأمور، وكل شـيء لَهُ وحْدَه سبحانه.

٢٣٩. قوله ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ تفيد الحرص والقوة في التمسـك بالإسـلام، لأنه يَجُوزُ أنْ يَكُونَ الأوَّلُ كِنايَةً عَنِ الأقْوى والأمْكَنِ في الإسْـلامِ، لِأنَّ الأوَّلَ في كُلِّ عَمَلٍ هو الأحْرَصُ عَلَيْهِ والأعْلَقُ بِهِ، فالأوَّلِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الحِرْصَ والقُوَّةَ في العَمَلِ.

٢٤٠. تفيد فضل الإسلام وأنه دين الله الحق الذي يجب المبادرة إلى الدخول فيه.

٢٤١. قوله ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَ ﴾ تفيد وجوب المسارعة لأوامر الله عند سماعها.

٢٤٢. تفيد فضل المبادرة للتوحيد، ونصرته، والسعي على إظهاره.

٢٤٣. تفيد أنَّ كُلَّ آمِرٍ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ عامِلًا بِما أُمِرَ بِهِ؛ لِأنَّهُ مُقْتَدَاهم.

٢٤٤. قوله ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ تفيد الحث على الثبات على التوحيد حتى الممات بدليل المخالفة.

٢٤٥. تفيد التنفير عن الشرك الذي هو سبب الهلاك والخسران.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الأنعام:١٥-١٦].

٢٤٦. فيهما تلقين النبي صلى الله عليه وسلم الحجج الدامغة التي تفتت ادعاءات المشركين وشبهاتهم.

٢٤٧. قوله ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾ فيها الخوف قبل المعصية وهي لم تقع فكيف إذا وقعت.

٢٤٨. إيثار ﴿ إِنۡ ﴾ بدل (إذا) يدل على أن على المؤمن قليل الوقوع في المعاصي.

٢٤٩. تفيد أن الخوف عبادة، ولا يكون إلا من الله عز وجل وحده؛ ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

٢٥٠. في هذا التحذير أسمى ألوان التعبير والتصوير؛ لأنه إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحب الخلق إلى الله سينا له العذاب إن كان- على سبيل الفرض والتقدير- قد عصى ربه في الدنيا، فكيف بأولئك الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى؟ فمن الواجب عليهم أن يقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في عبادته وإخلاصه لربه.

٢٥١. تفيد الحرص على العمل الصالح والخوف من الله عز وجل في الدنيا.

٢٥٢. تفيد إثبات يوم القيامة وأنه يوم عظيم.

٢٥٣. فيها أن القدوة امتثال وعمل وليست دعوى، والنبي صلى الله عليه وسلم خاف من صعوبة يوم القيامة على غفران ذنوبه فالله المستعان.

٢٥٤. تفيد التخويف من عذاب يوم القيامة، وبيان شدته وعظمته وهوله.

٢٥٥. فيها بيان الفوز الأخروي وهو النجاة من النار ودخول الجنة﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

٢٥٦. تفيد أن النجاة من العذاب تكون برحمة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

٢٥٧. فيها: أن الذي ينبغي على المؤمن أن يكون هدفه الأكبر في هذه الحياة النجاة من عذاب الله.

٢٥٨. فيهما: شؤم الذنوب والمعاصي وأنها سبب للعذاب والدمار والهلاك.

٢٥٩. فيهما: إثبات الرحمة لله عز وجل وهي من صفاته الذاتية الفعلية سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨]

٢٦٠. في الآية تحذير من دعاء غير الله في رفع الضر، أو طلب الخير؛ لأن النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له.

٢٦١. قوله ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ﴾ وهو الشيء القليل، فالتعبير بلفظ (المس) دون(الإصابة) فيه: أن ما يلم بالإنسان من خير وشر، إنما هو كالمس، لا يدوم. وهذا يحمل العبد على الشكر في الخير حتى لا ينقطع ويرتفع، وعلى الصبر في الضر، باعتبار أنه حالة طارئة ثم تزول..

٢٦٢. فيها أن الخير والشر باعتبار ما يحبه العبد ويكرهه كل ذلك بتقدير الله عز وجل.

٢٦٣. قوله ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾ فيها بلاغة القرآن حيث عبر بالضر لكل ما يتصور وقوعه من السوء مِن فَقْرٍ، ومَرَضٍ، وغَيْرِ ذَلِكَ. قال صاحب المنار: «ومن دقائق بلاغة القرآن المعجزة،

تجرى الحقائق بأوجز العبارات، وأجمعها لمحاسن الكلام مع مخالفته بعضها في بادئ الرأي لما هو الأصل في التعبير، كالمقابلة هنا بين الضر والخير، وإنما مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر، فنكتة المقابلة أن الضر من الله ليس شرا في الحقيقة بل هو تربية واختبار للعبد يستفيد به من هو أهل للاستفادة أخلاقا وأدبا وعلما وخبرة. وقد بدأ بذكر الضر لأن كشفه مقدم على نيل مقابله، كما أن صرف العذاب في الآخرة مقدم على النعيم».

٢٦٤. فيها من أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء، ولهذا قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو نحوه، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية.

٢٦٥. تفيد الإرشاد إلى تعلق القلوب بخالقها جل وعلا لأنه الذي يكشف الضر، ويتفضل بالخير وهو على كل شيء قدير.

٢٦٦. تقديم الضر على الخير دليل على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وهي قاعدة مشهورة.

٢٦٧. : فيها ردّ على المشركين الذين كانوا إذا ذُكّروا بأنّ الله خالق السماوات والأرض ومن فيهن أقرّوا بذلك، ويزعمون أنّ آلهتهم تشفع عند الله، وأنّها تجلب الخير وتدفع الشرّ، فلمّا أبطلت الآيات السابقة استحقاق الأصنام الإلهية لأنّها لم تخلق شيئاً، وأوجبت عبادة المستحقّ الإلهية بحقّ، أبطلت هذه الآية استحقاقهم العبادة لأنّهم لا يملكون للناس ضرّاً ولا نفعاً.

٢٦٨. فيها بطلان كل الوسائل الشركية والمبتدعة التي يتعلق بها البعض لجلب منفعة، ودفع ضرر مثل التمائم والتولة وغيرها.

٢٦٩. قوله ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ تفيد أنَّهُ تعالى لا رادَّ لِأقْدارِهِ ولا صادَّ عَنِ اخْتِيارِهِ.

٢٧٠. فيها أنَّهُ قالَ في إمْساسِ الضُّرِّ ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ وذَكَرَ في إمْساسِ الخَيْرِ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ فَذَكَرَ في الخَيْرِ كَوْنَهُ قادِرًا عَلى جَمِيعِ الأشْياءِ، وذَلِكَ يَدُلُّ عَلى أنَّ إرادَةَ اللَّهِ تَعالى لِإيصالِ الخَيْراتِ غالِبَةٌ عَلى إرادَتِهِ لِإيصالِ المَضارِّ. ذكره الرازي.

٢٧١. فيها برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعد هذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين.

٢٧٢. تفيد عظمة الله تعالى التي لا يدرك كنهها الواصفون.

٢٧٣. تفيد أن الله عز وجل له القدرة المطلقة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢٧٤. فيها التوجه إلى الله عز وجل بقلب خاشع، وإيمان صادق دون غيره من سائر خلقه إذ لا يكشف الضر إلا هو.

٢٧٥. فيها دعم الصلابة النفسية للمؤمن في مواقف التحديات العصيبة سواء كانت ضرا أو خيرا، بحيث إنه سيكون متماسكا ناظرا للأمر بمنظار صحيح بإرجاعه لله، وليس لحظه ولا لما يتوهمه غير المؤمنين أو بعض المشركين من وجود قوى أخرى في الكون بيدها الضر والخير.

٢٧٦. أشارَ تَعالى بِقَوْلِهِ هُنا:﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ إلى أنَّ فَضْلَهُ وعَطاءَهُ الجَزِيلَ لا يَقْدِرُ أحَدٌ عَلى رَدِّهِ عَمَّنْ أرادَهُ لَهُ تَعالى.

٢٧٧. يفيد قَوْلُهُ:﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ كَمالَ القُدْرَةِ، وقَوْلُهُ:﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾إشارَةٌ إلى كَمالِ العِلْمِ. قال البغوي: وفي القهر زيادة معنى على القدرة، وهي منع غيره عن بلوغ المراد.. (معالم التنزيل)

٢٧٨. قَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ يُفِيدُ الحَصْرَ ومَعْناهُ أنَّهُ لا مَوْصُوفَ بِكَمالِ القُدْرَةِ وكَمالِ العِلْمِ إلّا الحَقُّ سُبْحانَهُ وعِنْدَ هَذا يَظْهَرُ أنَّهُ لا كامِلَ إلّا هو، وكُلُّ مَن سِواهُ فَهو ناقِصٌ.

٢٧٩. قوله ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ فيها إثبات علو الله تعالى على خلقه

٢٨٠. فيها الدليل القاطع والبرهان الواضح على استحقاقه للعبادة دون غيره فهو الإله القادر، والرب القاهر فسلطانه على كل أحد، وقهره لكل أحد مع سعة علمه وعلو شأنه سبحانه وتعالى.

٢٨١. تفيد عبودية الكائنات لله رب العالمين؛ لقوله: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، قال ابن كثير- «هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجباه، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه الأشياء، وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه».

٢٨٢. تفيد كمال سلطانه جل وعلا، قال السعدي: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة.

٢٨٣. تفيد كمال حكمته فيما أمر به ونهى، وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

٢٨٤. تفيد كمال علمه وأنه المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾

٢٨٥. تفيد إثبات اسمي الحكيم والخبير لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩]

٢٨٦. تفيد تنوع أسلوب القرآن في الرد على المكذبين المستهزئين؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق الرد عليهم.

٢٨٧. سياق المسألة على صيغة السؤال وجوابه في موضعين دليل على أهمية التوحيد وتأكيده ولفت الانتباه لهذا الأمر العظيم.

٢٨٨. صدرت الآية الكريمة ب﴿ قُلْ ﴾ وبصيغة الاستفهام تنبيها إلى جلال الشاهد، وإلى سلامة دعوى النبي صلى الله عليه وسلم لكي يدركوا ما فيها من حق وما هم فيه من ضلال.

٢٨٩. قوله ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فيها كمال العناية والتأييد لنبي الهدى صلى الله عليه وسلم بتلقينه الحجة؛ ليحاجج بها المكذبين المستهزئين.

٢٩٠. قوله ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فيها وصف الله عز وجل بأنه (شيء) لكنه وصف مقيد بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا القيد يحمل على الإثبات مع التنزيه.

٢٩١. فيها جواز طلب الشهادة ممن هو أهل لها، في حال النزاع وإثبات الحق.

٢٩٢. قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ فيها دلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال السعدي:﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أكبر شهادة، فهو﴿ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ فلا أعظم منه شهادة، ولا أكبر، وهو يشهد لي بإقراره وفعله، فيقرني على ما قلت لكم، كما قال تعالى﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٥]، فالله حكيم قدير، فلا يليق بحكمته وقدرته أن يقر كاذبا عليه، زاعما أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء من خالفه، وأموالهم ونساءهم، وهو مع ذلك يصدقه بإقراره وبفعله، فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة، وينصره، ويخذل من خالفه وعاداه، فأي: شهادة أكبر من هذه الشهادة؟".

٢٩٣. فيها أن شهادة الله عز وجل هي أعظم وأجل وأكبر شهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم بما يقول ويفعل.

٢٩٤. فيها إثبات لصدق رسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم بحصول أكبر وأعظم شهادة له تثبت ذلك.

٢٩٥. فيها جواز احتجاج الصادق على مخالفه، بالقول: الله شهيد بيني وبينك.

٢٩٦. فيها إثبات صفة العلم لله عز وجل، فإن شهادة الله جل جلاله تتضمن كمال علمه وإحاطته بما كان ويكون.

٢٩٧. قوله﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ ﴾ فيها إثبات أن القرآن وحي من الله عز وجل.

٢٩٨. فيها فضل القرآن؛ لأنه وحي الكبير المتعال.

٢٩٩. قوله ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ ﴾ فيها بيان إحدى أغراض إنزال القرآن، وهو النذارة.

٣٠٠. فيها أن في القرآن شهادة من الله على صدق نبيه.

٣٠١. قوله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ ﴾ تفيد أن الدعوة والنذارة تكون بالقرآن الكريم؛ لقوله: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، والوحي يشمل القرآن والسنة.

٣٠٢. ففيها هداية دعوية يقصر فيها البعض ممن ينذر الناس بالقصص ونحوها فقط، ويترك إنذارهم بالقرآن الذي حوى على كل أسلوب نافع.

٣٠٣. قوله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ فيها أن القرآن هو حجة الله على العالمين إلى قيام الساعة.

٣٠٤. فيها دلالة على أن القرآن أحكامه تشمل من نزل فيهم، وغيرهم ممن يبلغهم، كما يشمل من سيأتون بعدهم إلى يوم القيامةبدلالة قوله: ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾

٣٠٥. فيها دلالة على عموم الرسالة المحمدية لجميع المكلفين ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾

٣٠٦. قوله ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾ استدل بعض أهل العلم بهذه الآية على أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الثقلين؛ وقد بلغهم القرآن الكريم.

٣٠٧. تفيد مسؤولية هذه الأمة عن تبليغ هذا القرآن الكريم وهداياته للناس، قال طنطاوي: عن محمد بن كعب قال: «من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن القرآن الكريم لما كان متواترا بلفظه ومعناه، كان من بلغه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: كأنما سمعه منه وإن كثرت الوسائط، لأنه هو الذي بلغه بلا زيادة ولا نقصان، أما من لم تبلغه

دعوة القرآن فلا يصدق عليه أنه بلغته الدعوة، وحينئذ لا يكون مخاطبا بتعاليم هذا الدين، وإثمه يكون في أعناق الذين قصروا في تبليغ دعوة الإسلام إليه.

٣٠٨. فيها: إعذار من لم تبلغه الدعوة.

٣٠٩. فيها بشارة لمن بلغه القرآن، وآمن به في أي زمان كان، أنه قد استجاب لدعوة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكأنه قد سمع منه وكلمه.

٣١٠. قوله ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ الاستفهام في قوله ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾ إنكاري، جيء به لاستقباح ما وقع منهم من شرك، وأكد قوله ﴿ لَتَشْهَدُونَ ﴾ للإشارة إلى تغلغل الضلال في نفوسهم، واستيلاء الجحود على قلوبهم.

٣١١. يفيد التعبير عن أوثانهم بأنها﴿ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ مجاراة لهم في زعمهم الباطل ومبالغة في توبيخهم والتهكم بهم.

٣١٢. فيها أمره- سبحانه- لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصارحهم بأنه لا يشهد بشهادتهم ﴿ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ توبيخ لهم على جهالتهم، وتوجيه لأتباعه إلى الاقتداء به في شجاعته أمام الباطل، وفي ثباته على مبدئه.

٣١٣. قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾فيها أن هذا الدين العظيم قائم على توحيد الله عز وجل وأنه الإله الواحد.

٣١٤. فيها تأكيد على وجوب الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك.

٣١٥. فيها معنى التوحيد وهو النفي والإثبات ولا يتم التوحيد إلا بهما، أي النفي لكل ما يعبد من دون الله، والبراءة من الشرك وأهله. والإثبات: إثبات العبادة لله وحده.

٣١٦. تفيد وجوب البراءة من الشرك وأهله، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، قال السعدي: ﴿ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ به، من الأوثان، والأنداد، وكل ما أشرك به مع الله، فهذا حقيقة التوحيد، إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام: ٢٠]

٣١٧. تفيد الإيمان بالكتب وأنها بيّنة واضحة.

٣١٨. قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ تفيد أن إيتاء الكتاب منة عظيمة، ونعمة جليلة تقتضي التوضيح والبيان لا الكذب والكتمان.

٣١٩. قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم مذكور باسمه وصفته ونعوته في كتب أهل الكتاب، ومصداق هذا: قوله سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

٣٢٠. التعبير بالفعل المضارع﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ دون الماضي (عرفوه)، يفيد أن معرفة هؤلاء بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعوته وصفاته، كانت معرفة قائمة وثابتة ومستمرة، ومستقرة في أذهانهم في زمان البعثة.

٣٢١. قوله ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ﴾ فيها كثرة براهين التوحيد، ووضوح أدلته؛ قال السعدي: ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي: يعرفون صحة التوحيد﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ﴾ أي: لا شك عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم، خصوصا البنين الملازمين في الغالب لآبائهم. ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته ولا يمترون بها، لما عندهم من البشارات به، ونعوته التي تنطبق عليه ولا تصلح لغيره، والمعنيان متلازمان.

٣٢٢. تفيد: أن من شروط قيام الحجة: تحقق العلم والمعرفة التامة، مع انتفاء ما يضادها من جهل وتأويل وما شابه ذلك.

٣٢٣. فيها مشروعية الاطلاع على كتب ومصادر المخالفين، بغرض استغلال ما فيها من معلومات، لتسخيرها في إلزام المعاندين، وتفنيد حججهم وإبطال مذاهبهم.

٣٢٤. تفيد أن العلم بدون عمل لا يفيد، فهؤلاء يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك كفروا به.

٣٢٥. تفيد صحة نبوة محمد الكريم صلى الله عليه وسلم.

٣٢٦. فيها بيان إحدى المســـالك القرآنية في إفحام المخالف وبيان أباطيله، وهي إلزامه عن طريق الاستدلال بما عنده من المسلمات، وهي هنا: الدلائل الموجودة في كتب أهل الكتاب في ذلك الحين.

٣٢٧. تفيد التأصيل لمشروعية علم (مقارنة الأديان) والدراسات المتصلة بالفرق والمذاهب، ووجه ذلك: أن الله عز وجل قد رد على أباطيل هؤلاء، عن طريق عرض ما في كتبهم، وإبراز ما عندهم من مسلمات لا يستطيعون إنكارها.

٣٢٨. تفيد بطلان قول الجهمية ومن قال بقولهم في أن الإيمان هو المعرفة، فهؤلاء يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسول رب العالمين ومع ذلك لم تنفعهم هذه المعرفة حيث لم يؤمنوا به ويتبعوه بل كانت حجة عليهم عند الله تعالى يوم القيامة.

٣٢٩. تفيد كمال علمه تعالى بخفاية النفوس وما تكنه الصدور.

٣٣٠. فيها دليل واضح على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وهو معرفة علماء اليهود والنصارى بالرسول عليه الصلاة والسلام كمعرفتهم بأبنائهم وذلك بما ثبت عندهم من نعته عليه الصلاة والسلام.

٣٣١. فيها: أن الخسارة الحقيقية للنفس هو إعراضها عما خلقت له من الإيمان بالله عز وجل والعمل الصالح.

٣٣٢. تفيد أن معرفة الشر أمر ضروري، وذلك من أجل كشفه وتعريته والرد عليه، صيانة للأمة وحفاظا على دينها. وقد جاء في الأثر: "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

٣٣٣. تفيد: كفر من يفرقون بين الرسل، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، فإن الإيمان لا يصح ولا ينعقد إلا بالإيمان بجميع الرسل والأنبياء، وذلك على الوجه الذي أوجبه الله عز وجل.

٣٣٤. تفيد شـرف النبي صـلى الله عليه وسـلم، وهذا ظاهر من خلال رد الله عز وجل على مخالفيه، ودفاعه عنه، وإلزام مخالفيه بصحة نبوته وصدق رسالته.

٣٣٥. تفيد الترغيب في العدل مع المخالف، فإن المسـلك القرآني هنا مبني على الرد على المخالف من خلال مصـادره ومسـلماته. وهذا خلق قرآني كريم، نراه اليوم غائبا عن كثير من ساحات الخلاف بين الفرق والجماعات من أهل السنة، حيث تكثر الافتراءات في الحكم على المخالف.

٣٣٦. تفيد هذه الآية ما عليه أهل الكتاب من الكذب والتكذيب والبهتان في قَوْلِهِمْ أنّا لا نَعْرِفُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، لِأنَّهم يَعْرِفُونَهُ بِالنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ كما يعرفون أولادهم الذين لا يشكون فيهم.

٣٣٧. قوله ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ تفيد مشروعية استخدام الأقيسة والتشبيهات، من أجل الإيضاح.

٣٣٨. قوله ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ فيها أن من أعظم الخسران أن يخسر الإنسان نفسه بإيرادها في نار جهنم وبئس المصير.

٣٣٩. فيها إعلام من رب العالمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور أنهم يعرفونه وفي هذا افتضاح لأمرهم، وإخراج ما في صدورهم، وخسارتهم لأنفسهم بشركهم، وكفرهم، وحرمانهم رحمة الله التي وسعت كل شي الا الشرك به.

٣٤٠. فيها أن الكفر هو سبب خسران النفس الذي هو أعظم الخسران؛ قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٥]

٣٤١. تفيد أن عدم الإيمان يؤدي إلى الخسران؛ لقوله:﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١]

٣٤٢. قوله ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾ فيها التنفير عن كل صـور الظلم، الظلم في حق الله، أو عباده، أو النفس.

٣٤٣. تفيد تحريم الكذب على الله عز وجل وخطورته.

٣٤٤. تفيد أن من أعظم أنواع الظلم افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾.

٣٤٥. تفيد أن الظلم يتفاوت؛ لقوله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾، وأعظمه الشرك لقوله تعالى: ﴿ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣]

٣٤٦. تفيد ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ أن آيات الله تعالى يجب أن تقابل بالتصديق والإيمان، وليس بالتكذيب والكفران.

٣٤٧. نسبة الآيات إلى الله تعالى في قوله: ﴿ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ يدل على عظمتها وظهورها ودلالتها على التوحيد.

٣٤٨. قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ تفيد خسران الظالمين وهلاكهم وعدم فلاحهم وفي هذا أبلغ التحذير من الظلم، والمقت للظالمين.

٣٤٩. فيها أن من قال في ذات الله أو في أسمائه وصفاته بغير علم وإنما هو كذب يفتريه فإنه داخل في هذا الوعيد ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الرازي.

قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢]

٣٥٠. فيها تهديد ووعيد لأولئك القوم من مشركين، وأهل الكتاب بأن هناك يوما عظيما تحشر فيه الخلائق جميعا ثم مجازاة كل بعمله.

٣٥١. قوله ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ تفيد أن الحشر للجميع لا يتخلف أحد؛ وفي هذا تهويل وتخويف وبيان لشدة يوم القيامة.

٣٥٢. كلمة ﴿ جَمِيعٗا ﴾ تفيد رفع احتمال التخصيص، أي: أن جميع المشركين ومعبوداتهم سيحشرون أمام الله للحساب.

٣٥٣. تفيد بطلان الشرك، وأنه كان زعما لا صحة له، لقوله﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾

٣٥٤. فيها توبيخ للمشركين كما قال – سبحانه-: ﴿ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ مع أنهم محشورون معهم، لأنهم لا نفع يرجى من وجودهم معهم، فلما كانوا كذلك نزلوا منزلة الغائب كما تقول لمن جعل أحدا ظهيرا يعينه في الشدائد إذا لم يعنه وقد وقع في ورطة بحضرته أين فلان؟ فتجعله لعدم نفعه- وإن كان حاضرا- كالغائب.

٣٥٥. تفيد بيان شبهة المشركين وهي اعتقادهم أن الشركاء ينفعونهم يوم القيامة ويشفعون لهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤] ، وغيرها من الآيات.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٣- ٢٤]

٣٥٦. فيها: العطف ب﴿ ثُمَّ ﴾ لتعدد الوقائع قبل هذا الخطاب الموجه للمشركين، إذ قبل ذلك سيكون قيامهم من قبورهم، ويكون هول الموقف، ويكون إحصاء الأعمال وقراءة كل امرئ لكتابه... إلخ،

٣٥٧. فيها أن الفتنة قد تطلق ويراد بها الكفر قال الزمخشري:"﴿ فِتْنَتُهُمْ ﴾ كفرهم. والمعنى: ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم، وقاتلوا عليه وافتخروا به، وقالوا دين آبائنا- إلا جحوده والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء من التدين به. ويجوز أن يراد: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة، لأنه كذب. قال ابن عطية:" والفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشيء والإعجاب به كما تقول فتنت بكذا، وتحتمل الآية هنا هذا المعنى أي لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها، واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبري منها والإنكار لها، وهذا توبيخ لهم كما تقول لرجل كان يدعي مودة آخر، ثم انحرف عنه وعاداه يا فلان لم تكن مودتك لفلان إلا أن شتمته وعاديته، ويقال الفتنة في كلام العرب بمعنى الاختبار، كما قال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ [ص: ٣٤]، وتحتمل الآية هاهنا هذا المعنى لأن سؤالهم عن الشركاء وتوقيفهم اختبار، فالمعنى ثم لم يكن اختبارنا لهم إذ لم يفد ولا أثمر، إلا إنكارهم الإشراك.

٣٥٨. تفيد عاقبة الشرك في الآخرة ، قال الزجاج: تأْويل هذه الآية لطيف جدا. وذلك أَنه تعالى، بَيَّنَ كَوْنَ المشركين مفتونين بشركهم، متهالكين في حبه. فذكَر أَن عاقبة كفرهم الذي لزموه أَعمارهم وقاتلوا عليه، وافتخروا به وقالوا: إِنه دين آبائنا، لم يكن حين رأَوا الحقائق - إلا أَن

تبَرّؤُوا من الشِّـرْكِ، وأَقسـموا على عدم التدين به. ونظير هذا في اللغة: أَن ترى إِنسانا يحب شخصا مذموم الطريقة. فإذا وقع في محنة بسببه تَبرَّأَ منه. فيقال له: ما كانت عاقبة محبتك لفلان: إِلا أَن تبرَّأْتَ منه وتركته.

٣٥٩. فيها أن هذا الذي أخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا ما كذبوا فيه وأقسموا عليه، ولو كان لهم بالله علم لتحققوا بأنه يعلم سرّهم ونجواهم، ولا يخفى عليه شيء من أولاهم وعقباهم، لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما فيه فضائحهم.

٣٦٠. تفيد شدة ما يصب أهل الشرك في الآخرة حتى قالوا ما قالوا، قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف يصحّ أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته؟ قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشاً: ألا تراهم يقولون ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه،﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقد علموا أنه لا يقضى عليهم. وأما قول من يقول: معناه: ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا، وحملُ قوله ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ ﴾ يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام، لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه، وهو نابٍ عنه أشدّ النبوّ. وما أدرى ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨]، فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.

٣٦١. تفيد شدة ما يصيب أهل الشرك في الآخرة لما تقول ألسنتهم ما نكذبه جوارحهم، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى:﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٤٢]، هذه الآية تدل على أن الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئًا يوم القيامة، وقد جاءت آيات أُخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ ﴾ [النحل: ٢٨]،ووجه الجمع في ذلك هو ما بيَّنه ابن عباس – رضي الله عنهما– لما سئل عن قوله: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] مع قوله:﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ

ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ وهو أن ألسنتهم تقول: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. فكتم الحق باعتبار اللسان، وعدمه باعتبار الأيدي والأرجل، وهذا الجمع يشير إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥]، وأجاب بعض العلماء بتعدد الأماكن، فيكتمون في وقت ولا يكتمون في وقت آخر، والعلم عند الله تعالى. انظر: دفع إيهام الاضطراب "١٠/٥٧، ٥٨".

٣٦٢. تفيد أن الحلف لا يكون إلا بالله عز وجل في الدنيا والآخرة، فهؤلاء أكدوا عدم شركهم بالحلف بالله سبحانه وتعالى.

٣٦٣. تفيد ما يقع فيه أهل الشرك من كذب صريح في الآخرة ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ هذا تعجيب من قولهم المفضوح، وكذبهم الصريح، بنفي أنهم أَشركوا في الدنيا على حين أن حقيقة إشراكهم معروفة لربهم. وإن كذبوا على أَنفسهم بنفيها.

٣٦٤. فيها بيان كَذِب الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ تُقَرِّبُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، بَلْ ظَنُّوا ذَلِكَ وَظَنُّهُمُ الْخَطَأُ لَا يُعْذِرُهُمْ وَلَا يُزِيلُ اسْمَ الْكَذِبِ عَنْهُمْ.

٣٦٥. تفيد قبح الكذب وأنه يوصل الإنسان إلى الدركات.

٣٦٦. فيها أن كذبهم إنما هو على أنفسهم، وفي ذلك معاتبة وتقريع لهم.

٣٦٧. فيها بيان حالهم كيف تعايشوا مع هذا الافتراء والكذب، حتى ظنوا أنه حق، وضلوا عن أنه فرية وباطل.

٣٦٨. تفيد خذلان المشرك وضلاله في الآخرة لقوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ فلم يجدوا الشفاعة التي كانوا يعتقدونها في آلهتهم الباطلة.

٣٦٩. تفيد أن الشرك افتراء لا حقيقة له؛ لأن الله عز وجل لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]

٣٧٠. فيها ذم لمن لم يكن حظه من السماع إلاّ سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه.

٣٧١. فيها أنه ليس كل مستمع للحق يتبعه؛ لأن البعض مطموس على قلبه والبعض يعلم أنه الحق ولكن لا يتبعه.

٣٧٢. تفيد خطورة الإعراض فهؤلاء مع اســـتماعهم للقرآن، ومع أثر القرآن العظيم لم ينتفعوا لإعراضهم وكفرهم.

٣٧٣. قوله ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ فيها أن الله سبحانه وتعالى جازاهم بعقوبةٍ من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل صرف الله قلوبهم، وصدّها عن الحق.

٣٧٤. تفيد أن العقل في القلب فهو الذي يفقه؛ لقوله: ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾

٣٧٥. فيها: بيان أن المشركين لا ينتفعون بما يستمعون إليه من القرآن الكريم؛ لأنهم لا يريدون الخير والنفع.

٣٧٦. فيها أن هداية التوفيق بيد الله وحده من أرادها فليتوجه بالسؤال إليه سبحانه.

٣٧٧. تفيد أن الإعراض من العقوبات، وأن الله تعالى يضل الإنسان بعدله؛ فهؤلاء جعل الله على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا بسبب اعراضهم.

٣٧٨. قوله ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ فيها أن العناد والإعراض هو الذي حال بينهم وبين الانتفاع بالقرآن الكريم.

٣٧٩. فيها أن من طبيعة المعاند والمستكبر المخاصمة والمجادلة بالباطل ليدحض به الحق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

٣٨٠. فيها ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ أنهم لا يؤمنون بشـــيء من الآيات التي يرونها بسبب عنادهم وتمردهم، حتى بلغ بهم الكفر والعناد أن جاؤوا إلى النبي مجادلين بالآيات البينات، لا مؤمنين بها.

٣٨١. فيها أنهم قابلوا الحق بالتكذيب والافتراء، فقالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٦ - ٢٧]

٣٨٢. قوله؛﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ فيها أن ديدن أعداء الإسلام الصد عنه، وإيراد الشكوك، وهذا اعتراف منهم بأن الاسلام دين الحق.

٣٨٣. تفيد أنهم كانوا معترفين في قرارة أنفسهم بأن القرآن حق؛، لأنهم لو كانوا يعتقدون أنه أساطير الأولين- كما زعموا- لتركوا الناس يسمعونها ليتأكدوا من أنها خرافات وأوهام، ولكنهم لما كانوا مؤمنين ببلاغة القرآن وصدقه، فإنهم نهوا غيرهم عن سماعه حتى لا يؤمن به وابتعدوا هم عنه حتى لا يتأثروا به فيدخلوا في دين الإسلام.

٣٨٤. فيها: أنهم جمعوا بين الإضلال ﴿ يَنۡهَوۡنَ ﴾ وبين الضلال ﴿ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ ﴾ وهذا أشد من العدوان والظلم.

٣٨٥. فيها: أن سنة الله جارية في كل من أراد إبعاد الناس عن دينه بالهلاك ﴿ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ على عكس ما يظهر لهم من النصر.

٣٨٦. فيها: التحذير من سبل الهلاك والإهلاك سواء شعر أو لم يشعر.

٣٨٧. فيها ﴿ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بيان أن من يصد عن سبيل الله ويضل غيره أن الهلاك والدمار واقع به.

٣٨٨. في قوله تعالى:﴿ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ قصر إضافي، يفيد قلب اعتقادهم لأنهم يظنون بالنهي والنأي عن القرآن أنهم يضرون النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يتبعوه ولا يتبعه الناس، وهم إنما يهلكون أنفسهم بدوامهم على الضلال وبتضليل الناس، فيحملون أوزارهم وأوزار الناس.(التحرير والتنوير).

٣٨٩. في قوله:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ بيان لشدة حالهم وندمهم وذهاب تمنيهم ، قوله ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ ﴾ فيها حذف جواب (لو) لتذهب النفس في تصوره كل مذهب، وذلك أبلغ من ذكره.

٣٩٠. فيها: عبر- سبحانه- ب(إذ) التي تدل على الماضي- مع أن الحديث عما سيحصل لهم في الآخرة فكان يناسبه إذا- لإفادة تحقق الوقوع وتأكده، وليتصور المستقبل على أنه موجود لا على أنه سيوجد، وعطف بالفاء في قوله: ﴿ فَقَالُواْ ﴾ للدلالة على أن أول شيء يقع في قلوبهم حينئذ إنما هو الندم على ما سلف منهم، وتمنى الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا.

٣٩١. فيها: إثبات النار وما فيها من أصناف العذاب.

٣٩٢. قوله ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ فيها أن التمني تجارة المفلسين، وخاصة بعد فوات الأوان، فقد أقروا بأنهم ليسوا مؤمنين لأنهم تمنوا أن يكونوا مؤمنين.

٣٩٣. قوله ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فيها: بيان سوء حال المشركين عند حضور العذاب أجارنا الله جميعا من عذاب الله وشديد عقابه.

٣٩٤. فيها: بيان فظاعة الأمر وشدته ولهذا يتمنى المشرك عند المعاينة أن يرد إلى الدنيا ليعمل صالحا.

٣٩٥. ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فيها: بيان حقيقة أولئك القوم وهو إخفاؤهم الكذب وإنكارهم للبعث والنشور.

٣٩٦. فيها: إقرارهم بآيات الله عز وجل ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

٣٩٧. فيها أن النجاة في الآخرة لا تكون إلا للمؤمنين.

٣٩٨. فيها الترغيب في الإيمان، وصحبة المؤمنين في الدنيا، خاصة العلماء منهم.

قال تعالى: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨-٢٩].

٣٩٩. قوله ﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ ﴾ فيها بيان أثر ما تخفيه السرائر يوم القيامة. والمعنى أنه بدا لهم ما كانوا يجحدون من الشرك والنفاق، وعرفوا أنهم هالكون، فعدلوا إلى التمني والمواعيد الكاذبة.

٤٠٠. فيها بيانٌ لحرص المكذبين ومن لف لفهم على إخفاء الحقيقة بجميع الطرق الممكنة، فإيثار لفظ الخفاء ﴿ يُخۡفُونَ ﴾ دليل على تمكن الخوف من معرفة الناس لما يجول في نفوسهم في الدنيا.

٤٠١. التعبير بقوله تعالى: ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ دون الدنيا، لبيان قصر المسافة الزمانية المحسوسة في الآخرة، فهم يستحضرون خفيات نفوسهم من قبل في ذلك اليوم، ففيه كشف عن كوامن النفوس التي يستشعرها القوم يومئذ.

٤٠٢. فيها إظهار لتناقض أقوال هؤلاء المكذبين مع ما كانوا يخفونه في الدنيا، فهم أخفوا ما كان يجول في نفوسهم من البعث، الذي أنكرته ألسنتهم، فتناقض نطق اللسان مع مكنون الجنان، فاستحقوا بذلك النيران.

٤٠٣. قوله ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ تفيد أن الله عز وجل يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ لأن عودتهم إلى الدنيا لا تكون ومع ذلك بيّن الله سبحانه وتعالى كيف يكون حالهم لو عادوا فسبحان العليم الخبير.

٤٠٤. ففيها: رد على القدرية الغلاة؛ لقوله: ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾

٤٠٥. فيها بيان لسبب من أسباب خلود الكافرين في النار، وردٌّ على من يقول: كيف يعذبون مدة أطول بكثير من مدة كفرهم وبقائهم في الدنيا؟! فيقال: إنهم لو قدر لهم البقاء في الدنيا لبقوا على كفرهم، بل لو عاينوا العذاب ثم ردوا للدنيا لعادوا إلى الكفر.

٤٠٦. تفيد شدة عناد الكفار وحرصهم على الكفر ولذلك استحقوا العذاب الأليم والخلود في الجحيم.

٤٠٧. قوله ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ تفيد أن الكفار كاذبون في قولهم واعتقادهم؛ وفي هذا توجيه للمسلم أن لا يغتر بهم ولا بأقوالهم، ولا بكثرتهم وتقلبهم في البلاد.

٤٠٨. تفيد اغترار الكفار بالدنيا وإنكارهم للبعث والنشور.

٤٠٩. تفيد خطورة العناد والاستكبار على الإنسان فإنها تورده موارد الهلاك.

٤١٠. تفيد أن الأغراض الفاسدة تصد الإنسان عن الهدى وتصرف قلبه عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب. قوله ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

٤١١. تفيد ما طبع عليه هؤلاء الجاحدون من فجور وعناد وافتراء؛ لأنهم حتى لو أجيبوا إلى طلبهم- على سبيل الفرض والتقدير- لما تخلوا عن كفرهم ومحاربتهم للأنبياء وللمصلحين.

٤١٢. في قوله:﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ارتقاء في إبطال قولهم حتى يكون بمنزلة التسليم الجدلي في المناظرة، أي لو أجيبت أمنيتهم وردّوا إلى الدنيا لعادوا للأمر الذي كان النبي ينهاهم عنه، وهو التكذيب وإنكار البعث؛ وذلك لأنّ نفوسهم التي كذّبت فيما مضى تكذيب مكابرة بعد إتيان الآيات البيّنات، هي النفوس التي أرجعت إليهم يوم البعث فالعقل العقل والتفكير التفكير، وإنّما تمنّوا ما تمنّوا من شدّة الهول فتوهّموا التخلّص منه بهذا التمنّي فلو تحقّق تمنّيهم وردّوا واستراحوا من ذلك الهول لغلبت أهواؤهم رشدَهم فنسوا ما حلّ بهم ورجعوا إلى ما ألفوا من التكذيب والمكابرة.

٤١٣. في هذا دليل على أنّ الخواطر الناشئة عن عوامل الحسّ دون النظر والدليل لا قرار لها في النفس ولا تسير على مقتضاها إلاّ ريثما يدوم ذلك الإحساس فإذا زال زال أثره، فالانفعال به يشبه انفعال العجماوات من الزّجر والسّوط ونحوهما، ويزول بزواله حتّى يعاوده مثلُه. (التحرير والتنوير)

٤١٤. تفيد أنّ الكذب سجيّة لهم قد تطبّعوا عليها من الدنيا فلا عجب أن يتمنّوا الرجوع ليؤمنوا فلو رجعوا لعادوا لما كانوا عليه فإنّ الكذب سجيّتهم، لقوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ قال ابن عاشور: جيء بالجملة الاسمية الدالّة على الدوام والثبات، أي وقد تضمّن تمنِّيهم وعدا، فلذلك صحّ إدخاله في حكم كذبهم دخول الخاصّ في العامّ، لأنّ التذييل يؤذن بشمول ما ذيّل به

وزيادة، فليس وصفهم بالكذب بعائد إلى التمنّي بل إلى ما تضمّنه من الوعد بالإيمان وعدم التكذيب بآيات الله. قاله ابن عاشور

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٠].

٤١٥. فيها عظم هذا الموقف وهوله وشدته وهذا مأخوذ من حذف جواب (لو) أي لرأيت أمرا فظيعا هائلا.

٤١٦. قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ فيها تسلية للنبي الكريم وأمته.

٤١٧. قوله﴿ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ فيها أن الله تعالى بين ربوبيته لهم لبيان كمال سلطانه وأنهم مربوبون مقهورون لحكمه، وأنه رب الكفار كما هو رب المؤمنين.

٤١٨. فيها إذلالهم لوقوفهم للتقريع والاعتراف بين يديه.

٤١٩. فيها إثبات القيام والعرض على رب العالمين سبحانه إذ أنك تري ذلك لا محالة.

٤٢٠. قوله ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ فيها التنبيه إلى أن الله تعالى يخاطب الكفار في بعض المواقف خطاب تقريع وتوبيخ ولإقرارهم بقيام الحجة عليهم لاستحقاقهم العذاب، وهذا منها.

٤٢١. قوله ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ فيها أن اعترافهم وتأكيدهم ذلك بالقسم الدال على ندمهم وتحسرهم على ما كان من تكذيب بالبعث وبالحق لا ينفعهم يوم القيامة ولا يقيهم العذاب.

٤٢٢. قوله ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ فيها أنهم اعترفوا هم بهذه الربوبية له تعالى، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتراف، ولم يشفع لهم.

٤٢٣. تفيد عدل الله سبحانه وتعالى، حيث أقروا بالحق، وأقسموا على ذلك ثم أذاقهم العذاب الأليم بما كانوا يكفرون.

٤٢٤. قوله ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ تفيد أن الحلف لا يكون إلا بالله عز وجل في الدنيا والآخرة.

٤٢٥. فيها إثبات القول المسموع لربنا تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

٤٢٦. هذا رد على القائلين بأن كلام الله هو المعنى النفسي غير المسموع.

٤٢٧. قوله ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ فيها سرعة أخذهم للعذاب حيث أتي الفعل بالفاء.

٤٢٨. فيها شدة العذاب عليهم حتى كأنه يذاق ذوقا، قال ابن عاشور: لأنّ الذوق أقوى الحواسّ المباشرة للجسم، فشبّه به إحساس الجلد.

٤٢٩. فيها أن المؤاخذة لا تكون إلا بعد قيام الحجة، ووجهه أن الباء للسببية في قوله:﴿ بِمَا﴾ أي: بسبب كفركم.

٤٣٠. فيها ما يستفيد منه الدعاة والمربون في إبراز الجانب التصويري التخيلي للتقريب للأفهام كل غائب، فالآية تصور الفصل والقضاء، فالمجرمون وقفوا، والقاضي العليم الخبير، والسؤال شديد، والاعتراف لا مفر منه، والحكم سريع بالعذاب، والزبانية حضور.

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١]

٤٣١. قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ﴾ تفيد: أن الخسران والخيبة والندامة على من كذب بلقاء الله عز وجل وأعرض عن ذكره والإيمان به وطاعته.

٤٣٢. تفيد أن أعظم المكاسب، الإيمان بالله، وأعظم الخسارات الكفر به.

٤٣٣. قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ تفيد إثبات لقاء الله عز وجل، وهو يتضمن الرؤية، وفي ضمن ذلك الحث على الاستعداد لهذا اللقاء بالإيمان والعمل الصالح.

٤٣٤. قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ تفيد أن الساعة تأتي بغتة وفي هذا من التخويف ما فيه.

٤٣٥. قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فيها رد على كل من ادعى معرفة وقت الساعة.

٤٣٦. تفيد أنه لا يعلم الغيب إلا الله، ومن الغيب: علم الساعة.

٤٣٧. تفيد التخويف من الساعة؛ وسميت القيامة ساعة لسرعة الحساب فيها، ولأنها تحمل أشد الأهوال، ولأنها فاصلة بين نوعين من الحياة: فانية وأخرى باقية.

٤٣٨. قوله ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ تفيد تحسر من كفر بالله عز وجل حيث اشترى الكفر بالإيمان والطاعة بالعصيان والتوحيد بالشرك.

٤٣٩. فيها أن كل لحظه تمر علي حياة المرء، ولم يستفد منها بعمل صالح متقبل فهي حسرة عليه وإن كان من المحسنين.

٤٤٠. : تفيد اعترافهم بالتفريط في الساعة، رغم أنهم في موضع آخر سيقولون: ما كنا نعمل من سوء.

٤٤١. تفيد الترغيب في العمل للآخرة والاستعداد ليوم المعاد حتى لا يكون الإنسان من المتحسرين كهؤلاء.

٤٤٢. قوله ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ فيها أن للذنوب ثقلا معنويا على القلوب، وثقلا حسيا على الظهور.

٤٤٣. فائدة ذكر الحمل على الظهر دون غيره، كالحمل على الرأس أو المنكب، للإشارة إلى ذلهم وانكسارهم؛ لأن غالب من يحمل على ظهره ينحني؛ فهم من عظم أوزارهم انكسروا وذلوا؛ قال الله: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٤٥]

٤٤٤. قوله ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ تفيد: قبح المعاصي والذنوب حيث تردي بصاحبها وتهلكه.

٤٤٥. تفيد التحذير من الأوزار والذنوب لأن الإنسان يحملها على ظهره يوم القيامة..

قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢]

٤٤٦. فيها مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ وهي أنه لما ذكر قبلها تكذيبهم بالبعث، أعقبه بالتحذير من الدنيا.

٤٤٧. وقيل المناسبة هي أنه لما جرى ذكر الساعة، وما يلحق المشركين فيها من الحسرة على ما فرّطوا ناسب أن يذكّر الناس بأنّ الحياة الدنيا زائلة، وأنّ عليهم أن يستعدّوا للحياة الآخرة.

٤٤٨. تفيد مع ما قبلها من قوله ﴿ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ٣١]، أن التفريط في الدنيا إنما يكون من العاجز من خلال اللعب واللهو اتباعا لهواه؛ والكيس التقي هو من تجنب هذا التفريط وعمل لما بعد الموت لقوله تعالى: ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾

٤٤٩. قوله:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾فيها بيان حقيقة الدنيا والآخرة ليختار الإنسان على بينة، قال السعدي: هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان. وأما الآخرة، فإنها ﴿ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد، وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أيّ الدارين أحق بالإيثار.

٤٥٠. فيها تزهيد في الدنيا، وترغيب في الآخرة، ولذا جاءت بصيغة الحصر بل أقوى درجات الحصر وهو النفي والإثبات على أنها لعب ولهو، فلا تستحق العناية والاهتمام إلا بما ينفع في الآخرة.

٤٥١. فيها تحقير الدنيا من تسميتها (دنيا)، وفي الحديث المشهور: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء". ابن ماجة ٤١١٠، وصححه الألباني. قال البغوي: سميت الدنيا لدنوها، وقيل: لدناءتها. (معالم التنزيل)

٤٥٢. تفيد أنه ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به واللهو ما يلتهى به، وما كان مرادا للآخرة خارج عنهما ؛ وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي

طالب رضي الله عنه فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها. قال القرطبي: "من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تستدرك الآخرة.

٤٥٣. تفيد التحذير من اللعب واللهو وأنهما سبب في نسيان الآخرة.

٤٥٤. قوله:﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ تفيد أن حال الدنيا في الغالب اللعب واللهو.

٤٥٥. تفيد أن غالب الكفار يقضون حياتهم في اللهو واللعب ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ ﴾ قال ابن عباس: هذه حياة الكاف؛ر لأنه يزجيها في غرور وباطل، فأما حياة المؤمن فتنطوي على أعمال صالحة، فلا تكون لهوا ولعبا.

٤٥٦. فيها إشارة إلى قصر الدنيا، وزوال انقضائها، لقوله قوله:﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ أي: لقصر مدته لأن وقت اللهو واللعب قصير.

٤٥٧. تفيد أن اللعب واللهو لغوٌ لا أجر فيه كما دل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم «كُلُّ شَيْءٍ يَلْهُو بِهِ ابْنُ آدَمَ فَهُوَ بَاطِلٌ إِلَّا ثَلَاثًا: رَمْيُهُ عَنْ قَوْسِهِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ»، رواه الإمام أحمد وهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده. فينبغي على العاقل أن لا يكثر منهما إلا فيما جاء به الحديث، وفيما لا إثم فيه.

٤٥٨. حصر الدنيا باللعب واللهو قطعا ليس داخلا فيه الإيمان والأعمال الصالحة، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وعالم ومتعلم.

٤٥٩. تفيد: عدم الاغترار بالحياة الدنيا والركون اليها.

٤٦٠. فيها: أن الدنيا إن لم تعمر بطاعته سبحانه فهي لعب بالجوارح، ولهو في القلوب.

٤٦١. فيها أن الناس في الدنيا أصناف: منهم من يلهو ويلعب ويؤثر الدنيا، وآخر يعقل فيتق الله ويؤثر الآخرة، وهم في كل ذلك مراتب ودرجات.

٤٦٢. فيها أن الانشغال باللهو واللعب ليس حال المتقين ممن آثروا الآخرة فاعقل.

٤٦٣. فائدة: هنا قدم ذكر اللعب على اللهو، وقد قدم سبحانه اللهو على اللعب في موضعين الأعراف والعنكبوت، والحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أنه في سورة العنكبوت: قال تعالى ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ولو لاحظنا الآية التي سبقتها ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، فالرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] ففيها نهي من الله تعالى للمؤمنين عن الالتهاء بجمع الأموال. والعباد عموماً يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب. أما آية الأعراف فكانت من كلام أهل الجنة عن أهل النار وحالهم أقرب إلى اللهو لتكليفهم.

٤٦٤. قوله ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تفيد الاهتمام بشأن الآخرة والاجتهاد في الأعمال الصالحة.

٤٦٥. تفيد نفي العقل عمن آثر الفانية على الباقية.

٤٦٦. فيها: إثبات الدار الآخرة، لأن إثبات الوصف يدل على إثبات الأصل.

٤٦٧. فيها: أن الآخرة شر على الكافرين وأتباعهم بمفهوم المخالفة.

٤٦٨. فيها توبيخ للمؤثرين الدنيا على الآخرة ولذا جاء الاستفهام التوبيخي بقوله قوله ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

٤٦٩. قوله ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ تفيد تعظيم الآخرة وما فيها وأنها خير وأبقى للذين اتقوا.

٤٧٠. قوله ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تفيد أن إيثار الآخرة على الدنيا دليل على العقل الراجح واللب الناصح والعكس بالعكس.

٤٧١. تفيد التوجيه إلى التدبر والتفكر في أمر الدنيا والآخرة؛ قال طنطاوي: والاستفهام في قوله- تعالى- ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ للحث على التدبر والتفكر والموازنة بين اللذات العاجلة الفانية التي تكون في الدنيا، وبين النعيم الدائم الباقي الذي يكون في الآخرة.

٤٧٢. تفيد الحث على التقوى وأنها سبب الرفعة في الآخرة، وأن اهل التقوى في خير المنازل؛ قوله ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾

٤٧٣. فيها توبيخ لمن لا يعمل عقله في هذه الأمور، قال ابن جرير الطبري: يقول: أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقةَ ما نخبرهم به، من أن الحياة الدنيا لعب ولهوٌ، وهم يرون من يُخْتَرم منهم، ومن يهلك فيموت، ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبُه المصائب وتفجعه الفجائع. ففي ذلك لمن عقل مدَّكر ومزدجر عن الركون إليها، واستعباد النفس لها، ودليلٌ واضح على أن لها مدبِّرًا ومصرفًا يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له، بغير إشراك شيءٍ سواه معه.

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]

٤٧٤. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنها استئناف ابتدائي قصد به تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره بالصبر، ووعده بالنصر، وتأييسه من إيمان المغالين في الكفر، ووعده بإيمان فريق منهم بقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقد تهيّأ المقام لهذا الغرض بعد الفراغ من محاجّة المشركين في إبطال شركهم وإبطال إنكارهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والفراغ من وعيدهم وفضيحة مكابرتهم ابتداء من قوله: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام: ٤]، إلى هنا. (ينظر التحرير والتنوير)

٤٧٥. تفيد تأكيد صفة العلم لله تعالى؛ لقوله﴿ قَدْ نَعْلَمُ ﴾ علما مستمرا أزلا فلا بداية له، وأبدا فلا نهاية له؛ فعلمه يعم كل شيء، فلا يغفل ولا ينسى.

٤٧٦. تفيد بشرية الرسول ﷺ؛ لقوله: ﴿ لَيَحْزُنُكَ ﴾ حيث يتأذى كما يتأذى بنو آدم من سماع ما يكرهون وما لا يحبون سماعه من اتهام وتجريح.

٤٧٧. قوله ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ فيه إثبات الابتلاء للدعاة إلى الله فأكثر الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم.

٤٧٨. يفيد التعبير بالحزن شفقة النبي عليهم مع تكذيبهم له؛ لأن الحزن يكون لفقد محبوب.

٤٧٩. فيها التطمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قد بلغ الرسالة بلاغا مبينا واعتراضهم هو عناد وجحود فقط.

٤٨٠. في الآية دعوة إلى الصبر في سبيل الله، واحتمال الأذى وعدَم التردد في اتباع سبيل الهدي وإن قل سالكوه.

٤٨١. فيها عظم التعزية للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ولمن تبع سبيله في الدعوة عامة بأن معاناتهم قد علمها علام الغيوب.

٤٨٢. تفيد: أنه ينبغي تسلية الداعي، سيما الذي كثر عليه أذى الناس.

٤٨٣. قوله﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ﴾ فيها أن الداعية الصادق هو من يحزن حين يعرض الناس عند دعوة الحق.

٤٨٤. تفيد الحث على الصبر على مشاق الدعوة؛ لأن الأقوال المحزنة المؤذية مستمرة، وكذلك التكذيب ولذلك عبّر بالمضارع: ﴿ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من الدعاة.

٤٨٥. قوله﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ فيها أن الجحود من أعظم صفات الظالمين.

٤٨٦. فيها أن تكذيب الرسل في الكفرة قليل بالنسبة لأنواع الكفر الأخرى كالإعراض والجحود والإباء والاستكبار، لما أيدهم الله بالحجج الساطعة والبراهين الواضحة.

٤٨٧. فيها: بيان ما كان عليه أهل الكفر في إنكار ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وهم يؤمنون به باطنا.

٤٨٨. تفيد عظم آيات الله تعالى وظهورها وجلالها وهذا من إضافتها إلى الله عز وجل؛ ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

٤٨٩. تفيد أن الجحود من الظلم العظيم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤]

٤٩٠. قوله ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ فيها التأكيد على أمر الصبر في إيصال رسالة الحق للخلق؛ فقد بدأ الله بما يدل على القسم.

٤٩١. التحقيق في أول الآية يشير إلى أهمية تحرز الدعاة والمصلحين وتهيئتهم النفسية لما سيلاقونه في هذا الطريق.

٤٩٢. فيها أن عظم المصائب والابتلاءات من كرامة العبد عند ربه، لا من مهانته عنده، ويؤيده (أشد الناس بلاء الأنبياء..)

٤٩٣. فيها أن المصائب قد تمحص ويمحو الله بها الذنوب وقد تُرفع بها الدرجة، وذلك بحسب الواقعة عليه.

٤٩٤. تفيد أن سنت الأولين تكذيب الرسل، وأن سنة الرسل الصبر، وتحمل الأذى فلنقتد بهم.

٤٩٥. فيها أن التكذيب يحتاج إلى صبر، وإن لم يرافقه أذى بحسب اختلاف الوقف في الآية، وفي ذلك إشارة إلى الألم المعنوي الذي يصيب الداعي عندما تكذب دعوته، وذلك لا ينتج إلا عند تفاعل الداعي مع دعوته وقناعته بأحقيتها، وصدقها وحرصه على نجاة من يدعوهم، وبذلك تكون الآية قد ألمحت إلى بعض مقومات الدعاة، وبعض صفاتهم الواجبة والمستحبة.

٤٩٦. كل داع إلى غير ما ألفه الناس واعتادوه لا بد أن يصبر على ما يصيبه جراء ذلك، وفيه إشارة إلى صعوبة التحول عن الموروث الا للعقول النيرة والقلوب المزهرة.

٤٩٧. فيها الحكمة من إرسال الأنبياء مع تكذيبهم إقامة الحجة.

٤٩٨. فيها: أن تكذيب الأنبياء ليس حديث عهد.

٤٩٩. فيها دليل على عظم عتو المكذبين فمع كثرة الأدلة والبراهين تكذيب للرسل.

٥٠٠. فيها بيان سنة من سنن الله في خلقه وتتمثل في أن عادة أعداء الرسل تكذيب الرسل بكل المجالات لصد الناس عن الهدى واتباع الرسل.

٥٠١. فيها بيان أن طريق الدعوة إلى الله يعتريه المصاعب والمشاق فعلى الداعية التحلي بزاد الصبر والثقة بنصر الله عز وجل.

٥٠٢. فيها تقوية لعزيمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتطمين لقلبه وخاطره بذكر ما وقع لمن كان قبله من الرسل من التكذيب والإيذاء وما كان منهم من الصبر على ذلك حتى جاء وعد الله.

٥٠٣. قوله ﴿ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ زيادة (من) فيها أن كل الرسل من أولهم إلى آخرهم قد كذبوا وأوذوا، فمن طلب السلامة من التكذيب والأذى من الدعاة فقد طلب المحال.

٥٠٤. فيها﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ ﴾ صبر الرسل على تكذيب أعدائهم وأذى أقوامهم، وذلك من عظيم رحمتهم بهم كي يهتدوا للحق.

٥٠٥. فيها أنه لا عزاء للدعاة إلى الله أعظم من الصبر والنظر في سير السابقين.

٥٠٦. فيها: الثناء على الرسل بالصبر على ما كذبوا وأوذوا.

٥٠٧. فيها أن الصبر على الدعوة وعلى أذى المخالفين من الجهاد.

٥٠٨. فيها أنه يجب علينا اتخاذ الرسل قدوة فنصبر على الأذى والعاقبة للمتقين.

٥٠٩. قوله ﴿ وَأُوذُواْ ﴾ فيها: الاعتداء على الرسل ليس فقط تكذيب وإنما إيذاء لهم ولأتباعهم أذى جسدي أو مالي أو عسكري.

٥١٠. فيها أنه لو شاء الله لانتصر خير الخلق عليهم السلام دون أذى أو تكذيب لكنها سنة الله في الابتلاء قبل التمكين.

٥١١. تفيد ﴿ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ أن النصر مفعم بالأذى والتكذيب والابتلاء فتصبّر.

٥١٢. فيها أن النصــر لا يكون إلا بعد الابتلاء، ولذا جاء في الحديث (واعلم أن النصــر مع الصبر).

٥١٣. فيها بيان وعد الله عز وجل لأوليائه بالنصــــر والتمكين، ووعيده لأعدائه ومن خالف أمره بالهلاك والهزيمة والذل والصغار.

٥١٤. تفيد فضل الصبر، وأثره في تحقق النصر.

٥١٥. تفيد أن النصر يأتي من عند الله في الوقت الذي يقدره هو وحده.

٥١٦. تفيد أن نصر الله تعالى آت لا محالة.

٥١٧. فيها أن الجزاء من جنس العمل، فلما كان صــبرهم على التكذيب والأذى هو انتصــارا لدين الله جازاهم الله بنصره.

٥١٨. حرف الغاية (حتى) فيه إشارة لأهمية استمرار الصبر بنفس القوة والثبات إلى أن يتحقق نصر الله وإن طال الجهاد.

٥١٩. نسبة النصر لله و(نا) الدالة على التعظيم فيه إشارة لقوة وعزة النصر الذي أتاهم، وفيه دلالة على قوة صبرهم.

٥٢٠. فيها إشــارة إلى أن النصــر أنواع، فهناك نصــر في ميدان القتال الحسـي الجسـدي الذي تكون عاقبته الاسـتشـهاد أو النصــر، وهناك نصــر في ميدان الصــراع العقدي والفكري عاقبته التمكين في الأرض.

٥٢١. قوله:﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى

٥٢٢. تفيد بمفهوم التلازم حفظ كتابه الكريم.

٥٢٣. تفيد ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ أن فوائد قصـــص الأنبياء رفع الهمة وتقوية العقيدة وتحقيق الثبات ويؤيده﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]

٥٢٤. تفيد أن الدعاة يجب أن يستصحبوا دائما أخبار السابقين وقصص المرسلين فهي لا تقل أهمية عن الإلمام بمفردات منهج الإسلام في تربية الذات وفي الدعوة.

٥٢٥. تفيد الإيمان بالرسل، وعظمة أنبائهم، وإثبات الرسالات.

٥٢٦. فيها أهمية الحياة على أمل الانتصار، وأثر ذلك في الحيوية في الدعوة. وهي رسالة للمتشائمين والمتحطمين نفسيا.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥]

٥٢٧. فيها بيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الناس إلى الحق.

٥٢٨. فيها بيان أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم هي البلاغ، ومن حرصه –صلى الله عليه وسلّم– على هداية قومه أن لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض، أو من فوق السماء لفعل ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾.

٥٢٩. فيها ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ إشارة إلى كفر الإعراض، وهو الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ولا يهمه ذلك وبالتعبير النبوي الشريف (من لم يرفع بذلك رأسا)رواه البخاري.

٥٣٠. تفيد أن هؤلاء المشركين لا ينقصهم الدليل الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنهم يعرضون عن دعوته عنادا وجحودا.

٥٣١. تفيد أن بعض الناس لا تزيده الآيات إلا كفرا وإعراضا؛ كما قال تعالى: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠]

٥٣٢. فيها تهدئة لبال النبي عليه الصلاة والسلام في شدة حرصه على هداية الناس في أن الهداية بيد الله عز وجل ولو شاء ربك لهدى الناس كلهم جميعا.

٥٣٣. فيها تأكيد أن الأمر كله لله، وليس لأحد من الأمر شيء.

٥٣٤. فيها الإشارة إلى مرتبة الإنكار للمنكر بالقلب لقوله ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ أي عظم في نفسك فحزنت وتألمت لذلك.

٥٣٥. فيها تأكيد على كمال عنايته سبحانه بنبي الهدى صلى الله عليه وسلم.

٥٣٦. فيها أنه يجب على المسلم أن يحزن ويتألم عند إعراض الناس عن الحق، ومقارفة المعاصي كما يفرح عند إقبال الناس وعمل الطاعات، ولهذا قال بعض السلف – زهير بن نعيم –:" ووالله وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوا الله عز وجل. الحلية "

٥٣٧. تفيد أن لله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة في إضلال هؤلاء لقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾.

٥٣٨. فيها أن هداية التوفيق بيد الله تعالى وحده، أما هداية الدلالة والبيان فهي لله تعالى ولنبيه صلى الله عليه وسلم.

٥٣٩. في الآية إظهار لعظمة الله سبحانه وكمال قدرته.

٥٤٠. تفيد إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٥٤١. تفيد أن من يضلل الله فلا هادي له؛ لقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ فاقتضت حكمته إضلالهم.

٥٤٢. قوله سبحانه ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فيها: بيان تعظيم الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعله في أفضل الحالات وأكملها وفي خير المقامات وأجلها وذلك بإبعاده عن ساحة الجاهلين.

٥٤٣. قوله ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ فيها ذم الجهل، وكفى به عيبا، ولذا فإن مجرد وصف الفعل بأنه من خصال الجاهلية، أو أفعال الجاهلين فإن هذا كاف في رده وذمه.

٥٤٤. الجهل هنا ضد العلم لا ضد الحلم، وليس كل جهل بهذا المعنى عيبا ؛ لأن المخلوق لا يحيط بكل شيء علما، وإنما يذم الإنسان بجهل ما يجب عليه، ثم بجهل ما ينبغي له ويعد كمالا في حقه إذا لم يكن معذورا فيجهله. قال تعالى في الفقراء المتعففين: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فوصف الجاهل هنا غير ذم، وكان عدم علم خاتم الرسل

بالكتابة من أركان آياته، وعدم علمه بالشعر من أدلة الوحي وبيناته، وكل ما يتوقف علمه على الوحي الإلهي لا يكون جهل الرسول إياه قبل نزوله عليه عيبا يذم به؛ إذ لا يذم الإنسان إلا بما يقصر في تحصيله وكسبه، وقد أمر الله تعالى رسوله بأن يسأله زيادة العلم، وكان يزيده كل يوم علما وكمالا بتنزيل القرآن وبفهمه، وبغير ذلك من العلم والحكمة، ولا يقتضي ذلك الذم قبل هذه الزيادة، وإنما الذي يذم مطلقا هو الجهل المرادف للسفه وهو ضد الحلم.)

٥٤٥. فيها إثبات كون القرآن وحيًا من عند الله تعالى فلو كان من عند محمد صلى الله عليه وسلم كما يزعم المبطلون لما قال ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

٥٤٦. فيها: نفي الجهل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦]

٥٤٧. فيها مناسبة لما قبلها؛ ووجهه: أنه تعالى ذكره أخبر في التي قبلها ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٣٥]،بين هنا إنما لم يفعل لأنهم لم يستجيبوا له - سبحانه - فقال:﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ يعني يقبلون، ففيها رد واضح على الجبرية، وفي التي قبلها رد على القدرية النفاة، وكما قال: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]

٥٤٨. فيها ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الحث على الاستجابة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه ذكر المستجيبين في سياق المدح.

٥٤٩. تفيد أن الاستجابة الحقيقية تكون مقرونة بالتفكر والتأمل، فهي إجابة محكمة دقيقة لأنها أتت بعد استقراء وتدبر وهذا ما تدل عليه السين.

٥٥٠. فيها: حذف متعلّق ﴿ يَسْتَجِيبُ ﴾ لظهوره من المقام لأنّ المقام مقام الدعوة إلى التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥٥١. قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ فيها أن السماع المفيد هو سماع الاعتبار خاصة، والاستجابة، أما مجرد السماع فيستوي فيه الكافر والمؤمن، لكن الأصم إنما يكلف على قدر فهمه بالإشارة.

٥٥٢. فيها أن السمع هو معيار التكليف.

٥٥٣. فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فإنما يستجيب لداعي الإيمان الذين يقيمون الآيات.

٥٥٤. فيها الحث على سماع الوحي، وقبول الحق الذي جاء به والانقياد له، فهو مادة حياة القلوب.

٥٥٥. فيها أن السماع هو طريق العلم بالنبوة والآيات المعجزة.

٥٥٦. تدل على قاعدة أن كل مؤمن حي، وليس كل حي مؤمنا فاقتُصر على ذكر الحياة الأتم والأكمل، بالآية اكتفاء في أولها واستعارة في آخرها، الاكتفاء بذكر﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ عن ذكر الأحياء ما يشير إلى أن الحياة الحقيقية المعتبرة عند الله تعالى هي حياة القلوب المستجيبة لنداء الإيمان.

٥٥٧. فيها تنويه بأهل الإيمان، وتشنيع وتحقير لكل معرض ومعاند ميت القلب.

٥٥٨. فيها أن المعرضين كالموتى لا ترجى منهم استجابة.

٥٥٩. دلت على أن كل من لا يستجيب هو عين الميت كأن الموت الحقيقي هو موت القلب فقط لا موت البدن، ويؤيده ذلك أن الشهداء أموات حكما وأحياء حقيقة عند ربهم يرزقون.

٥٦٠. فيها: أنه كلما صار الانسان أكثر وأسمع لكلام الله ورسوله صارت استجابته أقوى، للقاعدة: "أن ما علق على وصف فإنه يزداد قوة بحسب هذا الوصف الذي علق عليه الحكم".

٥٦١. فيها أن كل من لم يستفد بما يعلم، أو ما حباه الله كمثل الحمار يحمل أسفارا فهو في عداد الموتى لان حياة المسلم بحياة قلبه.

٥٦٢. فيها أن الاستجابة لأمر الله ورسوله، سبب في هداية الله للعبد، والعكس.

٥٦٣. تفيد إثبات البعث في اليوم الآخر ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾.

٥٦٤. فيها أن الذي لا ينتفع بما يسمع هو بمنزلة الموتى.

٥٦٥. فيها: التهديد الشديد للكفار الذين لا يسمعون بأن الله سيبعثهم ويجازيهم.

٥٦٦. فيها: بيان قدرة الله الكاملة في البعث.

٥٦٧. تفيد أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله فكذلك الذين لا يسمعون.

٥٦٨. تفيد أن الذي يبعث هو الله عز وجل وهذا من أعظم صفاته.

٥٦٩. قوله ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فيها: المرجع مهما طال أو قصر إلى أعدل العادلين وأحكم الحاكمين سبحانه وبحمده.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧]

٥٧٠. قوله ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ فيها أن التمني غالبه يدل على جهل صاحبه، وأنه اتهام لله في عدله وحكمته.

٥٧١. قوله ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ تفيد إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه وهو العلي العظيم.

٥٧٢. فيها إشارة إلى أن من سنن الله تعالى تنزيل الآيات؛ من الكتب المنزلة على الرسل السابقين، وتأييدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم.

٥٧٣. تفيد أن تكذيبهم النبي الكريم يدل على عدم توقير الكافرين له عليه الصلاة و السلام.

٥٧٤. فيها أن المعاند لابد من أن يبحث عن المبررات.

٥٧٥. فيها إشارة إلى أن الكفر ملة واحدة، فالكفار مع اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم مجمعون على التعنت على الرسل بطلب إنزال الآيات استهزاء.

٥٧٦. تفيد سعي الكفار الحثيث في إثارة الشبهات بين الناس في دينهم، ففيه وجوب الرد على كل من يسعى إلى فتنة الناس في دينهم فورا.

٥٧٧. تفيد شدة عدوان الكافرين وعتوهم حيث تمنوا إنزال الآيات مع أن عقوبة الكفر بها هو الإهلاك كما كان في الأمم السابقين.

٥٧٨. تفيد قوله ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ أهمية أسلوب التلقين في ترسيخ وتثبيت العقيدة الصحيحة.

٥٧٩. فيها بيان قدرة الله وحكمته.

٥٨٠. فيها الرد للمجادل بالمثل، حيث إنهم استخفوا بنبيه فرد عليهم أنه قادر على أن ينزل آية.

٥٨١. يؤخذ من الآية أن الله يدافع عن الدعاة إلى دينه، ويثبتهم في المواقف العصيبة، ويؤيدهم بالحجج والبراهين، ما يغلبون بها المعاندين لهم.

٥٨٢. فيها أن أكثرهم لا يعلمون بذلك، وأن منهم مقرون عالمون جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

٥٨٣. تفيد حكمة الله البالغة في إنزال الآيات، وأن هذا رحمة لهم لخطورة التكذيب بآيات الاقتراح.

٥٨٤. تفيد جهل الكفار وإن بلغوا ما بلغوا في التقدم المادي؛ لقوله﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال في الروم: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٦ – ٧]

٥٨٥. تفيد ذم الجهل، وخصوصا الجهل بالعقيدة الصحيحة.

٥٨٦. تفيد أن طلب الآيات يدل على شدة جهل الكفار؛ لأنها لو جاءتهم، فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب، كما هي سنة الله، التي لا تبديل لها.

٥٨٧. تفيد أن طلب الآيات لم يكن القصد منه بيان الحق، وتوضح السبيل؛ لأنه قد أتى محمد صلى الله عليه وسلم بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة، دالة على ما جاء به من الحق، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين، أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية، بحيث لا تبقي في القلوب أدنى شك وارتياب، فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأيده بالآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

٥٨٨. يفيد أنهم لا يؤمنون حتى ولو جاءتهم الآيات التي اقترحوها، لأن عدم إيمانهم ليس عن نقص في الدليل ولكنه عن تكبر وجحود.

٥٨٩. فيها بيان حال أولئك القوم في التعنت والاستكبار بطلبهم آية خارقة تبين صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥٩٠. قوله ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أسلوب لطيف في الإشارة إلى الكفار، فلم ينسب عدم العلم إلى جميعهم، ففي ذلك استعطافهم واستمالة لقلوبهم، مما يكون سببا في اهتداء بعضهم إلى الإسلام.

٥٩١. قوله ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فيها أن عدم المعرفة التامة بالله قد يسبب الكفر والعناد.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]

٥٩٢. قوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ تفيد أن أنواع الدواب والطيور أمم مخلوقة أمثال الناس، لها أرزاقها وآجالها ونظامها وأحوالها.

٥٩٣. فيها الدلالة على عظم قدرة الله، وسعة سلطانه، وتدبير تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها، وما عليها، مهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن. الكشاف.

٥٩٤. يفيد النفي وزيادة (من) إدخال كل ما دب من كل الكائنات الحية.

٥٩٥. تفيد بلاغة القرآن بإزالة الإبهام في قوله تعالى ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ فإن العرب تستعمل الطيران لغير الطائر؛ تقول للرجل: طر في حاجتي ؛ أي: أسرع، فذكر بجناحيه ليتمحض القول في الطير.

٥٩٦. تفيد أنه ليس طائر يطير ولا دابة إلا وقد أحصى الله عملها وآثارها وحركاتها، فهي تتصرف - كما يتصرفون - فيما سخرت له، ومحفوظاً عليها ما عملت من عمل، لها وعليها، حتى يجازى (به) يوم القيامة، لم تخلق عبثاً، فمن أحصى أعمال الطير، وجميع البهائم هو قادر على إحصاء أعمالكم وتصرفكم أيها العادلون بالله.

٥٩٧. تفيد الآية عَلى أنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ البَهائِمِ أُمَّةٌ، وجاءَ في الحَديثِ: ««لَوْلا أنَّ الكِلابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ، لَأمَرْتُ بِقَتْلِها»» - رَواهُ أبُو داوُدَ والتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥٩٨. فيها تعريف الإنسان قدر نفسه فما الإنسان إلا أمة من سائر الأمم المسبحة والخاضعة لله تعالى فعليه أن يعرف لها حقها ويلطف بها ويرحمها وقد جاء عن ابني بشر السلَميَّينِ قال دخَلْتُ عليهما فقُلْتُ يرحَمُكما اللهُ الرَّجلُ منَّا يركَبُ دابَّتَه فيضرِبُها بالسَّوطِ، ويكفَحُها باللِّجامِ هل سمِعْتُمَا من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في ذلك شيئًا؟ فإذا امرأةٌ قد نادَت من جوفِ البيتِ أيُّها السَّائلُ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ فقالا هذه أختُنا وهي أكبرُ منَّا وقد أدركَت رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. ففي هذا تنبيه للمسلمين على الرفق بالحيوان فإن الإخبار بأنها أمم أمثالنا تنبيه على المشاركة في المخلوقية، وصفات الحيوانية كلها".ابن عاشور رحمه الله.

٥٩٩. فيها دعوة للتعرف على الأمم الأخرى التي تسبح الله وتعظمه في الأرض وفي السماء.

٦٠٠. فيها أن هناك تشابها بين البشر والكائنات الحية من الحيوانات في الحاجات الفسيولوجية ونظام الحياة بدلالة ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ وفي ذلك فتح مجال للإعجاز العلمي في ذلك المضمار، وقد ورد في القرآن طرف من الأحداث تمثل هذه الحقائق العلمية كقصة النملة. ويمكن الاستفادة من كل ما توصل إليه العلم في عالم الحيوان في الدعوة إلى الله خاصة في هذا العصر.

٦٠١. قوله ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ على القول بأن الكتاب هو اللوح المحفوظ، أن جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

٦٠٢. فيها إثبات المرتبة الثانية من مراتب القدر، وهي الكتابة في اللوح المحفوظ.

٦٠٣. قوله ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ تفيد شمولية القرآن الكريم، فهو تبيان لكل شيئ، ف (من) للتبعيض و(شيء) للتقليل وباجتماعهما تم النفي التام والكامل والمستغرق لغفلة الكتاب عن أمر من الأمور.

٦٠٤. فيها دليل للقائلين بأن القرآن احتوى على مصالح العباد العاجلة، وأنه مرجع لكل العلوم النظرية والتطبيقية.

٦٠٥. فيها دعوة لجعل القرآن مرجعا وقائدا في كل الأمور فطالما أنه اشتمل على كل شيء جملة أو تفصيلا، صراحة أو تلميحا؛ فلابد أن يكون فيه ما يحل كل مشاكل الكون، ويصلح

كل فساد في الأرض، وكل سعي لحل مشاكل الأمة خارج إطار القرآن العظيم وهداياته فلا بد أن يبوء بالفشل ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

٦٠٦. قوله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ (ثم) أشــارت إلى مهلة الحياة التي هي مســاحة للعمل والطاعة وتدارك الأخطاء والتوبة، وفيها دعوة للمراجعة قبل الحشر.

٦٠٧. تفيد إثبات الحشر والمعاد.

٦٠٨. فيها إلقاء للحذر من الاعتداء على هذه الدواب بما نهى الشــرع عنه من تعذيبها، وإذا كان يقتص لبعضها من بعض وهي غير مكلفة، فالاقتصاص من الإنسان لها أولى بالعدل. وقد ثبت في الحديث الصـحيح: أن الله شـكر للذي سـقى الكلب العطشـان، وأن الله أدخل امرأة النار في هرة حبستها فماتت جوعا". ابن عاشور رحمه الله.

٦٠٩. فيها دلالة على أن الإسلام هو دين السلام والرحمة.

٦١٠. تفيد حشــر الطيور والْبَهَائِم والحيوانات يَوْم الْقِيَامَة، وقد وروى أَبُو ذَر: " أَن النَّبِي رأى شَـــاتين تنتطحان؛ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَر، أَتَدْرِي فِيمَا تنتطحان؟ فَقلت: لَا. فَقَالَ لَكِن الله يدْرِي، وسيقضي بَينهمَا." رواه أحمد وإسناده ضعيف لجهالة من روى عن أبي ذر.

٦١١. فيها بيان كمال عدله ســبحانه حتى بين الحيوان والطير فحشــرها للقصــاص ثم تكون ترابا.

٦١٢. فيها أنه إن كان الإسلام قد أمر برحمة الحيوان، وحرم الاعتداء عليه فمن باب أولى حرمة الإنسان ماله ودمه وعرضه.

٦١٣. فيها رد على كل ظالم ومعتدٍ بدون وجه حق على مسلم أو كافر.

٦١٤. فيها ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ أن الحشــر والإعادة من أفعال الربوبية، فهي تتضــمن الخلق والملك والتدبير.

٦١٥. فيها ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ التفات؛ لأن القياس أن يقال (ثم إلى ربكم) أي أنتم والأمم الأخرى، وهذه أفادت أن كان الأمم غير المكلفة تحشر للحساب فإن ذلك أشد تخويفا للمكلفين.

٦١٦. نسبة الحشر إلى ربهم يشعر بأنه لن يظلمهم بل يقتص لهم من كل من ظلمهم وآذاهم في الدنيا، قال تعالى﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفيها تحذير وتخويف.

٦١٧. فيها حذف فاعل الحشر للعلم به، ولإرادة التركيز عل فعل الحشر لا فاعله (في الأرض)، وليس (على الأرض) أدخل الدواب على وجه الأرض والكائنات داخل الأرض، وفيها دقة التعبير القرآني.

٦١٨. تفيد بيان حكمة الله البالغة، وأنه منزه عن العبث؛ فلم يخلق الخلق سدى، بل سيجمعهم ليجازي كلا بما عمل؛ قال الله:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

٦١٩. فيها: إشارة إلى المظالم التي تكون بين الخلق بعضهم بعضا، حتى بين الحيوانات بعضها لبعض؛ وعليه: ففيها رد الملحدين الذين ينكرون وجود الله، بسبب ما يجدونه من الظلم في هذه الأرض؛ فيزعمون أنه لو كان ثم إله لما حصل كل هذه المظالم؛ وهذا من آثار إنكار البعث؛ لذا كان الكفر بالبعث من أفحش صور الكفر.

٦٢٠. تفيد عظمة الحشر الذي يكون يوم القيامة بما يدعو للحذر ويحث على الاستعداد.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]

٦٢١. تفيد شدة المناسبة بين هذه الآية وما سبقها، فكأنه قال وما من دَابَّةٍ، ولا طائر، ولا شَيْءٍ، إلاَّ وفيه آية منصوبة دالة على وَحْدَانِيَّةِ اللَّه- تعالى- ولكن الذين كَذَّبُوا بآياتنا صُمّ وبكم لا يتلقون ذلك، ولا يَقْبَلُونَهُ، وظاهر الآية أنها تعمُّ كل مُكَذِّبٍ.

٦٢٢. فيها بيان حال المكذبين بآيات الله بأنهم أموات غير أحياء، وما يشعرون فهم صم عن سماع الحق بكم عن النطق به.

٦٢٣. فيها عظم التكذيب بآيات الله حيث أضافها الله تعالى إلى نفسه بضمير التعظيم ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، وفيها كذلك تعظيم هذه الآيات.

٦٢٤. تفيد الآية جلاء ووضوح الدلائل على صحة هذا الدين وصدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

٦٢٥. يفيد التكذيب بآيات، وعد ورود (كذبوا بالله) في القرآن عظمة الله سبحانه، لأن الله لا يُكذب، وإنما يكذب رسله، لأن الله شهادة للخلق بآياته ورسله وإن لم يروه.

٦٢٦. فيها أن الآيات هي الطريق الموصل إلى الله.

٦٢٧. تفيد ذم الكفر وأهله؛ بوصفهم بالصمم والبكم والجهالة والعماية.

٦٢٨. تفيد التنفير من التكذيب بآيات الله تعالى البينة التي لا يكذب بها إلا مطموس البصر والبصيرة.

٦٢٩. فيها إشارة إلى: أن الدواب أحسن حالا من الكفار؛ لأن الدواب تحرص على ما فيه مصلحتها وبقاؤها، وأهل الكفر يعرضون عما فيه الخير كله؛ ولذا قال فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]،

٦٣٠. فيها بالمفهوم أن المصدقين بآيات الله على نور وهداية من ربهم.

٦٣١. تفيد وجوب سماع الحق، ووجوب تبليغه والدعوة إليه؛ فمن بلغه دعوة الحق بلغها للناس، كما فعل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لقوله: ﴿صُمّٞ﴾ عن سماع الحق. وقوله ﴿وَبُكۡمٞ﴾ عن القيل به، لأن من يكذب بها كالأصم والأعمى وإضافة إلى ذلك ظلمة المكان الذي هو فيه.

٦٣٢. تفيد خطورة التكذيب بآيات الله وشناعتها، وأن عقوبته طمس البصيرة، حيث يتمادى المكذب في ضلالة وظلمات بعضها فوق بعض، لا يستطيع معها الاهتداء إلى الصراط المستقيم، لم لا يهتدي ويحتج بها على الهدى؟!، لماذا يحتج هؤلاء بمثل هذه النصوص للضلالة، ولا يحتجون للهداية؟ ولكنه الواقع يحتجون بها على المعصية، وقدوتهم في ذلك من قال لعمر رضي الله عنه: إنما سرقت بقدر الله.

٦٣٣. فيها إشارة إلى أن الآيات منها ما يسمع ومنها ما يرى، ومنها ما يحتاج للحاستين معا، فالمقصود الآيات المتلوة والآيات المشهودة.

٦٣٤. فيها رد على القدرية.

٦٣٥. فيها تصوير عجيب في بعدهم عن الهداية فهم كالأصم الذي لا يسمع والأبكم الذي لا يستطيع أن يطلب من أحد أن يهديه، وهو في ظلام فلا يبصر شيئا يهتدي به ولا يراه أحد ليهديه.

٦٣٦. قوله تعالى ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ تفيد: أن الظلام الحقيقي، ظلام الكفر بالله، لا ظلام الجهل بالدنيا؛ والألف واللام للاستغراق.

٦٣٧. قوله تعالى ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ تفيد: كثرة طرق الضلال التي تمنعهم من الوصول إلى الحق أي في ظلمات الكفر والجهل والحيرة والعناد والتقليد لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، والمعنى كائنين في الظلمات التي تمنع من إبصار المبصرات فضموا إلى الصمم والبكم عدم الانتفاع بالأبصار لتراكم الظلمة عليهم فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال.

٦٣٨. يفهم منها أهمية البيئة المحيطة بالعبد فإن الكفر والضلال يمثل الظلمة والإيمان والعمل الصالح يمثل النور كما في سورة النور.

٦٣٩. في ذكر الظلمات بالجمع دون الإفراد فوائد منها أ) التكثير. ب) التعظيم والتهويل ج) تراكم الظلمة بعضها فوق بعض كما في وصف سورة النور ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٣٩ – ٤٠]، تعدد سبل الغواية.

٦٤٠. يفهم منها أهمية الوجود في بيئة صالحة تعين على الخير، وتصد عن الشر.

٦٤١. قوله تعالى ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ جمعت بين عمى المكذب، وظلمة المكان الذي فيه.

٦٤٢. هذا الجمع للظلمات ناسبه نسبة الآيات لناء التعظيم (بآياتنا) لأنها حين تنسب لله فيها إشارة لعظمتها فعدم إبصارها والانتفاع بها ناتج عن عمى بعيد ومركب.

٦٤٣. تفيد بعد احتمال رؤيته للحق لاجتماع الظلمة والعمى.

٦٤٤. فيها أن أداة الإبصار لا تنفع بدون النور وهي الحاسة التي لا تقوم بذاتها وإنما لابد من مساعد؛ فلا يمكن للعين أن تبصر في الظلام بلا نور، بخلاف حاستي الكلام والسمع فإنهما يقومان بذاتهما ويمكن الاستفادة منهما في جميع الأحوال.

٦٤٥. فيها كون الشخص لديه عين باصرة لكنه لا يبصر بسبب الظلمات أبلغ في الحسرة والنكاية ممن ليست لديه عين باصرة أصلاً.

٦٤٦. في ذكر الظلمات دون العمى أبلغ في وصف حال الكافر المكذب الذي قد يكون له عقل وذكاء لكنه لا ينتفع به، مثل من لديه عين في الظلمات فلا ينتفع بها البتة.

٦٤٧. فيها مجازاتهم بجنس ما عملوا، فلما أنهم عرفوا الحق بيقين أنفسهم لكنهم جحدوا وكذّبوا جعل لهم البصر ليظنوا أنهم يستطيعون الاعتماد عليه فداهمتهم الظلمات ولم ينتفعوا بما عندهم.

٦٤٨. قوله تعالى ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ ولم يقل عمي، وإن المراد به أنهم لا يرون الحق لسبب ما في ذلك إشارة إلى أن وجود النور سبب رئيس للرؤية.

٦٤٩. تفيد: أن الإسلام نور، لا ظلمة فيه.قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ وذكر الله سبحانه آية النور وآية الظلمة فقال: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٥] فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المؤمنين ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٣٩ – ٤٠]، فالأول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئا ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئا ينفعه، فوفاه الله حسابه على تلك الأعمال. والثاني: مثل للجهل البسيط وعدم الإيمان والعلم، فإن صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئا؛ فإن البصر إنما هو بنور الإيمان والعلم.. (مجموع الفتاوى ١٠/١٠٠-١٠١)

٦٥٠. قوله تعالى ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ فيها: بيان أن الهداية والإضلال بيد الله عز وجل على ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى.

٦٥١. قوله ﴿ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ تفيد أنه لا يمكنه الخروج من ظلمات الكفر والغي إلا بإذنه – سبحانه –.

٦٥٢. فيها: بيان أن طريق الهداية واضح لا اعوجاج فيه.

٦٥٣. تفيد: عدم العجب، والاغترار بما عليه المرء من استقامة؛ لأن الله هو الذي هداه فضلا.

٦٥٤. إذا تبين أن الذي يهدي ويضل هو الله، فيجب اللجوء إلى الله، وسؤاله الهداية، لقوله تعالى:﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

٦٥٥. فيها: بيان أن من أضله الله عز وجل فلا أحد يستطيع هدايته كما قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]

٦٥٦. فيها: أنه لا يقع شر في ملكه وسلطانه، إلا بإذنه ومشيئته؛ فهو العزيز الحكيم، الغالب على أمره.

٦٥٧. تفيد: الحث على سؤال الله الهداية، والتعوذ به من الضلالة؛ وفي الحديث: "أعوذ بعزتك أن تضلني" رواه مسلم. وعليه: فلا يغتر مهتد، ولا يقنط ضال.

٦٥٨. تفيد الآية تهديد شديد يوجب انكسار النفس، وطلب الهداية منه سبحانه لأن كل شيء بإرادته.

٦٥٩. تفيد أن صراط الله مستقيم موصل الى جنات النعيم.

٦٦٠. تفيد إثبات الجعل لله سبحانه وتعالى لقوله: لقوله تعالى:﴿ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

٦٦١. تفيد أن الهداية اتباع لما جاء في الكتاب والسنة لقوله تعالى:﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

٦٦٢. تفيد أن الضلال هو حرمان الوصول للصراط المستقيم لقوله تعالى:﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ ﴾ أي عن الصراط المستقيم، وهذا يبين لنا عظمة نعمة تعلم القرآن ومدارسته والتعمق فيه.

٦٦٣. تفيد أن من أحبَّ الله هِدايَتَهُ، وفَّقَهُ بِفَضْلِهِ وإحْسانِهِ لِلْإيمانِ، ومَن شاءَ ضَلالَتَهُ تَرَكَهُ عَلى كُفْرِهِ.

٦٦٤. تفيد أن من أعظم النعم أن يوفق الله عبده فلا يذهب إلى غير الحق ولا يمشي إلا إلى صوب الاستقامة لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

٦٦٥. تفيد الآية ما يعتقده أهل السُّنَّةِ عَلى أنَّ الكُفْرَ والإيمانَ بِإرادَتِهِ سُبْحانَهُ وأنَّ الإرادَةَ لا تَتَخَلَّفُ عَنِ المرادِ.

٦٦٦. تفيد عظمة الله تعالى الذي له الأمر كله، وكل شيء في الوجود صائر بعلمه وإرادته: لقوله تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ أيْ: الَّذِي لَهُ الأمْرُ كُلُّهُ ولا أمْرَ لِأحَدٍ مَعَهُ - إضْلالَهُ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ بِأنْ يَخْلُقَ الهِدايَةَ في قَلْبِهِ - ومَن يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن مُضِلٍّ ومَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ، مَعَ أنَّ الكُلَّ عِبادُهُ وخَلْقُهُ، مُتَقَلِّبُونَ في نِعَمِهِ، غادُونَ رائِحُونَ في بِرِّهِ وكَرَمِهِ - إنَّ في ذَلِكَ عَلى وحْدانِيَّتِهِ وتَمامِ قُدْرَتِهِ لَآياتٍ بَيِّناتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤١]

٦٦٧. الافتتاح ب ﴿ قُلْ ﴾ يدل على خطورة الشرك، والاهتمام بالتوحيد.

٦٦٨. قوله ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في إضافة العذاب إلى اسم الجلالة تهويل وتفخيم، فهو عذاب من الله أقدر القادرين وشديد العقاب.

٦٦٩. تفيد التخويف من عذاب الله عز وجل، ومن أعظم أسبابه الشرك.

٦٧٠. قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ فيها إثبات الساعة وأنها آتية لا ريب فيه.

٦٧١. تفيد: أن الساعة في ذاتها وقيامها عذاب للكافرين، لقوله: ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾

٦٧٢. فيها بيان رحمة الله بعباده حيث خوفهم من شدة بأسه ليتوبوا إليه ويوحدوه قبل أن يأتي يوم لا تقبل فيه التوبة، ولا ينفع فيه الإيمان، وهو يوم وقوع العذاب أو يوم تقوم الساعة.

٦٧٣. يفهم من الآية أن عبادة المؤمنين لربهم خالصة في حال الرخاء وفي حال الاضطرار والشدة.

٦٧٤. قوله:﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يفيد: أن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه عند المصائب والشدائد، وعليه: فالله لا يخلق شرا محضا كالمصائب والنوازل، وإن كان ظاهره شرا، إلا أن فيه رحمة من جهة، وبدليل ما بعده:﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]

٦٧٥. الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيه تقريع وتوبيخ وتعجب من حالهم.

٦٧٦. فيها أن الافتقار إلى الله قد جبلت عليه جميع البشرية.

٦٧٧. قوله ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ تفيد تأكيد قضية الإخلاص في التوحيد والعبادة لتقديم المعمول الذي يدل على الحصر

٦٧٨. تفيد فضل الدعاء وأثره في النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة.

٦٧٩. قوله ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ تفيد: سرعة إجابة الله للمضطر، وما ذاك إلا لثمرة التوحيد.

٦٨٠. قوله ﴿ إِن شَآءَ ﴾ فيها أن كشف السوء معلق على المشيئة الربانية.

٦٨١. قوله ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ فيه: أنه لا مستكره له – سبحانه – لأنه محض فضل منه – سبحانه – فلا مكره له، ولذا جاء في الحديث: ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له". رواه البخاري.

٦٨٢. في قوله تعالي ﴿ إِن شَآءَ ﴾ إشارة لطيفة ودقيقة إلى عدم إجابته لطلب أهل النار من الكفار.

٦٨٣. تفيد أن الله تعالى ربما استجاب دعاء المضطر ولو كان كافرا، والله يعلم أنه سيكفر به إذا نجا، وهذا دال على حلم الله تعالى حيث لا يعاجل الكافرين بالعقوبة، بل يمهلهم لعلهم يذكرون نعمة الله عليهم فيؤمنون، أو يعرضوا فتكون تلك النعمة نقمة واستدراجا.

٦٨٤. قوله ﴿وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ فيها أن دعاء غير الله شرك أكبر.

٦٨٥. فيها التهديد والتحذير من الشرك.

٦٨٦. فيها إثبات الكمال لله المستحق للعبادة لأنه وحده القادر على دفع الضر.

٦٨٧. تفيد أنه لا يصرف السوء إلا الله عز وجل، فحقيق على من أصابه السوء أن يلجأ إلى الله.

٦٨٨. فيها بطلان دعوى المشركين أن آلهتهم تنفع وتنصر.

٦٨٩. فيه: أن أعظم خصائص الإله، أن يجيب الدعاء، فمن قدر على الإجابة أحق أن يعبد وحده ويخلع ما سواه؛ لقوله: قوله ﴿وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ أي تتركون غيره.

٦٩٠. فيها: تناقض حال أهل الشرك في دعاءهم ففي حال الرخاء يدعون الآلهة الباطلة، وفي حال الشدة الحقيقية يدعون الله عز وجل.

٦٩١. فيها: بيان زيف وبطلان الآلة الباطلة التي يدعون حيث لا تنفعهم في حال الشدة لضعفها وحقارتها.

٦٩٢. تفيد أن فطرة التوحيد مركوزة في نفوس البشر ولذلك يدعون الله تعالى وحده عند الكرب والشدة وينسون ما يشركون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]

٦٩٣. تفيد إثبات الرسالات والنبوات وكثرتها قوله ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾.

٦٩٤. الآية الكريمة تصور لونا من ألوان العلاج النفسي الذي عالج الله به الأمم التي تكفر بأنعمه، وتكذب أنبياءه ورسله، إذ إن الآلام والشدائد علاج للنفوس المغرورة بزخارف الدنيا ومتعها إن كانت صالحة للعلاج.

٦٩٥. تفيد أن من سنن الله تعالى تقلب المرء بين السراء والضراء، فالمؤمن أمره كله خير شكر في السراء، وصبر في الضراء ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

٦٩٦. تفيد أن المرض والفقر من أشد أنواع البلاء، وأن التضرع من أسباب رفعها.

٦٩٧. فيها: رحمة الله عز وجل، وكمال إحسانه بعباده حيث يأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون فيتوب عليهم ويغفر لهم.

٦٩٨. قوله ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ فيها تنبيه إلى بعض الحكم من الابتلاء بالسراء والضراء.

٦٩٩. تفيد أن الفقر والمرض والآفات، والمصائب قد تكون لخير عظيم للإنسان وهو عبادة الله تعالى والتضرع إليه، لقوله ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

٧٠٠. قوله ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ فيها إشارة أن العمل الصالح هو المقياس والمثبت عند المصائب والمحن والفتن وفي حديث الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ يَقُولُ: «أَيُّكُمُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ» مسند الجعد رقم ٦٨٢، وإسناده ضعيف.

٧٠١. فيها: ذم الله سبحانه حزبين: حزبا لا يدعونه في الضراء، ولا يتوبون إليه. وحزبا يدعونه ويتضرعون إليه ويتوبون إليه، فإذا كشف الضر عنهم: أعرضوا عنه وأشركوا به ما اتخذوهم من الأنداد من دونه.

٧٠٢. قوله ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ فيها أن الابتلاءات ينبغي أن تقابل بالتضرع إلى الله.

٧٠٣. فيها التنبيه على ما يجب على المسلم أن يقوم به عند حلول الفتن والابتلاءات قال الحسن:(إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فإنما هي نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا إلى الله). الطبري ١٨/٤٥

٧٠٤. فيها أن الأصل في الابتلاء أن يدفع العبد إلى التضرع والافتقار لا الجحود والاستكبار.

٧٠٥. قوله ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ فيها أن الابتلاء ينبغي أن يكون سببا لرقة القلوب.

٧٠٦. تفيد ذم قسوة القلب وعدم الاعتبار بالبلاء، وإن أبعد القلوب عن الله: القلب القاسي.

٧٠٧. تفيد أن عدم التضرع واللجوء إلى الله تعالى علامة من علامات قسوة القلب.

٧٠٨. فيها أن القلوب تقسو بالإعراض عن ذكر الله تعالى.

٧٠٩. تفيد أن الابتلاء يظهر مكنونات القلوب، ويجلو عنها زيفها وبريقها، فالقلوب الضعيفة تسقط عند أول ابتلاء.

٧١٠. تفيد أن نتيجة البلاء إما أن تكون عقوبة أو اصطفاء، فكلما قربت العبد إلى الله كانت نعمة بصورة بلاء، وإذا أبعدت العبد عن ربه كانت له عقوبة.

٧١١. على المسلم أن يهتم بأعمال القلوب كالإخلاص واليقين والتوكل والخشوع والمراقبة والتفكر ونحوها، التي تحفظ القلب، وتعصمه من القسوة وغيرها من الأمراض.

٧١٢. تفيد إحاطة علم الله واطلاعه على الأمور كلها بما فيها أحوال القلوب، وهذا أكبر داع لمراقبة الله عز وجل في كل حال، وبذل الجهود في إصلاح القلوب.

٧١٣. فيها أن قسوة القلب وتزيين الشيطان من أعظم موانع التضرع والاعتبار ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

٧١٤. تفيد أن قسوة القلب من أسباب تسلط الشيطان على العبد، فيرى الحسن قبيحا والقبيح حسنا.

٧١٥. فيها أن من استفاد من الابتلاء عرف كيف يكيد للشيطان وأهله قبل أن يكيد أولئك له.

٧١٦. تفيد التحذير من الشيطان وتزيينه وأباطيله.

٧١٧. تفيد أنه ينبغي للإنسان أن يحذر عقوبة الله إذا من عليه بتيسير أمور الدنيا، فلا يغتر بذلك، لأنه قد يكون استدراجا.

٧١٨. فيها: بيان مكر الشيطان وخبث خطواته بتزيينه الكفر والمعاصي ليصدهم عن الإيمان والطاعة ويوردهم موارد الهلاك والخسران.

٧١٩. يفيد: بأن عمل الإنسان وكسبه، سبب في تسلط الشيطان عليه؛ لأنه ما زين إلا بسبب ما اقترفوا من كفر وآثام.

٧٢٠. فيها رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ فنسب العمل إليهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤]

٧٢١. المناسبة بين هذه الآية وما قبلها: هي أنه بعد أن بين سبحانه أنه ابتلاهم بالشدائد فلم ينتفعوا بين أنه ابتلاهم أيضا بالرخاء فلم ينتفعوا فقال سبحانه ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.

٧٢٢. تفيد خطورة نسيان ما ذكرنا الله تعالى به في كتابه ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾.المراد بالنسيان هنا الإعراض والترك يعني: لما تركوا ما ذكرهم به رسلهم من التوبة ووجوب الرجوع إلى الله تبارك تعالى ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يعني من النعم وأنواع الرزق، وهذا استدراج من الله تبارك وتعالى لهم.

٧٢٣. تفيد أهمية التذكير والوعظ بالآيات حتى لا تنسى فيقع العذاب بسبب النسيان والغفلة.

٧٢٤. فيها أن ترك ما يذكر به الإنسان من مواعظ الخير يوقعه في حب الدنيا والانغماس فيها فتأتيه عقوبة الله وهو على ذلك العذاب مع الغفلة والأمن شديد، وقد تكون النعم تمهيد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج" ثم تلا هذه الآية. أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤ ص١٤٥ عن عقبة بن عامر.

٧٢٥. فيها بيان سبب فتح الدينا على الكفار وهو نسيان ما ذكروا به.

٧٢٦. فيها أن من النعم ما هو استدراج من الله سببه الإعراض والنسيان عن الذكر.

٧٢٧. فيها بيان شدة مكر الله تعالى بالكافرين الماكرين.

٧٢٨. تفيد أن الله تعالى هو الذي يفتح الدنيا للكافرين لحكم كثيرة لا يفهمها اليوم من ينخدعون بالماديات الغربية ويجرون وراء سراب السعادة بالماديات دون القيم الإيمانية والأخلاقية.

٧٢٩. تفيد أن فتح الدنيا بسبب الكفر يكون فتحا ظاهريا غير مبارك كما يدل عليه قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء بينما الفتح بسبب الايمان يكون فتحا لبركات السماء ولأرض كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

٧٣٠. ظاهر الآية أنه فتح عليهم أبواب كل شيء على العموم، والصحيح أن هذا العموم مخصوص، معناه: مما كان مسدودا عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنيوية.

٧٣١. تفيد تحريم الفرح والبطر وأنه من كبائر الذنوب؛ لأنه يؤدي إلى الأمن من مكر الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

٧٣٢. يفيد قوله ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ التحذير من المعاصي والذنوب، لأن الله قد يبتلي الإنسان بمرض أو بحوادث تحطمه وتكسره أو بموت فجأة، وهذه داخلة في معنى الأخذ بغتة.

٧٣٣. تفيد تعظيم الباري جل وعلا؛ لقوله: ﴿ فَتَحۡنَا ﴾ ﴿ أَخَذۡنَٰهُم ﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم.

٧٣٤. تفيد شدة العذاب واستئصاله للمعذبين؛ لقوله: ﴿ أَخَذۡنَٰهُم ﴾

قال تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥]

٧٣٥. تفيد أن الكفر والظلم من أسباب استئصال وإهلاك الأمم.

٧٣٦. تفيد قبح الشرك وأنه أعظم سبب للهلاك والاستئصال التام؛ قال ابن عاشور: والمراد بالذين ظلموا المشركون، فإنّ الشرك أعظم الظلم، لأنَّه اعتداء على حقّ الله تعالى على عباده في أن يعترفوا له بالربوبية وحده، وأنّ الشرك يستتبع مظالم عدّة لأنّ أصحاب الشرك لا يؤمنون بشرع يزع الناس عن الظلم.

٧٣٧. فيها ذم الظلم والتحذير منه لما يوجب لصاحبه من الهلاك والعذاب.

٧٣٨. تفيد حكمة الله عز وجل في إهلاك هؤلاء؛ فإن بذلك، تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون.

٧٣٩. تفيد أن زوال الظالمين نعمة تستوجب الحمد والثناء على الله – تعالى –.

٧٤٠. فيها أنه كلما علت رتبة الكافر في كفره هان على الله.

٧٤١. السر في ختم الآية الكريمة بالحمد من وجوه: أولها: أن النعمة تحتاج إلى شكر، وهلاك الكفار من أكبر النعم، وفي هذا تعليم للمؤمنين شكر الله تعالى عند حصول النعمة. وثانيها: في الآية إشارة إلى أن زيادة حياة الكافر زيادة في ذنوبه ومعاصيه. فكانوا يستوجبون به مزيدا من العقاب والعذاب فكأن إفناؤهم وإماتتهم جاريا مجرى الإنعام عليهم. وثالثها: أن هذا الحمد لأن

الله بلغهم الدين وأقام عليهم الحجة وأزال عنهم العذر. ورابعها: أن في قطع دابر الظالمين دلالة عظيمة على تمام وكمال عدل الله تعالى ورحمته بعباده. وخامسها: لأن الله ينجي المؤمنين بالرسل من الهلاك، ويظهر دينهم بتمكينهم في الأرض، واستخلافهم فيها، ويبارك في حياتهم بإبقاء الآثار المحمودة لهم من الذرية الصالحة والأعمال الحسنة.

٧٤٢. ناسب الختم بالحمد لما فيه من إنجاز وعد الله تعالى للرسل بالنصر وهلاك مكذبيهم.

٧٤٣. تفيد أن الله عز وجل محمود على قطع دابر الظالمين.

٧٤٤. تفيد تعليم الله تعالى لعباده المظلومين بأن يحمدوه على قطعه دابر من ظلمهم واعتدى عليهم.

٧٤٥. تفيد أن حمده سبحانه وتعالى نفسه على قطع دابر الظالمين دلالة على عظم هذه النعمة.

٧٤٦. فيها أن الظلم سبب لوقوع العقاب، وأن الظلم ينتهي بصاحبه إلى الهلاك والدمار والخسارة.

٧٤٧. فيها أن الله يحمد على دفع النقم كما يحمد على جلب النعم.

٧٤٨. تفيد الإرشاد والتعليم إلى حمد الله عز وجل عند الانتهاء من كل عمل وحصول الموعود.

٧٤٩. يفيد وضع الظاهر موضع المضمر؛ إذ لم يقل سبحانه وتعالى: (فقطع دابرهم) وذلك للإشعار بعلة الحكم؛ وإثبات السبب؛ وبيان أن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة.

٧٥٠. يفيد التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ في سياق هلاك الأمم الظالمة من قبل؛ إشارة لطيفة إلى أن يترقب المؤمنون نصرة الله لهم بقطع دابر من ظلمهم أسوة بمن قبلهم من المؤمنين؛ وأنهم سيحمدون الله تعالى المستحق للحمد على الدوام.

٧٥١. تضمنت هذه الآية الحجة على وجوب ترك الظلم ؛ لما يعقب من قطع الدابر، إلى العذاب الدائم ، مع استحقاق القاطع الحمد من كل حامد. (القرطبي)

٧٥٢. فيها تنبيه على أنَّه يحقّ الحمد لله عند هلاك الظلمة، لأنّ هلاكهم صـــلاح للناس، والصـــلاح أعظم النعم، وشـــكر النعمة واجب، وهذا الحمد شـــكر لأنّه مقابل نعمة. وإنّما كان هلاكهم صـلاحاً لأنّ الظلم تغيير للحقوق، وإبطال للعمل بالشـريعة، فإذا تغير الحقّ والصـلاح جاء الدمار والفوضـــى وافتتن الناس في حياتهم فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم. (أفاده ابن عاشور).

٧٥٣. تفيد تمام وكمال قدرة الله تعالى في أخذه للظلمة؛ فنيله سبحانه وتعالى من الآخر الدابر كنيله من الأول؛ لقوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وفي هذا دلالة على بلاغة القرآن الكريم ووجازة كلماته وعباراته.

٧٥٤. تفيد دقة التناســب وروعة التناســق مع فاتحة الســورة الكريمة؛ حيث افتتحت الســورة بالحمد لله في ســياق الخلق والايجاد؛ واختتمت هذه الآيات بالحمد لله في ســياق الإهلاك والاعدام؛ وذلك في إشارة لطيفة إلى أن الكمال لله تعالى الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، فقطع دابرهم، والكمال له لم يتغير؛ لأنه لا يزيده وجود موجود، ولا ينقصــه فقد مفقود، فهو محمود حال الإعدام والمحق؛ كما كان محمودا حال الإيجاد والخلق.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

٧٥٥. هذه الآية والآيات التي بعدها ضـرب من ضـروب الدعوة إلى إثبات التوحيد، وصـحة الرسالة فهي كالآيات التي قبلها ولكن بوجه آخر جديد من وجوه الاحتجاج، فالله سبحانه في هذه الآية يأمر نبيه أن يضـع المشـركين أمام أنفسـهم يفضـح شـركهم ويبين عجزهم وعجز ما يشركون به.

٧٥٦. تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكر قدرته سبحانه وتعالى على إهلاك، وإعدام الظلمة إعداما جسديا كليا، ذكر عقبه قدرته على إهلاك وإعدام الظلمة إعداما وإهلاكا عضويا جزئيا لأهم وأبرز أعضائهم.

٧٥٧. الاستفهام في الآية للإنكار عليهم، وإلا فمن يستطيع أن يرد عليهم حواسهم من السمع والبصر إن سلبهم الله إياها؟ الجواب: لا أحد.

٧٥٨. فيها بيان قدرة الله عز وجل العظيمة في إيجاد السمع والبصر والعقل وهو القادر وحده على أخذها فهو الإله الحق المتفرد بالوحدانية.

٧٥٩. تفيد التخويف من الختم على القلب بسبب الإعراض عن آيات الله عز وجل؛ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال ابن عاشور: والكلام جار مجرى التهديد والتخويف، اختير فيه التهديد بانتزاع سمعهم وأبصارهم وسلْب الإدراك من قلوبهم لأنَّهم لم يشكروا نعمة هذه المواهب بل عدموا الانتفاع بها، كما أشار إليه قوله آنفاً ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]، فكان ذلك تنبيهاً لهم على عدم إجداء هذه المواهب عليهم مع صلاحيتها للانتفاع، وناسب هنا أن يهدّدوا بزوالها بالكليّة إن داموا على تعطيل الانتفاع بها فيما أمر به خالقها.

٧٦٠. فيها أن السمع والبصر والفؤاد هي منافذ الهداية والعلم فإذا حرم العبد الانتفاع بها فقد حرم كل الخير.

٧٦١. فيها إقامة الحجة بالتذكير بالنعم.

٧٦٢. فيها سعة رحمة الله ولطفه.

٧٦٣. فيها أن النعم لا تدوم إن لم تشكر.

٧٦٤. فيها استخدام أدوات الإدراك فيما ينفع.

٧٦٥. فيها أن الإصرار على الذنب يورث الصد عن الحق.

٧٦٦. فيها تذكير بنعمة السمع والبصر والقلب، فيجب شكر الله عليها بصرفها في طاعة الله تعالى.

٧٦٧. قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾ تقديم السمع يدل على أهميته وأثره في الهداية والإيمان. قال ابن عاشور: ولعلّ إفراد السمع وجمْع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفَّة أحد اللفظين مُفْرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما، فإنّ في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تنقُّل اللسان سِرّاً عجيباً من فصاحة كلام القرآن المعبّر عنها بالنَّظم.قال القرطبي:" فيها: وحّد﴿ سَمْعَكُمْ ﴾ لأنه مصدر يدل على الجمع.

٧٦٨. فيها دليل على تفضيل السمع على البصر لتقدمته هنا وفي غير آية.

٧٦٩. قوله ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ تفيد أن الختم على القلوب من أعظم العقوبات الربانية.

٧٧٠. تفيد أن من ختم الله على قلبه لا تنفعه حجة ولا موعظة.

٧٧١. تفيد أن الأمر كله لله، والخلق لا يملكون من قطمير أو مثقال ذرة في السماء والأرض.

٧٧٢. تفيد الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وهي من الهدايات القرآنية الكلية؛ قال السعدي: يخبر تعالى، أنه كما أنه هو المتفرد بخلق الأشياء وتدبيرها، فإنه المنفرد بالوحدانية والإلهية فقال:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ فإذا لم يكن غير الله يأتي بذلك، فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاءه الله، وهذا من أدلة التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال:﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي: ننوعها، ونأتي بها في كل فن، ولتنير الحق، وتتبين سبيل المجرمين﴿ ثُمَّ هُمْ ﴾ مع هذا البيان التام ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ عن آيات الله، ويعرضون عنها.

٧٧٣. تفيد أهمية معرفة الحجج والأدلة في الدعوة إلى التوحيد لبيان الحق وهداية الناس؛ قال الطبري: وهذا من الله تعالى ذكره، تعليم نبيِّه الحجة على المشركين به، يقول له: قل لهم: إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعًا، وإنما يستحق العبادةَ عليكم من كان

بيده الضــر والنفع، والقبض والبســط، القادرُ على كل ما أراد، لا العاجز الذي لا يقدر على شيء.

٧٧٤. قوله ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ تفيد رحمة الله تعالى بعباده حيث صرف لهم الآيات ونوعها، فإذا لم يؤمنوا بآية آمنوا بغيرها ويحصل المقصود، فتقودهم آية ما إلى الإيمان به تعالى.

٧٧٥. قوله ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ فيها أن التفكر في مخلوقات الله يزيد الإيمان ويقوي اليقين.

٧٧٦. فيها أن من اتبع الهدى هداه الله.

٧٧٧. فيها أن الإعراض عن الحق يجر إلى اتباع الباطل.

٧٧٨. فيها: الالتفات يدل على التعجيب من حالهم؛ قال- تعالى-﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ أي: انظر كيف ننوع الآيات والحجج والبراهين فنجعلها على وجوه شــتى ليتعظوا ويعتبروا ثم هم بعد ذلك يعرضون عن الحق، وينأون عن طريق الرشاد.

٧٧٩. تفيد أن تنوع الآيات من رحمة الله تعالى، تأتي مرة بحجج من مشاهدات في الســماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرّة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشــأها الله، فالآيات هنا هي دلائل الوحدانية، فهي متَّحدة في الغاية مختلفة الأســاليب متفاوتة في الاقتراب من تناول الأفهام عامّها وخاصّــها، وهي أيضــاً مختلفة في تركيب دلائلها من جهتي المقدّمات العقلية وغيرها، ومن جهتي الترغيب والترهيب ومن التنبيه والتذكير، بحيث تســـتوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول. (التحرير والتنوير)

٧٨٠. فيها: جملة﴿ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ معطوفة على جملة نصرف الآيات وداخلة في حكمها، وكان العطف بـ﴿ ثُمَّ ﴾ لإفادة الاســـتبعاد المعنوي، لأن تصـــريف الآيات والدلائل يدعو إلى الإقبال، فكان من المستبعد في العقول والأفهام أن يترتب عليه الإعراض والابتعاد.

٧٨١. تفيد أهمية تنويع الأساليب الدعوية في مجال الدعوة؛ ومن ذلك استخدام أسلوب التحدي والتخويف مع المنكرين.

٧٨٢. فيها: جيء بالمسند في جملة ﴿هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ فعلاً مضارعاً للدلالة على تجدّد الإعراض منهم، وتقديم المسند إليه على الخبر الفِعْلِيّ لتَقَوّي الحُكم.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

٧٨٣. المناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أنه بعد أن أقام عليهم الحجة وأثبت لهم ضعفهم أمام قدرته سبحانه خوفهم من نقمته وعذابه فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

٧٨٤. قوله ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ تفيد أهمية التلقين والاستفهام في تقرير الحقائق والتعليم، ولذا كثر استعمالها في هذه السورة وهي تقرر التوحيد والعقيدة الصحيحة.

٧٨٥. قوله ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ جمع فيهما بين علامتي الخطاب وهما تاء الضمير، وكاف الخطاب لأنه لما كان المتوعد به شديدا أكد في التنبيه عليه بالجمع بينهما مبالغة في الوعد.

٧٨٦. تفيد شدة عذاب الله عز وجل؛ يؤخذ ذلك من إضافته إلى الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾.

٧٨٧. تفيد ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ شدة التوبيخ، قال ابن عاشور: جيء في هذا وفي نظيره المتقدم بكاف الخطاب مع ضمير الخطاب دون قوله (أرأيتم) لأن هذا ونظيره أبلغ في التوبيخ لأنهما أظهر في الاستدلال على كون المشركين في مكنة قدرة الله فإن إتيان العذاب أمكن وقوعا من سلب الأبصار والأسماع والعقول لندرة حصول ذلك فكان التوبيخ على إهمال الحذر من إتيان العذاب أقوى من التوبيخ على الاطمئنان من أخذ أسماعهم وأبصارهم فاجتلب كاف الخطاب المقصود منه التنبيه دون أعيان المخاطبين.

٧٨٨. تفيد ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً ﴾ خطر الغفلة والأمن من مكر الله عز وجل؛ لأن العذاب قد يأتي بغتة.

٧٨٩. تفيد التخويف والتحذير من الظلم وهو سبب الهلاك ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي : فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي.

٧٩٠. قوله ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فيها: الحذر من مكر الله وبطشه.

٧٩١. تفيد تمام عدل الله عز وجل وبالغ حكمته في أن عذاب الله عز وجل لا يحيط إلا بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله عز وجل وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له.

٧٩٢. فيها: أن أسلوب التخويف من الأساليب الدعوية النافعة مع بعض المدعوين، وفي بعض الظروف.

٧٩٣. يفيد ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم، وإيذانا بأن مناط إهلاكهم ظلمهم، ووضعهم الكفر موضع الإيمان.

٧٩٤. يفيد ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الاستفهام الإنكاري النفي. والمعنى: أي لا يهلك إلا أنتم.

٧٩٥. تفيد: أن الشرك بالله، من أعظم ما يستجلب الهلاك.

٧٩٦. وفيها: كرامة التوحيد، وعافية الله للموحدين من الإهلاك؛ ولذا كان الاستفهام للنفي: ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨- ٤٩].

٧٩٧. تفيد مواجهة المشركين بحقيقة الرسالة بعد إقامة الحجة عليهم وتذكيرهم بضعفهم وقدرة الله عليهم في الآيات السابقة.

٧٩٨. تفيد تعظيم الرب عز وجل؛ لقوله: ﴿ نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم.

٧٩٩. تفيد تمام منة الله على عباده حيث أرسل إليهم الرسل ليبلغوهم دينه وشرائعه.

٨٠٠. تفيد صيغة المضارع ﴿ نُرۡسِلُ ﴾ أن الإرسال كان مستمرا ومتجددا، فما من أمة إلا وقد أرسل الله فيها رسولا، وصيغة المضارع ﴿ نُرۡسِلُ ﴾ فيها إشارة إلى كثرة رسل الله.

٨٠١. يستفاد من أسلوب القصر في قوله ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أن المهمة الأساسية للمرسلين البشارة بالجنة، والنذارة من النار، حتى لا يدعي مدع أن وظيفة الرسل تتعلق بالربوبية وأن لهم نصيبا من تدبير الخلق.

٨٠٢. تفيد أن الذي يصطفي الرسل ويرسلهم ويحدد مهمتهم ويؤيدهم وينصرهم هو الله تعالى وحده.

٨٠٣. تقديم البشارة على النذارة يدل على تقديم الترغيب قبل الترهيب.

٨٠٤. قوله ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ فيها أهمية الجمع بين الإيمان والعمل الصالح.

٨٠٥. تقديم الإيمان على الإصلاح يفيد أن الاعمال ولو كانت إصلاحا لا تنفع ولا تثمر إلا بالإيمان.

٨٠٦. فيها: أن لفظة ﴿ ءَامَنَ ﴾ هنا مطلقة وليست مقيدة، إلا أن نصوصا قيدت ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

٨٠٧. قوله ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ تفيد أن المؤمن ينبغي أن يتعدى صلاحه غيره.

٨٠٨. قوله ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨٠٩. قوله ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ فيها أن الجزاء من جنس العمل، فمن آمن وعمل صالحا فله الجزاء الأوفى، ومن كذب بآيات الله عز وجل، وصدف عنها فجزاءه العذاب الأليم.

٨١٠. فيها أن الإيمان والعمل الصالح مانعان للخوف والحزن في الدنيا والآخرة.

٨١١. تفيد أن الإيمان بالله تعالى والإصلاح سبب لحصول الأمن في الحاضر والمستقبل، ووجه ذلك أن الخوف يكون لما يستقبل والحزن لما فات والله تعالى نفاه من كلا الجانبين.

٨١٢. تفيد أن الأمن وعدم الخوف من النعم العظيمة التي تستوجب الشكر حيث جعلها الله تعالى هنا جزاء على الإيمان والإصلاح من الشكور والوهاب.

٨١٣. فيها أن مفهوم قوله ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ من لم يكن كذلك فعليه الخوف والحزن.

٨١٤. فيها: أن صلاح العمل يتم بأمرين: الإخلاص لله عز وجل وحده والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

٨١٥. تفيد أهمية بيان ثمرة الإيمان والأعمال الصالحة لأن هذا مما يشجع عليها، وهي مسألة مهمة في التعليم والتربية والدعوة.

٨١٦. قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ فيهما: أن الناس منقسمون في تقبل وقبول دعوة الرسل إلى قسمين: مؤمن ومكذب، بل هذا الانقسام من حكمة الله ليتبين الحق من غيره.

٨١٧. تفيد شرف الآيات وعظمها بإضافتها إلى العلي العظيم؛ ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾.

٨١٨. فيها بيان عدل الله سبحانه وتعالى، ووجهه أن مسيس العذاب للمكذبين بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله.

٨١٩. فيها أن الفسق يطلق على الكفر، إذ التكذيب بآية الله كفر.

٨٢٠. يفيد قوله ﴿ يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ التهديد والتخويف من العذاب لقربه، ولهذا جعله الله ماسا لهؤلاء المكذبين.

٨٢١. يفيد قوله ﴿ يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ أن العذاب لا محالة نازل على المكذبين، وإن أفلتوا منه في الدنيا، فإنهم لن يفلتوا منه في الآخرة.

٨٢٢. تفيد أن الفسوق سبب العذاب لقوله ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ الباء سببية و(ما) مصدرية أي: بسبب كونهم فاسقين ويفسقون.

٨٢٣. فيهما: دلالة على الأسباب في قوله ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ وإثبات الأسباب دل عليه العقل والسمع.

٨٢٤. وفيها تمام عدل الله عز وجل أنه لم يعذب هؤلاء إلا لأنهم استحقوا العذاب لفسقهم.

٨٢٥. قوله ﴿ يَفۡسُقُونَ ﴾ فيه إشارة إلى أن فسقهم كان متكررا، أصروا واستمروا عليه. فدل هذا على أن الله أمهلهم وأعذر إليهم، ولم يؤمنوا فاستحقوا العذاب.

٨٢٦. تفيد أهمية بيان عواقب الأعمال السيئة والتي من أخطرها التكذيب بآيات الله تعالى.

٨٢٧. تفيد التخويف والتحذير من الفسق وأنه من أسباب العذاب؛ لقوله: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾

٨٢٨. إيثار المضارع يدل على استمرارهم وحرصهم على الفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]

٨٢٩. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أبطل سبحانه شركهم ودحض إنكارهم لنبوة رسوله، نقل الكلام هنا إلى إبطال معاذيرهم فأعلمهم حقيقة الرسالة واقترانها بالآيات.

٨٣٠. فيها: أن في قوله ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ ﴾ تخليص لصورة النبوة والنبي من الخرافات والأساطير والأوهام، والضلالات التي شاعت في الجاهليات كلها.

٨٣١. فيها: أنه عليه الصلاة والسلام أثبت العلم الكامل لمولاه، ونفى عن نفسه ملك الأرزاق وعلم الغيب.

٨٣٢. قوله ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ تفيد أن الرسل والأنبياء لا يملكون لأنفسهم، ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولذلك لا يعبدون مع الله عز وجل.

٨٣٣. فيها رد على المشركين في طلبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم خوارق العادات والمعجزات، قال شيخ الإسلام:" وهذا لأنهم يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم تارة بعلم الغيب كقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨]، ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وتارة بالتأثير، كقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾

[الإسراء: ٩٠ – ٩٣]، وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية، كقوله: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]، فأمره الله تعالى أن يخبر أنه لا يعلم الغيب، ولا يملك خزائن الله، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال، إن هو إلا متبع لما أوحي إليه، واتباع ما أوحي إليه هو الدين، وهو طاعة الله، وعبادته علما وعملا بالباطن والظاهر، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه إياه، ويقدر منه على ما اقدره الله عليه، ويستغني عما أغناه الله عنه من الامور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس.. (مجموع الفتاوى ١١/٣١٢-٣١٣)

٨٣٤. فيها تعلق أهل الكفر والشرك بالبشر، وأنهم على استعداد لتبديل آلهتهم الباطلة بمن يأتيهم بالخوارق.

٨٣٥. فيها: أن طلب الرزق من النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك لأنه لا يملكه.

٨٣٦. تفيد عظم شأن الخزائن، والغيب، وكون الرسول ملكا؛ بدلالة نفي أولي العزم من الرسل أن يكون لهم نصيب منها، فقد نفى محمد صلى الله عليه وسلم ذلك في هذه السورة، كما نفاها نوح عليه السلام في سورة هود.

٨٣٧. في الآية إثبات لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم، لما نفى عن نفسه ملك الخزائن وعلم الغيب والملكية، أثبت لنفسه الرسالة بقوله ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾

٨٣٨. فيها أن خزائن الله مليئة ومفاتيحها بيده وهو المستحق للعبادة.

٨٣٩. قوله ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ إشارة إلى أن ما أخبر به من الغيب وحي من الله إليه، وليس من تلقاء نفسه.

٨٤٠. فيها: تنصيص على محض العبودية والافتقار، وما صدر عنه من إخبار بغيب إنما هو من الوحي الملقى عليه وليس من تلقاء نفسه.

٨٤١. فيها أن ادعاء علم الغيب كفر.

٨٤٢. فيها ذم الغلو والجفاء في حقه صلى الله عليه وسلم.

٨٤٣. تفيد ضلال بعض أقطاب التصوف في ادعاء أن تصريف بعض أمور الكون بأيديهم أو بأيدي شيوخهم، وأنهم يعلمون الغيب.

٨٤٤. تفيد ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أن الملك قد يتصور بصورة إنسان، والنفي هنا يثبت هذا، وجبريل عليه السلام أتى بصورة إنسان.

٨٤٥. تفيد عظم ومكانة هذه الأمور الثلاثة المذكورة في حياة الناس؛ فالناس إنما يصاحبونك ويوافقونك ويتبعونك إما رغبا وإما رهبا، وذلك إذا كانت لديك إحدى هذه القوى الثلاثة: القوة المادية؛ والقوة المعنوية؛ والقوة الجسدية؛ وقد ذكرتها هذه الآية الكريمة بشكل دقيق وترتيب عجيب.

٨٤٦. فيها: أن نفي هذه الأحوال الثلاثة يظهر تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم واعترافه بالعبودية لله، حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام وقد يكون المقصود أن القوم اقترحوا عليه إطار المعجزات القاهرة فكان المقصود من هذا الكلام إظهار العجز والضعف لعدم استقلاله بها وحده. وقد يكون المراد، أي: ولا أدعي كوني موصوفا بالقدرة.

٨٤٧. فيها: أن النفي في الأحوال الثلاث جاء على سبيل الترقي، فنفى أولا ما يتعلق برغبات الناس من الأرزاق وغيرها، ثم نفى ثانيا ما يتعلق به، وهكذا، فترقى في النفي من عام إلى خاص إلى أخص، ثم حصر ما هو عليه في أحواله في قوله ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾

٨٤٨. قوله ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فيها أن الشريعة توقيفية، وأن الأصل في العبادات الحظر، فلا يجوز لأحد كائنا من كان أن يبتدع شيئا من الشريعة.

٨٤٩. تفيد عظم منزلة الاتباع في الدين، فإن دين الإسلام مبني على أصلين: الأول: أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، والثاني: أن نعبده بما شرع ولا نعبده بالبدع.

٨٥٠. تفيد أن حياة النبي عليه السلام كانت قائمة على الوحي، وكذلك حياة من يهتدي به عليه السلام.

٨٥١. فيها أن من أعظم وسائل الدعوة هي تبلغ الوحي إلى الناس وحثهم على اتباعه.

٨٥٢. فيها: أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ.

٨٥٣. فيها صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به.

٨٥٤. فيها فضل النبي صلى الله عليه وسلم إذ خصه الله تعالى بالوحي ﴿ إِلَيَّ﴾

٨٥٥. يفيد الاستفهام الاستنكاري في قوله ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ التنفير من الضلال والترغيب في الهدى.

٨٥٦. فيها: بيان البون الشاسع بين من أبصر الحق، ومن عمي عنه كالأعمى والبصير.

٨٥٧. فيها أن من أساليب الدعوة ضرب الأمثال.

٨٥٨. يفيد قوله ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ حجة من حجج الله تعالى للمستقلين في هداية الدين، على المقلدين فيه لآبائهم ومشايخهم الجاهلين.

٨٥٩. تفيد أنه لا يستوي العالم والجاهل والمهتدي والضال والمؤمن والكافر كما لا يستوي الأعمى والبصير.

٨٦٠. تفيد أن العَمَلَ بِغَيْرِ الوَحْيِ يَجْرِي مَجْرى عَمَلِ الأعْمى، والعَمَلُ بِمُقْتَضى نُزُولِ الوَحْيِ يَجْرِي مَجْرى عِلْمِ البَصِيرِ.

٨٦١. قوله ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيها أهمية التدبر والتفكر.

٨٦٢. فيها ضرورة إعمال أدوات الإدراك والاستفادة منها.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١]

٨٦٣. تفيد لطف الله بعباده بأمره رسولَه بإنذارهم ق﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾.

٨٦٤. قوله ﴿ وَأَنذِرۡ ﴾ فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه بالنذارة والبشارة.

٨٦٥. فيها توجيه للنبي الكريم ويستدل به على توجيه من هو دونه كائنا من كان.

٨٦٦. فيها: أنه لا غني للمرء مهما بلغ من الدعوة والتذكير والإرشاد.

٨٦٧. قوله ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ﴾ فيها أن في القرآن أعظم النذارة وأكرم البشارة.

٨٦٨. فيها: أن التذكير بالقرآن سبب في تقوى الله.

٨٦٩. فيها: أن غاية العبادة هي بلوغ التقوى.

٨٧٠. يؤخذ منها أن المنتفع بالنذارة حقا هو المؤمن المصدق باليوم الآخر، والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب والجزاء ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾.

٨٧١. فيها: أن الخوف من الله والإيمان باليوم الآخر يورث صاحبه الهدى.

٨٧٢. فيها إثبات حشر الخلائق يوم القيامة، للقضاء بينهم، بين العدل والفضل، العدل للكفار، والفضل للمؤمنين.

٨٧٣. فيها: أن المؤمن من صفاته الخوف مما في الحشر والعرض على الله.

٨٧٤. فيها إشارة إلى أن الكافرين لا ينتفعون بالإنذار لأنهم لا يؤمنون بالحشر، فلا يخافونه.

٨٧٥. فيها أن الإنذار عام لجميع الناس، وإنما خص هنا بالذين يخافون؛ لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم، فكأنه قيل: أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون.

٨٧٦. تفيد أهمية التزود من التقوى والأعمال الصالحات، فهي النافعة والمنجية يوم القيامة.

٨٧٧. تفيد أن الشفاعة ملك لله جل وعلا فلا تطلب من غيره ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾.

٨٧٨. تفيد الرد على المنحرفين من أصحاب الطرق الصوفية الذين يعتقدون أن تعلقهم بمن يسمونهم الأولياء يشفع لهم عند الله.

٨٧٩. فيها أن على الدعاة غرس قيم العقيدة أولا من نفي الشرك والأولياء ثم القيام ببقية الدعوة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢].

٨٨٠. تفيد أن الوحي لا يتبع أهواء البشر، نزلت هذه الآية في الضعفاء من المسلمين، كعمار وبلال وخبيب وصهيب وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا يمكننا أن نختلط بهؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك فنزلت هذه الآية. أفاده الطبري، وابن جزي، وابن كثير.

٨٨١. تفيد فضل ضعفاء المسلمين وفقرائهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم باخلاصهم ودعائهم"رواه البخاري. وقد عقد النووي بابا في رياض الصالحين في هذا المعنى.

٨٨٢. تفيد مراعاة مشاعر الضعفاء وأن يبتعد المسلم عن زجرهم أو طردهم؛ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩ – ١٠]

٨٨٣. تفيد إكرام أهل الصلاح والعلم والدعوة، ومجالستهم، وتقريبهم وتعاهدهم، والتماس الدعوة الصالحة منهم؛ لانكسار قلوبهم بإخلاصهم، ولقربهم من ربهم بكثرة ذكرهم له بالغداة والعشي.

٨٨٤. في النهي عن الطرد إشارة إلى ما هو أشد منه إيلاما على النفوس؛ فالنهي عنه من باب أولى كالإيذاء النفسي، والجسدي، والحبس، والتضييق المعيشي، والتخوين، والتصنيف ونحوها مما ابتليت بها الأمة.

٨٨٥. تفيد أن الغنى والمال ليس هو المقياس في القرب من الله عز وجل، فإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الآخرة إلا من يحب.

٨٨٦. فيها أن المقاييس السماوية الإلهية تختلف عن المقاييس الأرضية البشرية حتى وإن بدت غير معقولة للنظر القصير.

٨٨٧. فيها الإرشاد إلى المحافظة على المكتسبات وتنميتها، وعدم التفريط فيها تطلّباً لمظنونات.

٨٨٨. تفيد: أنه لا حرج في توصية وتذكير الجليل من الناس وإن كان حريصا؛ فالله حذر نبيه أن يكون من الظالمين؛ فمهما علا شأن العبد، فإنه يوعظ ويذكر بالله ويحذّر من الظلم ومن الصفات الذميمة.

٨٨٩. فيها التأكيد على الدعاة بوجوب الاهتمام والعناية بدعوة الضعفاء الأتقياء الأخفياء، فهم السباقون لدعوة الرسل في كل زمان ومكان.

٨٩٠. تفيد: أن الله لا ينظر إلى صور بني آدم.

٨٩١. فيها: إشارة جليلة، أن هذا المتلو كلام الله؛ فلا يعلم أن أحدا ادعى النبوة فجاء بمثل ما ورد من افتتاح الآية، وخاتمتها، بل وفي ثناياها.

٨٩٢. تفيد: أن الصلاة داخلة في مسمى الدعاء، ولعل هذا من أسرار مجيء الآية بلفظ ﴿ يَدۡعُونَ ﴾، ولم يقل – مثلا – "يصلون"، وكذا الذكر، فإنه داخل في مسمى الدعاء؛ ألا ترى أن كلمة "لا إله إلا الله"، حوت الدعاء كله؟، وتصديق ذلك قوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ولم يحك الله أنه دعا بالنجاة أو بكذا وكذا.

٨٩٣. قوله ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ تفيد عظمة دعاء الله، ومنزلة من يدعوه دون سواه، فاقترب منه ونل من فضله، فالنهي عن طرده دعوة للقرب منه، ولو كان فقيرا لا مال له، وضيعا لا جاه لله.

٨٩٤. تفيد فضل الدوام والاستمرار على العبادة فبها تنال الدرجات العالية كما نالها هؤلاء الصحب الكرام، ويستفاد هذا من صيغة المضارع ﴿ يَدۡعُونَ ﴾ ومن ذكر «الغداة والعشي».

٨٩٥. تفيد: مجافاة المنافقين والإغلاظ عليهم؛ لأنه نهاه عن طرد الذين يريدون وجهه؛ يعني: يريدون وجهه فحسب، أما المنافقون فقد قال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩].

٨٩٦. ﴿ فيها: إشارة إلى فضل أوقات الغداة والعشي وقد ورد في ذكرهما آيات بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾.

٨٩٧. تفيد استحباب الذكر والدعاء في الغداة والعشي، ومن ذلك أذكار الصباح والمساء.

٨٩٨. قوله ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ فيها: إثبات صفة "الوجه" لله جل ذكره.

٨٩٩. تفيد: أن الإخلاص يرفع قدر صاحبه، وعليه: فليحذر المرائي، فهو في دون وسفول، إلا أن يرتقي بالإخلاص.

٩٠٠. فيها مدح لهؤلاء الصحابة وتزكية المقصد أعمالهم خلافا لمقصد المنافقين والكافرين.

٩٠١. فيها: أن الجزاء، والأرزاق بيد الله وحده، فلم الطرد﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾. وعليه: فيجب على العبد أن يدعو ربه مخلصا، لا يرجو جزاء من أحد، لعلمه أن الجزاء بيد ربه فحسب.

٩٠٢. تفيد أن الذي يتولى حساب العباد هو الله عز وجل وحده، ففيها رد على الرافضة الذين يقولون إن علي بن أبي طالب هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة.

٩٠٣. فيها أن إقصاء الصالحين من صفات الظالمين، ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

٩٠٤. فيها أن الرجل الصالح قد يصل إلى درجة الظالمين، عندما يطرد الصالحين من مجلسه أو يؤذيهم.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣]

٩٠٥. مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما كان هذا هو منطق المشركين وتفكيرهم في كل زمان ومكان، حيث الاغترار بالمال، والجاه، والتكبر على عباد الله قال سبحانه﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ فبين الله سبحانه وتعالى - في هذه الآية: أن أمر الهداية ليس بالجاه والسلطان أو الغنى والثراء ونحو ذلك ولهذا ختم الآية بالرد عليهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

٩٠٦. تفيد أن الله سبحانه وتعالى يفتن بعض الناس ببعض؛ فيضل البعض بسبب البعض؛ وذلك لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى.

٩٠٧. تفيد بيان الحكمة من فتنة الناس بعضهم ببعض، كما امتحن السادات والأشراف بالعبيد والضعفاء والموالي، فإذا نظر الشريف والسيد إلى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده، ويقول هذا يسبقني إلى الخير والفلاح وأتخلف أنا، فلو كان ذلك خيرا وسعادة ما سبقنا هؤلاء إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم فيما من عليهم من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها وكانت فتنة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذي ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء".

٩٠٨. قوله ﴿ فَتَنَّا ﴾ تفيد تعظيم الرب جل وعلا.

٩٠٩. تفيد أن الدنيا دار فتنة وامتحان وابتلاء.

٩١٠. تفيد الآية أن من الابتلاء الحسد على منة الله، وفضله على من يشاء من عباده قوله ﴿ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾.

٩١١. فيها أنه لا يجوز الحكم على الأشخاص بالمظاهر، فرب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.

٩١٢. يستفاد من اللام في قوله تعالى: ﴿ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾ أن أفعال تعالى معللة بالحكم والمصالح العظيمة. ولا يقال إن اللام لام العاقبة لأن لام العاقبة تكون في حق من هو جاهل بالعاقبة، أو عاجز عن دفعها كما نبه عليه غير واحد من العلماء، قالوا ذلك إنكارا واستهزاء وغرضهم من هذا الكلام إنكارهم المن رأسا على حد قولهم في سورة الأحقاف: ﴿ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

٩١٣. فيها أن امتنان الله – تبارك وتعالى – على خلقه بالإيمان والهداية، من أعظم النعم، وأجل المنن التي تستوجب الشكر.

٩١٤. تفيد أن بعض الكفار بالرغم من ازدرائهم بالمؤمنين الضعفاء الفقراء إلا أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن التوفيق للإيمان بالله تعالى هو من أعظم النعم والمنن.

٩١٥. تفيد الآية أن الله عليم بالشاكرين لله على فضله ومنه.

٩١٦. الاستفهام للتقرير: والله أعلم بمن يشكر فيهديه ومن يكفر فيخزيه.

٩١٧. تفيد فضل الشكر والشاكرين. قال ابن القيم: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هم الذين يعرفون قدر نعمة الإيمان ويحمدون الله عليها. (مدارج السالكين ٢/٤٨١)

٩١٨. تفيد أن الشكر من أسباب الهداية.

٩١٩. تفيد أن الفضل ليس بالغنى ولا بالجاه ولا بالقوة في الدنيا، ولكنه بمقدار شكر الله على ما أنعم، وأنه سبحانه هو العالم وحده بمن يستحق الفضل علما ليس فوقه علم.

٩٢٠. تفيد أن الرسالة والرسول المرسل من أعظم النعم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومن استقرأ أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله صلى الله عليه وسلم، وأن الذين ردوا رسالته، هم من قال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الجواب الصحيح ٥/٨٨)

٩٢١. تفيد سعة علم الله عز وجل، وكمال حكمته؛ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، دون من ليس بشاكر، فإن الله تعالى حكيم، لا يضع فضله عند من ليس له بأهل، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف من مَنَّ الله عليهم بالإيمان، من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]

٩٢٢. مناسبتها لما قبلها أنه سبحانه وتعالى بعد أن نهاه عن طردهم أمره بملاطفتهم، وإكرامهم والسلام عليهم، لذا كان صلى الله عليه وسلم إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربي أن أبدأهم بالسلام.

٩٢٣. قوله﴿ وَإِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، فمن جاء مؤمنا إلى قيام الساعة فمن حقه كل ما ذكر في الآية.

٩٢٤. تفيد فضل وفائدة المجيئ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء من بعده من ورثته، وأن العلم يؤتى ولا يأتي ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾.

٩٢٥. تفيد إكرام أهل الإيمان والترحيب بهم والسلام عليهم ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾.

٩٢٦. فيها أمر الله نبيه عليه السلام بملاطفة أصحابه الأخيار (في خير القرون) فمن باب أولي ملاطفة الجهال، حتي لا ينفروا، فالعلم يؤتي في زمان الصالحين، أما في زماننا هذا فعلي العلماء السعي في نشر الفضائل، وإثبات يسر الاسلام ورحمة الله الواسعة وفرحته وقبوله لتوبة التائبين.

٩٢٧. فيها أن الإيمان بالآيات سبب للسلام وتنزل الرحمات.

٩٢٨. فيها أنه ينبغي أن تتسم المعاملة بين المؤمنين بالتراحم، وذاك هو اسم الرحمن وصفته، فارحم تُرحم.

٩٢٩. قوله ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ فيها أن الأصل في الإسلام هو السلام، والتبشير بالمغفرة والرحمة.

٩٣٠. قوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار فهي التحية بأعلى مستوياتها واستمرارها بدون فتور أو تغيير أو نقص.

٩٣١. تفيد فضل تحية الإسلام وبثها وإفشائها من أسباب المحبة بين المسلمين، ودخول الجنة التي تحيتهم فيها سلام، وتتلقاهم الملائكة فيها بالسلام، وقد جاء في الحديث عنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفق عليه.

٩٣٢. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ التعبير بالجملة الفعلية وبالفعل الماضي دال على سبق مغفرة الله، وكرمه على عباده

٩٣٣. إبراز كلمة الرب مع الرحمة لما فيها من تناسب كلمة الرب التي تدل على الشفقة والرعاية للمربوب.

٩٣٤. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ ﴾بمعنى فرض وجعله لازما على نفسه، ومن ذلك تحريم الظلم على نفسه، وفي ذلك من الترغيب والدعوة إلى الإسلام والتوبة ما يعجز اللسان عن وصفه.

٩٣٥. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ تفيد أن الله تعالى جعل على نفسه حقا لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]

٩٣٦. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فيها أكبر حافز على التوبة والإنابة حيث ابتدأها تعالى بالامتنان على خلقه بأن طمأنهم بأنه كتب على نفسه الرحمة، أي أوجب وألزم.

٩٣٧. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فيها أن كتابة الله تعالى في القرآن الكريم كتابتان كتابة كونية قدرية، وكتابة دينية شرعية والكتابة في هذه الآية اجتمعت فيها الكونية والدينية.

٩٣٨. قوله ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فيها الحث على سؤال الله الرحمة، وحسن الظن به تعالى، والطمع في نيل رحمته التي كتبها تعالى على نفسه.

٩٣٩. فيها درس تربوي للداعية والمصلح في استحسان التقديم بالمحفزات التي تعين العبد على فعل الحسن وترك السيء قبل الأمر بذلك والحث عليه ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

٩٤٠. تفيد إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى.

٩٤١. فيها بيان شروط التوبة وأسبابها: ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

٩٤٢. فيها أن الذنب لا يسلم منه حتى الأخيار، ولكن شتان بين التائبين المصلحين، وبين المسرفين المسوفين ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٩٤٣. فيها أنه متى أخطأت بجهالة فأصلح بعلم لا تُبطئ عن الرجعة، وأحسن في العودة فإن الله غفور رحيم

٩٤٤. فيها أنه متى استفتاك مسرف في الذنب عن باب التوبة، فأعلمه أنه مفتوح ليس بيد أحد من الخلق إغلاقه دونه، فليقبل عليه بشرطه.

٩٤٥. قوله ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ فيها الإشارة إلى الفرق بين الجهل والجهالة، فالجهالة كما هنا تعني السفة، وضعف عقل الرشد، وليس الجهل الذي هو ضد العلم.ولذا قال أبو العالية إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة.

٩٤٦. فيها أن اقتران عمل السوء بالجهالة في هذه الآية وفي غيرها من الآيات دليل على أن صفة الجهالة ملازمة لكل من عصى الله تعالى.

٩٤٧. تفيد أنه لا بد مع ترك الذنوب والإقلاع، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٩٤٨. في عطف الإصلاح على التوبة دليل على أنه مع الإقلاع عن الذنب والندم، والعزم على عدم العودة لابد من إصلاح ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة بسبب الذنب لتمحو آثار الذنب.

٩٤٩. فيها كما ابتدأها بهذا المحفز العظيم اختتم الآية بالتنبيه على اسمين ووصفين عظيمين مناسبين للحث على التوبة والإصلاح ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فيغفر الذنب وإن عظم ويرحم العبد وإن شرد.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]

٩٥٠. تفيد نعمة التفصيل والبيان الذي جاء في القرآن وهي نعمة تستوجب الشكر. قال العلماء: الكاف للتشبيه، وذلك إشارة إلى ما سبق، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها، والمعنى: ومثل هذا البيان الذي بيناه لك هنا، نبين لك في جميع الآيات الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل ليتبين الحق، وليظهر طريق أهل الباطل المخالفين للرسل.

٩٥١. تفيد تعظيم الرب جل وعلا، وفضل آياته وأثرها في بيان الحق.

٩٥٢. تفيد أن آيات الله عز وجل مفصلة بيّنة، واضحة، كثيرة، كافية لبيان الحق وإيضاح سبيل المجرمين.

٩٥٣. تفيد أن الطريق الصحيح لإظهار طريق المجرمين هو تفصيل الآيات وشرحها وبيانها.

٩٥٤. فيها: أن طرق أهل الإجرام بينة واضحة؛ لا يقع فيها إلا هالك أعمى القلب.

٩٥٥. تفيد سعة علم الله تعالى وحكمته ولطفه.

٩٥٦. تفيد أن سبيل المجرمين له علامات واضحة يعرف به.

٩٥٧. تفيد أن القرآن الكريم من عند الله، وأن النبي عليه السلام مبين له ومنزل عليه.

٩٥٨. فيها أن من مهام العلماء مواصلة إقامة الأدلة وتتبعها وعرضها بأشكال مختلفة لحصار المجرمين من خلال فضح طرائقهم، وبشاعة ظلمهم وإجرامهم، من خلال تحديد معالم طريق الإجرام لإقامة الحجة على السالكين ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

٩٥٩. فيها دليل على ضرورة بيان أدلة الحق وتفصيلها والبعد عن العبارات المجملة الموهمة. وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله:(فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل... إلى أن قال: فإذا فصل فيها الخطاب ظهر الخطأ من الصواب) الفتاوى ٧/ ٦٦٤.

٩٦٠. فيها التنبيه إلى إحدى سمات ومزايا كتاب الله العزيز الجليلة، وأنه أنزل مفصلا.

٩٦١. تفيد أهمية كشف الشبهات، وبيان الحق والرد على المبطلين.

٩٦٢. تفيد ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ أهمية معرفة حكمة كل أسلوب من أساليب القرآن الكريم.

٩٦٣. فإن قيل: فقد كان النبي ﷺ يستبينها فالجواب: أن الخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته.

٩٦٤. فيها أن استبانة أحد السبيلين كاف في الدلالة على الآخر، ولذا ذكر القرطبي سبب عدم ذكر سبيل المؤمنين له جوابان: إما على تقدير محذوف نحو: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١]، والمعنى: وتقيكم البرد فحذف. – للعلم به – وكذلك هنا: وسبيل المؤمنين فحذف. والجواب الآخر: أن يقال استبان الشي واستبنته، وإذا بان سبيل المجرمين بان سبيل المؤمنين.

٩٦٥. تفيد التنفير من الإجرام وأعمال المجرمين، لأن تستبين لتحذر.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٦]

٩٦٦. مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الآية السابقة فيها أن الله تبارك وتعالى فصل الحق لتظهر طريق المجرمين، وهذه الآية فيها نهي عن سلوك طريق المجرمين، لأنها بمحض الهوى والتقليد لا على طريق الحجة والبرهان.

٩٦٧. وقيل المناسبة أنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر فيما سلف عناد المشركين وتعنتهم، وفصل أحوالهم ليظهر الحق من الباطل وتستبين طريق المجرمين ذكر في هذه الآية وما بعدها ما يبين لنا صلابة النبي صلى الله عليه وسلم في موقفه من دعوته مما يقطع على المشركين طمعهم في ثنيه، أو صرفه عنها. وقيل المناسبة لما قبلها أن ما ذكر في الآية من منهيات، هي من سبيل المجرمين.

٩٦٨. فيها تأكيد على أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه، بدلالة قوله: ﴿ قُلۡ ﴾

٩٦٩. تفيد: أن منهج الأنبياء ومن تبعهم، الصراحة والوضوح والصدع بالحق؛ في مواجهة أعداء التوحيد، وود المشركون أن يظفروا من الأنبياء بخلافه قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩]، وهذا ظاهر جدا، من افتتاحها بقوله: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ ﴾

٩٧٠. قوله: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ فيها: وجوب التبري من المشركين ومعبوداتهم، والجهر بذلك؛ قال الله: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]

٩٧١. تفيد أن الأمر والنهي لله سبحانه وتعالى، وأن النبي صلى الله عليه وسلم متبع؛ لقوله: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ ﴾

٩٧٢. تفيد النهي القاطع عن كل ما يؤدي إلى الإشراك بالله الذي هو رأس الضلال.

٩٧٣. تفيد بدلالة السياق أن من أول ما يبين في تفصيل سبيل المجرمين التحذير والنهي عن كل صور الإشراك بالله تعالى.

٩٧٤. قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تفيد النهي عن الشرك، ومنه عبادة الأصنام والأوثان التي يدعونها من دون الله.

٩٧٥. تفيد أن دعاء غير الله كدعاء الأموات والغائبين هو عبادة لهم.

٩٧٦. تفيد أن العبادة والدعاء لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى وحده.

٩٧٧. تفيد حقارة كل من عبد من دون الله وسفول رتبتهم بما يبين سفه عقولهم.

٩٧٨. فيها وبضميمة ما قبلها، ليس الشأن أن يتبين للعبد سبيل المجرمين فحسب، بل الشأن أن يخالفه ويعمل بضده الذي هو سبيل المهتدين؛ فكم من أناس تبين لهم الطريق ولم ينتفعوا بالبيان.

٩٧٩. قوله ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيها النهي عن اتباع أهواء الكافرين.

٩٨٠. تفيد أن الأهواء كثيرة؛ لجمعها، وأنها سبب للضلال عن الصراط المستقيم.

٩٨١. فيها أن اتباع الهوى؛ سبب للضلال ومجانبة الهدى.

٩٨٢. تفيد: أن اتباع الهوى يحمل على بغض الصالحين ومجافاتهم وإبعادهم، لقوله: ﴿لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادة غير الله وطرد المؤمنين الفقراء.

٩٨٣. تفيد: أن عبادة غير الله بنيت على الهوى، ولم تبن على حجة؛ إنما هو التقليد والمكابرة.

٩٨٤. فيها إشارة إلى: خطورة الضلال، والذي أعظمه الشرك بالله؛ ولذا أكد بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾، ولم يكتف بقوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ مع أن الضلال ضد الهدى، وأعظم الهدى التوحيد.

٩٨٥. التعبير بقوله ﴿ لَآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ ﴾ دون لا أتبعكم، للإشارة إلى أنهم في عبادتهم لغير الله تابعون للأهواء الباطلة، نابذون للأدلة العقلية، وفي هذا أكبر برهان على انطماس بصيرتهم، وبنائهم لدينهم على الأوهام والأباطيل.

٩٨٦. فيها: التعريض وعدم التصريح بالمخالف؛ لقوله: ﴿ قَدۡ ضَلَلۡتُ ﴾ ولم يقل: "أيها الضالون"، أو "ضللت كما ضللتم" – مثلا –.

٩٨٧. تفيد أن ما خالف الحق والهدى أهواء ما أنزل الله بها من سلطان.

٩٨٨. تفيد أن النبي عليه السلام هو سيد المهتدين، وكل من جانب هديه كان من الضالين.

٩٨٩. تفيد أن تحقيق التوحيد هو صفة المهتدين عبر القرون؛ ولذا قال تعالى حاكيا ما قاله النبي عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧]

٩٩٠. مناسبتها لما قبلها أنه لما بين نهيه عن سلوك سبيلهم في الآية السابقة ونفى أن يكون متبعا للهوى مثلهم، بين أنه على بصيرة وبرهان من ربه، وأنهم يكذبونه في ذلك، وليس في قدرته تعذيبهم كما يطلبون؛ لأن ذلك الأمر بيد الله وحده، إن شاء أهلكهم، وإن شاء أجلهم لما في ذلك من حكمة عظيمة.

٩٩١. وقيل مناسبتها لما قبلها؛ أنه نهي عن اتباع أهوائهم – في التي قبلها –، وهنا يقول: ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي على برهان منه، لا على هوى كما فعلتم أنتم. ومفادها: تعريض بسفه المشركين، وأنهم لا يعبدون معبوداتهم بحق، وليس لهم في ذلك برهان من ربهم كنبيه – صلى الله عليه وسلم.

٩٩٢. قوله ﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ فيها: بيان عناية الله بنبيه ومن تبعه، حيث لم يتركهم في التباس وحيرة من أمرهم، وإنما جعلهم على بينة، ولا يستوي الفريقان، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤]

٩٩٣. فيها الحث على الثبات واليقين.

٩٩٤. تفيد أن المسلم على بينة من دينه، فعليه أن لا يلتفت إلى الشبهات مهما كثرت وتنوعت.

٩٩٥. تفيد أن البيان للعباد من مقتضيات الربوبية ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي أن من لوازم ربوبية الله تعالى للعباد أن يبين لهم ويهديهم وهذا البيان يكون بالكتب والرسل والعلماء.

٩٩٦. تفيد أن على المسلم الذي يدعو إلى الله عز وجل أن يكون على علم وبصيرة قائما بأوامر الله، طائعا له سبحانه وتعالى.

٩٩٧. قوله ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ تفيد شناعة ما وقع فيه الكفار بتكذيبهم هذه الآيات البينات؛ وكان الواجب عليهم الإيمان والتسليم.

٩٩٨. قال المفسرون: الضمير في قوله:﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾، عائد على الرب سبحانه، أي كذبتم به غيره، أو على البينة باعتبار المعنى، أي كذبتم ما جئتكم به، أو العذاب الذي كانوا يستعجلونه، قال عدد من المفسرين منهم البيضاوي وابن الجوزي والشوكاني: ولكن سياق الآيات يرجح أنه عائد على العذاب.

٩٩٩. قوله:﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي العذب الذي استعجلوه بقولكم: " ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقيل: الآيات التي اقترحوها، والثاني أظهر.

١٠٠٠. تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله فليس له من الأمر شيء،فلا يدعى ولا تطلب منه الحاجات، وليس عنده إنزال العقوبات ولذلك قال: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ وهذا الاستعجال يدل على سفه المشركين.

١٠٠١. قوله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ فيها تفويض العلم وتحقيق مطالب المدعوين لله، وعدم التحرج من ذلك بل ذلك أحرى أن يثق المدعو بأمانة وصدق الداعي الى الله.

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨]

١٠٠٢. تهدي الآية إلى اتباع طريقة الوضوح التام في جدال الكفار ومحاجتهم وحسن التخلص من تعنتهم وتشغيبهم عبر منهج إنما أنا منذر، فبينما أراد الكفار تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم من خلال إثبات أنما يتوعدهم به من العذاب باطل عبر طلب تعجيله إن كان صادقا، فيأتيهم الجواب الإلهي قل لو أن عندي ما توعدون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله عليم بالظالمين.

١٠٠٣. تفيد: جواز استعمال "لو"، في مثل هذا الموطن.

١٠٠٤. تهدي الآية الكريمة من بعد إلى الالتزام بالمهام المحددة، وعدم تكلف ما لا يدخل في حيّز المهام والصلاحيات.

١٠٠٥. تفيد: أن الله لا يعجل لعجلة أحد، ولا يؤخر لتأخير أحد، قال الله: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: ٣٢ – ٣٣]، لأن إلى الله يرجع الأمر كله.

١٠٠٦. تفيد: أن على الداعية أن يتحلى بالصبر الجميل، وأن يتحمل كل مايلقاه ممن انحرف فكره، وزاغ عقله، واتبع هواه، وضل سعيه.

١٠٠٧. تفيد: سعة حلم الله عز وجل فيمهل الظالمين عن علم، ويملي لهم عن حكمة، ويحلم عليهم سبحانه وتعالى، وهو القادر على إنزال العقوبة بهم وأخذهم من حيث لا يعلمون.

١٠٠٨. فيها ترتيب دلائل الاستدلال، وإثبات مسائل الاعتقاد في النفوس عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل ونحو ذلك.

١٠٠٩. تفيد: أن الله لا يؤخر العذاب عن الظالم إلا بعلم ولتوقيت شاءه؛ وفي الحديث: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" رواه البخاري، فلا يحسبن ظالم أن تأخير العذاب عنه، عن نسيان من رب العالمين – سبحانه – قال الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

١٠١٠. تفيد: أن الشرك بالله ظلم، كما قال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

١٠١١. مناسبتها لما قبلها أن الآيات السابقة فيها طلب المشركين من الرسول صلى الله عليه وسلم آيات خاصة أو استعجال العذاب، ورد عليهم في أن الأمر بيد الله، وأن من حكمته سبحانه أن يجعل لكل شيء أجلا وموعدا لا يتقدم عنه ولا يتأخر، وفي هذه الآية أن مفاتيح الغيب عند الله تعالى، وأنه يعلم كل شيء، وفي ذلك إشارة واضحة لحكمة تأخير العذاب عنهم، وعدم إجابة طلبهم.

١٠١٢. ومن المناسبة أيضا أنه لما ذكر في الآيات السابقة طلب المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات خاصة، واستعجالهم العذاب ورد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ ﴾ [الأنعام: ٥٧ – ٥٨]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخرهم، ذكر هنا أن مفاتح الغيب عنده، وأن التصرف في الخلق بيده، وأنه هو القاهر فوق عباده، ولا يشاركه في ذلك أحد من خلقه أو رسله حتى يصح أن يطالبوه به، وفي هذا اشارة واضحة إلى حكمة تأخير العذاب عنهم.

١٠١٣. فيها: مناسبة لما قبلها؛ وذلك من وجوه: منها: أنه ختم سابقتها بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وكأنه يقول: ولم لا يعلمهم وهو ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾

١٠١٤. قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ مفاتح الغيب قد بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مفاتحُ الغيبِ خمسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ

مَاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]،رواه البخاري ٤٦٢٧
)

١٠١٥. قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ فيها: اختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم فمن ادعى معرفة الغيب فهو كافر، وقدم الظرف لإفادة الاختصاص، أي: عنده لا عند غيره مفاتيح الغيب، وجملة﴿ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ في موضع الحال من مفاتح، وهي مؤكدة لمضمون ما قبلها. وفي الحديث: "من أتى كاهنا فسأله عن شيء فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم" رواه أبو داود، وهو حديث صحيح.

١٠١٦. فيها بيان علم الله المحيط والشامل لكل شيء، وهذا تقرير للألوهية، واحتجاج على المشركين، وبيان أنه سبحانه وتعالى المستحق للعبادة والإجلال والتعظيم.

١٠١٧. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ قال السعدي: هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلا عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها.، وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق -من أولهم إلى آخرهم- لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط. وجل مِنْ إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث".أهـ. بتصرف.

١٠١٨. قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ فيها دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها.

١٠١٩. فيها رد على الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين علم الغيب وما ليس من شأنهم.

١٠٢٠. فيها: رد على القدرية الغلاة؛ لقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فهو يعلم جميع المغيبات التي تكون في المستقبل. ولقوله: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ ولم يقل: "علم"، وهذا من فوائد مجيء العلم بصيغة المضارع.

١٠٢١. فيها بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به سبحانه من حيث القدرة والعلم وغير ذلك، وفي ذلك رد على الكفار استعجالهم العذاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠٢٢. قوله ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ تفيد مظاهر قدرة الله عز وجل، وعلمه الشامل المحيط بكل الأشياء وحكمته البالغة سبحانه وتعالى

١٠٢٣. فيها دعوة إلى التربية على مراقبة الله في السر والعلن.

١٠٢٤. تفيد انقسام الكون الأرضي إلى بحر وبر وفي كل منهما من العوالم ما الله به عليم.

١٠٢٥. قيل: قدم البر على البحر بالذكر لأن معرفة البشر فيه أكثر.

١٠٢٦. تفيد بدلالة التقديم أن متعلقات عالم البحر أعظم وأهول وأكبر من متعلقات عالم البر، خاصة وهي الأوسع والأكبر، ومثله تقديم علمه بالغيب على الشهادة، وعلم بما في السموات على ما في الأرض، وقد تكون دلالة التقديم لما يترتب على تأخير البر من تفصيل، والأول أظهر.

١٠٢٧. قوله ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ تفيد: أن الله عز وجل كتب مقادير كل شيء وهو الذي أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما.

١٠٢٨. تفيد: أن من كانت هذه صفته فهو المستحق للعبادة وهو الذي يرغب فيه، ويفزع إليه في كل أمر وهو الذي يرجى ولا يرجى سواه.

١٠٢٩. في هذه الآية احتجاج على المشركين من خلال صفات الله الدالة على وحدانيته، واحتجاج على المشركين من خلال بيان علم الله المحيط لكل شيء فهو المستحق للعبادة والتعظيم.

١٠٣٠. في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ (ما) تفيد النفي، و (من) تفيد الاستغراق. وفي ذلك مبالغة في إحاطة علمه سبحانه وتعالى بالجزئيات.

١٠٣١. في علمه بذلك تنبيه على علمه بغيرها لأنها أشد تغيبا من غيرها.

١٠٣٢. فيها الرد على الفلاسفة الذين يقولون إن الله سبحانه وتعالى يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقولهم من أعظم الكفر والضلال.

١٠٣٣. وفائدة التنبيه على أنه – سبحانه – يعلم حتى سقوط الورقة، لأمور: منها: بيان سعة علمه. ومنها: ليعلم أن له تدبيرا في كل شيء؛ فإذا تبين أن الله يدبر شأن الورقة؛ من نموها حتى يبسها وسقوطها على الأرض، فعلى العبد أن يتوجه إلى ربه ليكفيه أمره ويدبر شأنه، حقا.

١٠٣٤. ﴿وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ تفيد أهمية الكتابة وتدوين الأمور، خصوصا: العلم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قيّدوا العلم بالكتاب". (السلسلة الصحيحة).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]

١٠٣٥. المناسبة بين هذه الآية والآية التي قبلها أنه بعد أن بين سبحانه وتعالى شمول علمه أتبعه بالحديث عن بيان كمال قدرته، ونفاذ إرادته.

١٠٣٦. قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ تفيد أن النوم المعهود من البشر عند ما تهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم وفاة وهو ما أثبته العلم الحديث، وفي هذا إثبات للإعجاز وشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

١٠٣٧. تفيد: أن وفاة النوم عظة وعبرة وتذكير بالموت، كما أن الاحياء والعمل بالنهار تذكير بالبعث.

١٠٣٨. تفيد: أن الليل محل السكون والراحة، والنهار محل الحركة والعمل؛ كما قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١٠ – ١١]

١٠٣٩. تدل على قدرة الله تعالى، واستقلاله بحفظ النفوس، وجميع الأشياء في جميع الأحوال وتدبيرها على أحسن الوجوه حالة النوم واليقظة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾.

١٠٤٠. في الآية ما يفيد بضرورة تنظيم الوقت، وإدارته بما يتسق مع السنة الكونية فيكون النوم والسكون بالليل والسعي والنشاط وبذل الجهد بالجوارح بالنهار.

١٠٤١. تهدي الآية الكريمة إلى محاسبة الإنسان نفسه وتذكرها مرتين في الليل وفي النهار، فمراجعة نفسه قبل أن تتوفى بالاستغفار، والتوبة عما جرح في يومه وبالذكر والصالحات، ومراجعة نفسه بعد أن يستيقظ بالذكر والتهيؤ لكسب الصالحات في يومه، وتوقي السيئات.

١٠٤٢. فيها أنه ينبغي أن نأخذ العظة والعبرة من الموتة الصغرى، استعدادا للموتة الكبرى والرجوع إلى الله تعالى.

١٠٤٣. فيها أنّ النوم واليقظة آية من آيات الله، ونعمة تستوجب الشكر وتُذكر بالبعث، وفي حديث حُذيفة، قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا نام قال: "اللهُمَّ باسمِكَ أحيا وأموتُ"، وإذا استيقَظَ قال: "الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا، وإليه النُشورُ." أخرجه البخاري (٦٣١٢) و (٦٣٢٤)

١٠٤٤. في الآية تقرير واضح للألوهية، واحتجاج على المشركين؛ لأن الله تعالى هو المتصرف بتدبير عباده في جميع أحوالهم.

١٠٤٥. في الآية إشارة واضحة إلى غفلة الكفار عن الآخرة، فهم أموات كالجيف في الليل، فينغمسون في المعاصي والآثام في النهار.

١٠٤٦. فيها بيان استقلاله بحفظ النفوس، وتدبير الأشياء في جميع الأحوال مع تذكيره لهم برحمته وإحسانه، وأنه قادر على تعذيبهم لعلهم يخشون بأسه، ويلتزمون طاعته.

١٠٤٧. تفيد تعظيم الله سبحانه وتعالى وسعة علمه، وكمال قدرته وسعة سلطانه.

١٠٤٨. تفيد: القاعدة المشـــهورة "الحكم للغالب"؛ لأنه خص الليل بالوفاة، والنهار بالعمل تغليبا، وإلا فمن الناس من ينام بالنهار ويعمل بالليل.

١٠٤٩. قوله ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ تشير: إلى حفظ الجوارح، من وقوعها في مساخط الله.

١٠٥٠. فيها: تهديد لمن اجترح السـيئات (كفر، ومعصـية)، ولعل هذا من وجوه مناسـبتها لما بعدها؛ قال الله – بعدها –﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ ﴾ [الأنعام: ٦١]، وكأنه يقول: فاحفظوا جوارحكم من الأدناس، ولا تعصوني فأنا {القاهر} فوقكم.

١٠٥١. فيها: رد على الجبرية، لقوله: ﴿ جَرَحۡتُم ﴾

١٠٥٢. قوله ﴿ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ فيها اعتبار واسـتدلال على البعث الأخروي.

١٠٥٣. فيها دعوة لتذكر اليوم الآخر.

١٠٥٤. فيها أهمية تجديد الإيمان بالبعث كل ليلة، فإقبال الليل فرصـــة لتلقي درس يومي في العقيدة، وهو كذلك درس عملي في كيفية الاستعداد ليوم المعاد.

١٠٥٥. قوله ﴿ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ﴾ تفيد إثبات القدر، وأن كل شيء بأجل مسمى.

١٠٥٦. قوله ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ تفيد أن الحياة لا تدوم، وأنه في هذه الحياة لغاية؛ فعلى العبد أن يعد العدة للقاء الله عز وجل.

١٠٥٧. فيها بيان عدل الله سـبحانه وتعالى مع خلقه، ووجهه أن الباء للسـببية في قوله:﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

١٠٥٨. تفيد الحث على العمل الصالح لأن الإنسان سينبأ بما عمل؛ لقوله﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]

١٠٥٩. تفيد مناسـبة ظاهرة لما قبلها: فالنوم والموت خلقهما الله فغلبا شِـدّة الإنسـان كيفما بلغت فبيَّن عقب ذكرهما أنّ الله هو القادر الغالب دون الأصـنام، فالنوم قهر، لأنّ الإنسـان قد

يريد أن لا ينام فيغلبه النوم، والموت قهر وهو أظهر، ومن الكلم الحق: سبحان من قهر العباد بالموت.(ينظر التحرير والتنوير)

١٠٦٠. فيها بيان لكمال قدرته سبحانه كالآية التي قبلها ولكنها من وجوه أخرى جديدة.

١٠٦١. فيها الترهيب من قوة الله وسطوته.

١٠٦٢. قوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ فيها إثبات الفوقية لله تبارك وتعالى وعلوه على خلقه.

١٠٦٣. الآية برهان على الوحدانية وإبطال الشرك؛ لأنه سبحانه إذا كان هو القاهر وغيره المقهور كان هو المستحق للعبادة دون غيره.

١٠٦٤. تفيد عبودية جميع الخلق لله سبحانه وتعالى عبودية عامة؛ لقوله﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾

١٠٦٥. قوله ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ تفيد أن من أعمال الملائكة حفظ وإحصاء أعمال بني آدم؛ وفي ضمن ذلك الحث على مراقبة الله سبحانه وتعالى، والاستحياء من ملائكته.

١٠٦٦. تفيد أن الملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السماوات والأرض.

١٠٦٧. تفيد أن الملائكة أجسام وهم مخلوقون من نور لقوله:﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ ففيها رد على الفلاسفة الذين يقولون إن الملائكة هي قوى الخير النفسانية وليسوا أجساما.

١٠٦٨. تدل الآية على أن لملك الموت أعوانا من الملائكة لقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾

١٠٦٩. فيها إرشاد إلى الاستعداد للموت، والتزود لله تبارك وتعالى بالعمل الصالح الذي يقربك إليه.

١٠٧٠. تفيد أن الملائكة الموكلون بحفظ أرواح الموتى لا يقصرون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل، إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين نعوذ بالله من أحوال أهل النار.

١٠٧١. فيها ما يدع للزجر عن معصيته، قال صاحب الكشاف: فإن قلت إن الله- تعالى- غني بعلمه عن كتابة الملائكة فما فائدتها؟ قلت: فيها لطف للعباد، لأنهم إذا علموا أن الله

رقيب عليهم، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رءوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء".

١٠٧٢. تفيد أن الملائكة يقومون بما أمروا به ولا يفرطون؛ وعلى المؤمنين أن يتشبهوا بهم في ذلك ﴿ وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

١٠٧٣. المناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أنه لما ختم الآية السابقة بذكر الموت ذكر ما يأتي بعده وهو الحشر والحساب، فبين أن مصير الخلق جميعا إلى الله تعالى وأنه يتولى حسابهم يوم القيامة وأنه أسرع الحاسبين.

١٠٧٤. يفيد حرف عطف (ثم) في قوله ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ التراخي والتعقيب، ففيها إشارة إلى حياة البرزخ، وهي فترة زمنية ما بين قبض الروح والرجوع إلى الله تعالى للحساب.

١٠٧٥. فيها إثبات الرجوع إلى الله يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٠٧٦. في التعبير عن الرد بالماضي دون الاستقبال مع أن الرد يكون بعد البعث لإفادة تحقق الوقوع حتى كأنه وقع وانقضى.

١٠٧٧. تفيد أنهم كانوا هناك ثم رجعوا مرة ثانية.

١٠٧٨. تفيد أنهم ردوا إليه ردا فلا ثمة مهرب.

١٠٧٩. تفيد عظمة الله تعالى الذي يرد إليه جميع الخلق ويحكم عليهم بعلمه وقدرته.

١٠٨٠. تفيد تقرير أمر عظيم ألا وهو الوقوف بين يدي الرب العظيم للجزاء والحساب.

١٠٨١. ترشد إلى الاستعداد لذلك اليوم والعمل له، ومراجعة النفس ومحاسبتها قبل أن تحاسب.

١٠٨٢. تفيد أن الله تعالى وحده هو المتولي شؤون خلقه.

١٠٨٣. تفيد: أن الولاية - ولاية الله - أعم من النصـــرة؛ لقوله:﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ ﴾ جميعا مؤمنهم وكافرهم ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ ﴾ يعني: سـيدهم ومالكم لأن الكفار لا مولى لهم: أي لا ناصـر لهم.

١٠٨٤. تفيد: أن "الحق" من أسماء الله.

١٠٨٥. تفيد أن كل ما أنزله الله تعالى حق لأنه الحق.

١٠٨٦. تدل على أن الحكم لله وحده لا شريك له ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ وأنه لا يحق لأحد أن يحكم على الله، أو يتألى عليه، فله سبحانه الحكم وحده، يحكم بما يشاء، فمن شاء عذبه بعدله، ومن شـاء غفر له برحمته، وفي هذا دعوة للحذر من التسـرع في الحكم على الآخرين بأنهم في النار أو في الجنة.

١٠٨٧. قوله ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ تفيد كمال قضاء الله عز وجل النافذة، وحكمه العادل.

١٠٨٨. تفيد أن مصـير الخلق جميعا إلى الله تعالى، وأنه يتولى حسـابهم يوم القيامة وهو أسـرع الحاسبين، دون أن يشغله حساب عن حساب، في مقدار حلب شاة.

١٠٨٩. تفيد سرعة الحساب والجزاء.

١٠٩٠. فيها أن من ملك الحكم فقد ملك الحساب.

١٠٩١. تفيد أن حساب الخلق جميعا يتم بسرعة لا يتخيلها الخلق.

١٠٩٢. تفيد أن جميع الخلق سوف يحاسبون يوم القيامة والمصير بعده إلى جنة أو نار.

١٠٩٣. تفيد أن الصـــفات المطلقة لا تكون إلا لله تعالى، نحو: أســرع الحاكمين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين ونحوها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣].

١٠٩٤. مناســبتها لما قبلها أنه بعد أن بين ســبحانه وتعالى في الآيات الســابقة كمال علمه، وشمول قدرته واستعلائه على خلقه بالغلبة والقهر وحفظه لأعمالهم ومحاسبته عليها، جاءت هذه

الآية وما بعدها بتذكيرهم برحمته وإحسانه إليهم، وبشهادته بالفطرة أن الله عليم بكل شيء قدير فقال ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم ﴾ إلى قوله: ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

١٠٩٥. تفيد: أن النبي مكلف بالدعوة، ومأمور بأمر الله.﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

١٠٩٦. الاستفهام في الآية للتقريع والتوبيخ، فالآية حجة على المشركين في عدم إيمانهم.

١٠٩٧. تفيد أنه لا ينجي من الشدائد غيره جل وعلا لقوله ﴿ مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ جمهور المفسرين على أن ظلمات البر والبحر عبارة عن شدائدهما وأحوالهما، كما يقال لليوم الشديد مظلم، أو يوم أسود.

١٠٩٨. تدل الآية على كمال قدرة الله تعالى ورحمته وإحسانه، لأن إنجاؤهم من ظلمات البر والبحر فيه دلالة واضحة على قدرته من إنجائهم من شدائدهم في الضياء والنور من باب أولى، لأنه في الظلام تقل حيلة الإنسان، وشعوره بالهلاك وعدم النجاة أكبر، وفي النهار يري ما حوله ويبقى الأمل بالنجاة أكبر.

١٠٩٩. فيها أنه مهما بلغ الشرك في أهله فالشدائد تستحث أهلها على التوحيد.

١١٠٠. تفيد: أن كل شيء يدل على الله، بما في ذلك الشدائد. وعليه.

١١٠١. فيها: أن الله لا يخلق شرا محضا، بل لحكمة ولما يترتب عليه من المصالح؛ فينبغي على العاقل إن نزلت به بلية، أن يدرك أنها إيذان بالرجوع إلى الله ليكشف ما نزل؛ فأين من أغرقتهم المصائب من تدبر مثل هذه النصوص.

١١٠٢. فيها تنبيه الفطرة على ما جبلت عليه من اللجوء إلى الله وحده، ودعائه عند الشدائد فعلى المسلم أن يفرد خالقه بالعبادة في السراء كما يفرده في الضراء، وهذا أحد أنواع الأدلة القرآنية على توحيد العبادة.

١١٠٣. فيها استدلال على الكافرين من خلال أدلة الفطرة الكامنة في نفوسهم، والتي مهما حاولوا طمسها لا يستطيعون، وخاصة في أوقات الشدة والاضطرار، فهم في وقت الشدة والمكروه ينسون آلهتهم المزعومة ولا يلجئون إلا إلى الله، ولكنهم في وقت النجاة يشركون ويعودون لجهلهم.

١١٠٤. فيها أن الشدائد والابتلاءات تربي العبد على اللجوء إلى الله.

١١٠٥. فيها إشارة إلى طلب الفرج من الشدائد المعنوية التي تخشى عاقبتها السيئة، كانتشار الضلال والشرك والبدعة.

١١٠٦. تفيد أن طبيعة الإنسان نسيان المعروف فإذا كان هذا مع ربه فكيف مع خلقه.

١١٠٧. تدل الآية على أنه إذا شهدت الفطرة السليمة بأنه لا ملجأ في مثل هذه الحالة إلا إلى الله، أولا تعويل إلا إليه، فالواجب أن يبقى هذا الإخلاص في جميع الأحوال والأوقات.

١١٠٨. فيها ضعف التعلق عند المشركين بآلهتهم المزعومة؛ لأنهم ينسونهم، ولا يلتفتون إليهم عند الشدائد.

١١٠٩. فيها أن الذين يتعلقون بغير الله عند الشدائد أشد كفرا ممن لا يتعلقون بهم عندها.

١١١٠. تبين الآية غاية جهل الكفار، فهم في وقت المحن يفزعون إلى الله ولا يتمردون على طاعته، وبمجرد أن ينجيهم الله مما هم فيه إذا هم يشركون.

١١١١. تفيد: أن كفر المشركين صادر عن مكابرة ومعاندة؛ لأنهم عند الشدائد يلجؤون إلى الله وحده، فلا حجة لهم في شركهم.

١١١٢. قوله ﴿ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ ﴾ تفيد: أن الدعاء، من أعظم أبواب دفع البلاء، وإزالة الشدائد والمحن.

١١١٣. فيها أن التضرع مع الإخلاص سبب في إجابة الدعاء.

١١١٤. قوله ﴿ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ ﴾ فيها أهمية الانكسار والإخبات، والتضرع لله تعالى، والبعد عن الرياء عند الدعاء، وأنه أحرى بالإجابة.

١١١٥. فيها دلالة على إجابة دعوة المتضرع المضطر حتى وإن كانت من الكافر المشرك فكيف بالمؤمن فلنحرص على أن يكون الدعاء منا دائما دعاء المتضرع المضطر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يستجيب الله له في الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء" رواه الترمذي وصححه الألباني.

١١١٦. فيها: مشروعية الدعاء "جهرا وسرا"، لقوله ﴿ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ ﴾.

١١١٧. قوله ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ تفيد: أن التوحيد أعظم الشكر، يعني: من المؤمنين؛ وبدليل ما بعده: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ بعد وعدكم بالإيمان حال الكرب تشركون بي حال الفرج.

١١١٨. تفيد أنه إذا نجاك الله في الشدة فاشكره في الرخاء، فالمؤمن حاله ما بين الصبر والشكر.

١١١٩. تفيد الحث على الشكر، وأنه من أسباب النجاة من المهالك.

١١٢٠. فيها وبضميمة ما بعدها: إشارة إلى: خطر الاشتراط على الله، وخطر النذر والبعد عنه؛ لقوله – حكاية عنهم –: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ وعليه: فمن نزلت به كربة، فليدع الله وليتضرع إليه غير مشترط عليه، فلعله إن اشترط ألا يوفق للوفاء، قال الله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٧].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤].

١١٢١. في هذه الآية مع الآية التي قبلها تذكير للكفار بشيء يجدونه في أنفسهم ويقولونه بأفواههم، ويغفلون عما يستلزمه من كون الله سبحانه هو مولاهم الذي يجب توحيده وإفراده بالعبادة، ولا سيما في مظهرها الأعلى وهو الدعاء في الرخاء كالدعاء في الشدة.

١١٢٢. تفيد أنه يحسن أن يكون السائل مجيبا على سؤاله إذا علم أن الخصم لا يخالفه في الجواب الذي يقيم الحجة عليه. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ والسؤال في الآية السابقة كان لإقامة الحجة على الكافرين، وهم يعترفون بأنه لا ينجيهم في ظلمات البر والبحر، ووقت الشدة عموما إلا الله ومع هذا يشركون وقت النجاة، وفي هذا كله توبيخ وتقريع لهم فرغم معرفتهم بهذا كله وتحققه لهم يشركون به ولا يؤمنون.

١١٢٣. قوله ﴿قُلِ﴾ فيها أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في المسارعة إلى جوابهم؛ لأن الجواب لا يحتمل غير ذلك، إما باعترافهم، أو بإقامة الحجة عليهم.

١١٢٤. في الآية تأكيد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مبلغ عن ربه سبحانه.

١١٢٥. قوله ﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٍ ﴾ فيها بيان أن الله عز وجل هو الذي ينجي من الشدائد، وينقذ من الكروب.

١١٢٦. فيها: توبيخ لأولئك القوم بفعلتهم الشنيعة وهي إشراكهم مع الله غيره، وبيان لكذبهم وأنهم لا يلجئون إلى الله تعالى إلا وقت الشدة والمكروه، وفي النجاة يشركون ويعودون لجهلهم.

١١٢٧. فيها أن الشكر لا يكون جزافا بل يستحقه صانع المعروف.

١١٢٨. فيها أن الشكر حقه أن يزيد ويعظم كلما زادت نعم المنعم.

١١٢٩. فيها تسلية للدعاة وأصحاب المعروف، ووجهه أنه إن قابل بعض الناس معروفك بالإساءة فلا تحزن، فليس ثَمَّ نِعَم كُفِرت من كثير من الخلق أكثر من النعم التي أنعم بها الله جل جلاله.

١١٣٠. تفيد أن الكربات لا تدوم وقد أخبر الله عن زوالها عن المشركين فما بالك بالمؤمنين به المطيعين له.

١١٣١. تدل على سعة رحمة الله، وحلمه حتى بالعصاة، وهذه الرحمة والنجاة مستمرة كما يفيده الفعل المضارع ﴿ يُنَجِّيكُم ﴾

١١٣٢. فيها رد على الأشاعرة لأنهم يثبتون إرادة واحدة قديمة، تعلقت في الأزل بكل المرادات فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة.

١١٣٣. تقديم ما حقه التأخير في الآية الكريمة، أو بعبارة أخرى: تقديم المسند إليه على المسند في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا ﴾،يفيد التخصيص وتقوية الحكم.

١١٣٤. كذلك في تقديم لفظ الجلالة على الفعل﴿ يُنَجِّيكُم ﴾ مزيد تعظيم واهتمام باسم الله تعالى.

١١٣٥. تفيد: أن المعروف يؤثر في النفوس الزكية.

١١٣٦. فيها: أن الكروب والهموم مهما عظمت وبلغ حجمها، فهي على الله يسيرة هينة؛ فالجئوا إليه.

١١٣٧. فيها مع التي قبلها تحذير من الوقوع في الغفلة، والاغترار بالعافية والتلذذ بالنعم.

١١٣٨. فيها دعوة للإقبال على الله واللجوء إليه حال الرخاء لأنه من أسباب تعجيل الإجابه في حالة الشدائد.

١١٣٩. تشير إلى الثبات والإقامة على الشكر، ولا يكن ممن قال فيه؛ فمن عافاه الله من مكروب، فليلزم العبودية والدعاء، كما كان حاله في الشدة. وليكن من جملة دعاءه.

١١٤٠. تشير إلى: جحود الإنسان، وخلفه في وعده، وإنكاره المعروف.

١١٤١. يؤخذ من دلالة ﴿ ثُمَّ ﴾ أن الكفر والجحود بعد الإنعام والإحسان أمر تستبشعه العقول؛ لأن أصحاب العقول السليمة لا يقابلون الإحسان إلا بالشكر.

١١٤٢. قوله ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ فيها أن دعاء غير الله شرك أكبر.

١١٤٣. فيها بيان الظلم الذي وقع فيه أولئك القوم بإشراكهم مع الله عز وجل في حالة السراء.

١١٤٤. تفيد: أن الشرك أعظم الكفران، كما أن التوحيد أعظم الشكر؛ لقوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴾ ترجعون إلى الشرك، وكان الواجب عليكم الشكر؛ بإقامتكم على التوحيد والإخلاص.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

١١٤٥. مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى أخبر عن رجوع هؤلاء إلى الشرك بعد النجاة؛ فحذرهم من بطشه بهم، ونبههم أنه لا مهرب منه إلا إليه، وعليه فتفيد: أن الله وإن كان ينجي من المهالك، فكذلك حقه أن يتقى ولا يؤمن مكره.

١١٤٦. فيها: بيان لقدرة الله، وأن من أسمائه "القادر".

١١٤٧. تفيد إثبات الأفعال الاختيارية لله سبحانه وتعالى.

١١٤٨. تعريف المسند ﴿ ٱلۡقَادِرُ ﴾ والمسند إليه ﴿ هُوَ ﴾ في الآية الكريمة يفيد معنى الحصر والاختصاص، وإفادة اختصاصه تعالى بالقدرة على بعث العذاب عليهم من جميع الجهات الحسية والمعنوية.

١١٤٩. فيها بيان كمال قدرة الخالق سبحانه، وضعف وعجز المخلوق.

١١٥٠. فيها دليل على رحمة الله سـبحانه بنا، لأنه قادر على عذابنا، والناس غارقون في المعاصي، ومع هذا كله لم يعذبنا عذاب خسف أو استئصال.

١١٥١. فيها: تعريض بالمشركين، ومعبوداتهم، وأنها لا تملك ضرا لهم ولا لغيرهم.

١١٥٢. تفيد: أن التهديد، يصلح ويزجر عن الوقوع في المخالفة.

١١٥٣. تفيد الوعيد الشديد من عذاب الله، فالله تعالى قادر على إرسال العذاب على العصاة من جميع الجهات.

١١٥٤. تفيد الرد على المعتزلة الذين زعموا أن القدرة الإلهية متعلقة بالمشـيئة فقط، فالله قادر على ما يشاء وما لم يشأ، والآية صريحة على أنه قادر على أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، ومع ذلك لم يشأ ذلك سبحانه فلم يقع.

١١٥٥. يفيد تصوير العذاب بأنه آت من أعلى، أو من أسفل ﴿أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ أشـد وقعا في النفس من تصـويره بأنه آت من جهة اليمين، أو من جهة الشـمال، لأن الآتي من هاتين الجهتين قد يتوهم دفعه، أما الآتي من أعلى أو من أسـفل فهو عذاب قاهر مزلزل لا مقاومة له ولا ثبات معه.

١١٥٦. تفيد وجوب الخوف من الله تعالى وحده، وعدم الإشراك به شيئا.

١١٥٧. فيها أن التهديد بالعذاب، وتصـريف الآيات من أسـباب إيقاظ القلوب الغافلة لتفقه وتتعظ.

١١٥٨. تفيد أن الفرقة نوع من العذاب، وأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾.

١١٥٩. تفيد ذم التفرق والاختلاف، وبمفهوم المخالفة وجوب الاعتصـام بحبل الله وعدم الاختلاف في الدين.

١١٦٠. فيها أن التعذيب بالافتراق والاختلاف والاقتتال لا يؤدي إلى الاسـتئصـال كما هو شأن العذاب السماوي أو الأرضي.

١١٦١. تفيد: أن الاختلاف يؤدي إلى الاقتتال؛ أفاده الترتيب في قوله: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ يجعلكم فراقا ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ يسلطكم على بعض بالاقتتال.

١١٦٢. فيها: رد على القدرية الغلاة، وأنه أراد الشر إرادة كونية؛ لقوله: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾

١١٦٣. تفيد فضيلة هذه الأمة، وأنها أمة مرحومة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَمَّا نَزَلَ قَوْله تَعَالَى ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعُوذُ بِوَجْهِك ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قَالَ: أَعُوذُ بِوَجْهِك ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ قَالَ: هَاتَانِ أَهْوَنُ" متفق عليه. وَهَذَا لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ الذُّنُوبُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَنُو آدَمَ إلَّا كَذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ الِاخْتِلَافِ وَالْقِتَالِ وَالذُّنُوبِ دَلِيلًا عَلَى نَقْصِهَا؛ بَلْ هِيَ أَفْضَلُ الْأُمَمِ وَهَذَا الْوَاقِعُ بَيْنَهُمْ مِنْ لَوَازِمِ الْبَشَرِيَّةِ وَهُوَ فِي غَيْرِهَا أَكْثَرُ، وَأَعْظَمُ وَخَيْرُ غَيْرِهَا أَقَلُّ، وَالْخَيْرُ فِيهَا أَكْثَرُ وَالشَّرُّ فِيهَا أَقَلُّ، فَكُلُّ خَيْرٍ فِي غَيْرِهَا فَهُوَ فِيهَا أَعْظَمُ وَكُلُّ شَرٍّ فِيهَا فَهُوَ فِي غَيْرِهَا أَعْظَمُ. (مجموع الفتاوى ١٤/١٥٠-١٥١).

١١٦٤. وإيثار التنكير على التعريف في قوله: ﴿عَذَابٗا﴾ لإفادة العموم والشمول؛ ليدخل فيه كل عذاب؛ مما عرف الناس، وما لم يعرفوه ويسمعوا عنه من قبل. قال الفخر: "وبالجملة فهذه الآية تتناول جميع أنواع العذاب التي يمكن نزولها من فوق، وظهورها من أسفل".

١١٦٥. فيها: تسلية وتشريف وتودد من الله السيد، إلى عبده ونبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ لقوله:﴿ٱنظُرۡ﴾ يا خليلي.

١١٦٦. قوله ﴿كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ فيها أن فهم تصريف الآيات نوع من الفقه.

١١٦٧. تفيد التعجيب من أحوال الناس التي لا ينفع معها شيء رغم تصريف الآيات.

١١٦٨. تفيد أن تصريف الآيات من أجل الناس حتى تفقه وتفهم، وليس فقط من أجل إقامة الحجة عليهم، وبيان ضلالهم.

١١٦٩. تفيد: وجوب الإذعان لآيات الله الكونية، لقوله: ﴿نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ كما أنه يجب الإذعان لآياته الشرعية.

١١٧٠. تفيد: أن الفقه عن الله يقي عذاب الله ومساخطه.

١١٧١. تفيد: أن الكفار لا عقول لهم، وأن الأصل فيهم عدم الفهم؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعني يفهمون.

قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦ – ٦٧].

١١٧٢. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه بعد التهديد الشديد للمعاندين في الآيات السابقة جاءت المصارحة لهم بسوء مصيرهم إن استمروا على ذلك.

١١٧٣. قوله ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ فيها أن تكذيب الأقربين من أشد ما يؤلم النفس.

١١٧٤. فيها عزاء لكل الداعية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كذبه قومه وآمن به غيرهم.

١١٧٥. تفيد ما كان عليه كفار قريش من سوء معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه مع صبره وحلمه وعفوه عنهم؛ قال طنطاوي: "والتعبير عنهم ب ﴿قَوْمُكَ﴾ تسجيل عليهم بسوء المعاملة لمن هو من أنفسهم.

١١٧٦. تفيد: القاعدة التي فيها "الحكم للغالب لا للنادر"؛ لقوله: ﴿قَوْمُكَ﴾ يريد: غالب قومك، لأن منهم من آمن، لكن النادر لا حكم له.

١١٧٧. فيها أنه لم يقل – مثلا – "كذبوا به"، يفيد: أن العهدة تعظم على المرء إن أيقن بنفسه صدق الناصح وخالفه؛ لأنه لا حجة في رد الحق الذي عنده؛ فهو يعلم صدقه وأمانته؛ لقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ وهم أحق أن يصدقوا به؛ لأنهم يعلمون صدقك، وأنك لم تأت كذبا أبدا.

١١٧٨. فيها: بيان أن الحق لا يطمسه كذب المفترين، ولا إنكار الجاحدين لقوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

١١٧٩. تفيد أنه ينبغي عند التنبيه على الخطأ أن يذكر الصواب؛ فلو شاء لاكتفى بقوله: "وكذب به قومك قل لست عليكم بوكيل" ليفيد: أن ثم أمورا تكذب وهي باطلة تستحق التكذيب؛ أما القرآن فظاهر بين أنه حق من الله؛ لكنهم يجحدونه.

١١٨٠. تفيد أن تكذيبهم من باب المكابرة والعناد لقوله ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي كذبوا بالقرآن أو الهدى أو البيان أو العذاب الذي حذرهم منه في الآيات السابقة والحال أنه حق، والحق: هو الذي لا مرية فيه ولا شك يعتريه.

١١٨١. تفيد قبح التكذيب بالحق، وهو يدل على الجحود والعناد، لأن الحق ينبغي أن يقابل بالإيمان والقبول.

١١٨٢. فيها: بيان أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي البلاغ لهذا الدين الحق، وهو غير موكل بحفظ أعمال الناس ومجازاتهم عليها، والله وحده هو المجازي على أعمال العباد، لقوله ﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾.

١١٨٣. تفيد أن ما أخبرنا الله به في القرآن الكريم سيأتي وقت يستقر عنده المعنى، وتتضح عنده الحقيقة فيعلم الناس صدق أنباء القرآن لقوله ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ المعنى: لكل خبر في القرآن وقوع-ولو بعد حين- وسوف تعلمون صحة ذلك عاجلا أو آجلا.

١١٨٤. فيها إشارة قوية إلى أهمية الإعجاز العلمي، بل وجانب الإعجاز الغيبي بمعناه الواسع، وإلى أن معجزة القرآن الكريم باقية ومتجددة باستمرار إلى قيام الساعة لقوله﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾ أي يعلمونه فيه، أي هو الآن غير معلوم ويعلمونه في المستقبل عند حلول أجله.

١١٨٥. فيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بمصارحة المعاندين بسوء مصيرهم يوم القيامة إن هم استمروا في ضلالهم ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

١١٨٦. فيها: مشروعية تهديد المخالف. قال ابن كثير: وهذا تهديد ووعيد أكيد.

١١٨٧. فيها أن هذا الأسلوب القرآني في طرح الأسئلة وترك الإجابات مفتوحة أبلغ في الزجر والتهديد والوعيد، ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بحيث يدع الخيال يسبح مرتعداً في أفكاره متخوفاً مما قد يخطر أو لا يخطر على بال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

١١٨٨. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه بعد أن بين تكذيبهم واستهزاءهم وحصر وظيفة الرسول في تبليغهم دون محاسبتهم أو إجبارهم على الإيمان أرشده إلى كيفية التعامل معهم عند ذلك فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾

١١٨٩. وقيل مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى ذكره بعد أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يهدد هؤلاء المشـــركين ويتوعدهم إن بقوا على كفرهم، أعلمه هنا أن مجرد التبليغ وتهديد المخالف لا يجزئ، بل يجب اعتزاله وهجره حال مخالفته؛ فقال له:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ وهذا عام في حق كل مســـلم؛ لا يجزئ مجرد إنكاره المنكر وتحذيره للمخالف؛ فالواجب أن ينصح ويحذر ويهدد بعذاب الله ثم يعتزل.

١١٩٠. قوله ﴿وَإِذَا﴾ تفيد تحقق أو كثرة رؤية الخائضين في آيات الله بالباطل.

١١٩١. قولـه ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ يفهم منه خطورة المخالطة للموصـوفين بعد تعنتهم وإصـرارهم، فطلب منه الإعراض بمجرد الرؤية وهو أبلغ من المنع من المجالسة، وكأنهم أصحاب مرض خطير فتاك معدي وهم كذلك.

١١٩٢. تفيد أيضـأ: قاعدة "أن الخطاب للنبي صـلى الله عليه وسـلم خطاب لأمته ما لم يقم دليل التخصيص".

١١٩٣. تفيد عموم الأعراض عن الخائضـــين فقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يشـــمل الخائضين بالباطل والمستهزئين بالدين، أو القرآن، وكل متكلم بمحرم أو فاعل لمحرم.

١١٩٤. فيها أن الإعراض عن الخائضـين بالباطل في آيات الله كاف في الإنكار عليهم، بل قد يكون أبلغ من الإنكار اللفظي. قال القرطبي في تفســيره: قال ابن خويز منداد: "من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر، مؤمنا كان أو كافرا.

١١٩٥. تفيـد أن الإعراض عنهم بغـايـة الخوض في حـديـث آخر، تربي المؤمن على عـدم الاســترســال في عاطفة الإنكار؛ بل تحمله على أن يزن الأمور بقدرها، بحيث يكون عنده قدر كبير من التحكم في تصـرفاته في إعراضـه وإقباله، ولا يكون منسـاقا من عواطفه دون تبصـر أو تفكر.

١١٩٦. تفيد: أن القرآن الكريم يرشـــد إلى إجراءات احترازية وقائية؛ لحفظ العقيدة، وحماية الأخلاق، وصيانة الأعراض؛ ومنها: عدم مجالسة الخائضين في آيات الله.

١١٩٧. تدل على قاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)؛ فمفاسد مجالسة الخائضين في آيات الله يقدم درؤها على جلب مصالح الاجتماع بهم ومخالطتهم. وهذه القاعدة في حال تساوي المصالح والمفاسد أو تقاربها بحيث قد تكون في نظر المجتهد قريبه من التساوي، وكذلك حين الاشتباه، أما في حال رجحان المفاسد كما هو معنا فإن القاعدة الأولى بالذكر هي: "إذا تعارضت المصالح والمفاسد قدم أرجحها".

١١٩٨. يؤخذ من الآية وجوب الإعراض عن المستهزئين بآيات الله، وجواز مجالسة الكفار الذين لا يخوضون في آيات الله.

١١٩٩. فيها القاعدة الشرعية وهي: تحريم مخالطة أهل الباطل واعتزال مجالسهم تماماً ماداموا على باطلهم حفاظاً على إيمان المسلم من الخدش؛ مالم يكن المؤمن على تقوى لله المتضمنة إنكار بالقلب ونهي بالقول عن المنكر وأمر بالمعروف والخير.

١٢٠٠. فيها أن الإعراض والمفارقة والبغضاء والبراء ليس لذات الأشخاص وإنما لما تلبسوا به من باطل أو كفر، فإن فارقوا الباطل ولو يسيراً جالسهم المؤمن لعله يؤثر عليهم، لأن مقصود الاسلام إنقاذ البشرية، والنظر للناس كل الناس برحمة، لإنقاذهم من ظلام الشرك وعذاب النار.

١٢٠١. فيها أن الخوض في آيات الله بلا علم هو نوع من الظلم.

١٢٠٢. فيها أن الإعراض عن الخائضين في الباطل سبيل لإماتة باطلهم.

١٢٠٣. فيها أن مجرد النهي عن المنكر دون اعتزاله، لا تبرأ به الذمة؛ فالواجب النهي عن المنكر واعتزال أهله، وفي الحديث عند الترمذي (٣٠٤٨): «إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه يقع على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن» فقال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨]، فقرأ حتى بلغ: ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١].

١٢٠٤. تفيد أن الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما؛ لقوله تعالى: (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره).

١٢٠٥. تفيد: القاعدة التي فيها: "لا تكليف إلا بمقدور"؛ لأن الأصل: وجوب كف الخائضين في آيات الله؛ لكن إن لم تقدر ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾، ولما مكنّ الله لنبيه وأصحابه أمره أن يعمل فيهم السيف.

١٢٠٦. تفيد: حرمة حضور أعياد الكفار، وأماكن تعبدهم – الباطل.

١٢٠٧. تفيد: جواز القعود مع الكافر لدعوته إلى الإسلام، مالم يسب الله؛ فإذا فعل وجب الإعراض على الفور؛ لقوله:﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ مفهومه: إذا خاضوا في حديث غير الاستهزاء جاز لك القعود لدعوتهم.

١٢٠٨. يفيد ذم الخوض بالباطل، حث على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق.

١٢٠٩. تفيد أن الشيطان ينسي العبد الطاعات، ويوقعه في المعاصي، وينسيه مصالحه في قوله ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

١٢١٠. تفيد الحذر من كيد الشيطان ووسوسته.

١٢١١. فيها: بيان عدم المؤاخذة بما يكون على وجه النسيان والغفلة.

١٢١٢. تفيد: أن الشيطان يحض على الاستهزاء بآيات الله، لأنه يرضى الكفر ويحض عليه.

١٢١٣. تفيد: أن الشيطان له تأثير في نسيان العبد.

١٢١٤. تفيد: بأن النسيان ليس في اختيار العبد ومقدوره؛ لأنه لا يتصور أن يتعمد المسلم مجالسة الخائضين في آيات الله.

١٢١٥. فيها إشارة إلى: عظيم لطف الله بعباده وإعذاره لهم؛ فلا شيء أحب إليه من العذر، ووجهه: - أنه تعالى ذكره - عذر الناسي، في مثل هذا الموطن الذي يكفر فيه بالله وآياته؛ فعذره حاله نسيانه، ثم أوجب عليه القيام بعد الذكرى.

١٢١٦. فيها: دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما يقع منه النسيان فينسى.

١٢١٧. قوله ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تفيد بدلالة المفهوم تحريم التعاون مع الكفار والظلمة فيما فيه الإثم والتعدي على آيات الله؛ وذلك لأنه إذا حرم القعود معهم، فتحريم إعانتهم من باب أولى، مثل: تهيئة مكان جلوسهم، واستقبالهم؛ ومشاركتهم فيما يخص أعمال مجالسهم ومؤتمراتهم.

١٢١٨. فيها أن العقاب واللوم لا يكون إلا بعد العلم والتذكير.

١٢١٩. تفيد: أن الاستهزاء بآيات الله شرك؛ لأنه وصفهم بالظالمين، والشرك ظلم، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩].

١٢٢٠. المقصود من الآية: بيان الحكمة من الأمر بترك مجالسة الكفار: والمعنى ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار. أو المعنى: المؤمنون لا يحاسبون الكفار على كفرهم، ولكن أمروا بالقيام عنهم تذكيرا لهم عما هم فيه لعلهم يتقون. أو المقصود من الآية: بيان الرخصة في الجلوس مع الكافرين والمستهزئين من أجل تذكيرهم بعد أن بينت الآية السابقة وجوب الإعراض عنهم.

١٢٢١. فيها: أن محاسبة الناس إنما هي لله عز وجل وليست لأحد من الناس ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فالحساب بيد الله وحده؛ فعلى الداعي إلى الله أن يستحضر هذا عند دعوته، وليعلم أنه مذكر مبلغ فحسب، لا يتكلف ما ليس له.

١٢٢٢. تفيد: أن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبرأ الذمة؛ وإلا فلا.

١٢٢٣. قوله ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾

١٢٢٤. قوله ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ فيها: أن مهمة الداعية إلى الله عز وجل هو التذكير والوعظ.

١٢٢٥. فيها: أن على من يذكر الخلق أن يتحلى بالحكمة في دعوته، يقول السعدي:"أنه إذا كان التذكير والوعظ مما يزيد الموعظ شرا إلى شره كان تركه هو الواجب لأنه إذا ناقض المقصود كان تركه مقصودا.

١٢٢٦. فيها دليل على أنه ينبغي أن يستعمل الواعظ والمذكر من الكلام ما يكون أقرب إلى حصول التقوى.

١٢٢٧. قوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ فيها عظيم منزلة التقوى حيث جعلت في الآية علة الذكرى.

١٢٢٨. فيها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببان في تحقيق التقوى.

١٢٢٩. تفيد: أن أهل التقوى يحبون للناس مثل ما هم عليه من التُقى، ومن صدق محبتهم يسعون لإصلاح غيرهم؛ ولذا قال:﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ يعني: يذكرون غيرهم لعلهم يتقون الله كما يتقونه هم.

١٢٣٠. تفيد أن التقوى ترجى بمجرد الإصغاء للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. وعلى العكس من ذلك، فالتقوى تستبعد ممن يزجر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

١٢٣١. الآية السابقة فيها أمر من الله تعالى بترك المستهزئين والإعراض عنهم، وهذه الآية أمر من الله تبارك تعالى بتذكيرهم بالقرآن، وتبليغهم الرسالة، وهذا دليل على أن المقصود بالآية السابقة ترك معاشرتهم وملاطفتهم لا ترك إنذارهم وتخويفهم.

١٢٣٢. فيها أمر من الله تعالى لرسوله الكريم بأن ينطلق في تبليغ دعوته للناس دون أن يشتغل بسفاهة السفهاء منهم، وأن يذكر المعاندين بسوء مصيرهم يوم القيامة.

١٢٣٣. قوله ﴿ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ فيها كما قال ابن عباس: أن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها.

١٢٣٤. تفيد الحث على الجد وأخذ الدين بقوة وعدم اتخاذه لعبا ولهوا.

١٢٣٥. فيها تحذير من أن يكون نصيب الإنسان من دين الله اللعب بآياته، واللهو والاستهزاء بها.

١٢٣٦. تفيد: وجوب الاستمرار في الدعوة إلى الله، والحذر من المستهزئين بالله وآياته أن يحولوا بينك وبين دعوتك إلى الله.

١٢٣٧. فيها رد على الصوفية الذين جعلوا السماع وما فيه من دف وأناشيد منغمة ورقص وتمايل جعلوها دينا وذكرا لله يتقربون به إليه تعالى.

١٢٣٨. تفيد – بالمفهوم –: وجوب تعظيم الله وآياته؛ مخالفة لهؤلاء الكفار، إذا سمعوا آيات الله استهزءوا بها وتلاعبوا عند ذكرها.

١٢٣٩. فيها أنه أمره بترك الخائضين في آيات الله، وأمره بالاستمرار في التذكير والتخويف بالقرآن، لكي لا تسلم نفس للهلاك الذي لا يعدله هلاك؛ فقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ أي ذر هؤلاء المستهزئين بالقرآن ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ يريد: وعظ بالقرآن الناس حتى لا تُسلم نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من سيئات.

١٢٤٠. فيها ذم الاغترار بالدنيا، ومتعها الزائلة ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ تضمنت وعيدا وتهديدا لمن غرته الحياة الدنيا الفانية، وما فيها من الملهيات، فآثرها على الآخرة الباقية.

١٢٤١. تفيد خطورة الافتتان بالحياة الدنيا والركون إليها ونسيان الآخرة.

١٢٤٢. تفيد أهمية التذكير بالقرآن خاصة للغافلين عما خلقوا له ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ﴾.

١٢٤٣. فيها دليل بيّن على أن التذكير بالقرآن يقي السيئات والهلاك.

١٢٤٤. تفيد أن ذنوب العبد تكون سبب لهلاكه كما قال تعالى: ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ أَيْ تُرْتَهَنُ وَتُسْلَمُ لِلْهَلَكَةِ.

١٢٤٥. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾.

١٢٤٦. فيها أن المعاصي قيد لصاحبها، وحبس له ومانع له عن الجولان في فضاء التوحيد وحائل بينه وبين أن يجني من ثمار الأعمال الصالحة فهو محبوس هاهنا وهناك في الآخرة.أفاده ابن تيميه في الفتاوى ٣/ ٣٣

١٢٤٧. تفيد التخويف من الذنوب والمعاصي وخطورة الإصرار عليها والموت بغير توبة منها.

١٢٤٨. تفيد أن الله عز وجل هو الولي وحده، وأن ولاية غيره باطلة لا تنفع ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ﴾.

١٢٤٩. تفيد أن الشفاعة ملك لله سبحانه وتعالى وحده﴿وَلَا شَفِيعٞ﴾.

١٢٥٠. فيها: تعريض بالمشركين الذين يعبدون ما لا يملك ضرا ولا نفعا، ولا تشفع لهم عند ربهم كما زعموا.

١٢٥١. تدل على أنه لا نصير ولا شفيع للكافرين يوم القيامة.

١٢٥٢. فيها أن الذين يموتون وهم كفار لا يقبل من أحدهم فدية، ولو جاءت بملء الأرض ذهبا ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾.

١٢٥٣. تفيد إثبات يوم القيامة والتخويف منه وأنه لا ينفع الإنسان مال ليفتدي به من عذاب ذلك اليوم

١٢٥٤. تفيد سوء مصير الكافرين حيث جمع لهم بين الحميم والعذاب الأليم في قوله ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ جزاء لهم على حبهم الكفر والاستهزاء بآيات الله.

١٢٥٥. تفيد أن عذاب الله عز وجل شديد مؤلم للأبدان والقلوب والأرواح.

١٢٥٦. تفيد أن الكفر من أعظم أسباب العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]

١٢٥٧. فيها: أن الخطاب للنبي خطاب لأمته؛ إلا ما دل عليه الدليل بالتخصيص؛ لقوله: ﴿أَنَدۡعُواْ﴾ يريد: نفسه – صلى الله عليه وسلم – والموحدين من أمته؛ وكأنها وصية من النبي لأتباعه ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾.

١٢٥٨. فيها: الجزم ببطلان مذهب المشركين في عبادتهم لغير الله عز وجل حيث لا تنفع تلك الآلهة ولا تضر.

١٢٥٩. فيها: أن الدعاء هو العبادة؛ لقوله: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعني: أنعبد من دون الله؟؛ وفي الحديث: "الدعاء هو العبادة" رواه الترمذي ٢٩٦٩، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. فدعاء الله تعالى والتضرع إليه من أبواب العبودية العظيمة.

١٢٦٠.

١٢٦١. فيها: إشارة إلى غيرة أهل التوحيد على ربهم، ونفورهم العظيم من الشرك؛ أفاده قوله: ﴿ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

١٢٦٢. تفيد أنه لا يجوز دعاء أي مخلوق مهما بلغ، ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو وليا صالحا؛ لقوله: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهؤلاء جميعا دون الله عز وجل.

١٢٦٣. تفيد أن الشرك سفه في العقل وضلال في الدين، فكيف يجيب المشرك عن هذا السؤال: ﴿ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾

١٢٦٤. مفهوم هذه الآية: أن المؤمن أكرم نفسه وزكاها بتوحيده لربه الذي بيده وحده الضر والنفع.

١٢٦٥. فيها: إشارة إلى: التصريح والصدع بالحق، وبيان عقيدة المخالف للإسلام وهديه.

١٢٦٦. فيها: أن دواعي العقل السليم والفطرة المستقيمة تدعو إلى الخير والسعادة بخلاف دواعي الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء حيث تدعو إلى الضلال، والغي، والفساد، والتردي، في مهاوي الهلاك والدمار.

١٢٦٧. تقديم النفع على الضر في قوله: ﴿ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾، إشارة إلى كثرة إنعام الله على عباده، وإيصال النفع لهم.

١٢٦٨. إيراد "الضر" هنا، للإعلام بأنه لا يملكه إلا الله وحده، وأن هذه الأصنام والمعبودات، لا تملك أذى لمن هجر وخلع عبادتها.

١٢٦٩. تفيد أن الذي يجلب النفع، ويدفع الضر هو الله تعالى وحده، ومن اعتقد غير ذلك فقد ضل ضلالا مبينا.

١٢٧٠. فيها خطورة تغير الحال كمن ينقلب من الهداية إلى الضلال ومن الرشد إلى الغي ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾.

١٢٧١. التعبير عن الشرك بالرد على الأعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره ما هو علم في القبح، مع ما فيه من الإشارة إلى أن الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر، ومن المستحيل أن يرجع إليها من ذاق حلاوة الإيمان.

١٢٧٢. تفيد أن الشرك والمعاصي حالة تخلف وانتكاسة ورجوع للوراء، وإن وصفها أصحابها بخلاف ذلك.

١٢٧٣. تفيد أهمية التعبير عن الباطل بما ينفر عنه.

١٢٧٤. فيها قوة الثبات على الدين.

١٢٧٥. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

١٢٧٦. تفيد أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وأن الهداية إلى التوحيد هي أعظم هداية.

١٢٧٧. فيها: إشارة إلى: تواضع أهل الإيمان، واعترافهم بجميل سيدهم - جل ذكره -: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ بمحض فضله.

١٢٧٨. تفيد: وجوب الاستجابة لداعي الله، ومن لم يستجب تمكن منه داعي الهوى والشيطان؛ لقوله: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ فإن استجاب لداعي الهدى نجا وإلا هلك.

١٢٧٩. قوله ﴿حَيْرَانَ﴾ تفيد: أن من ثمرات الهداية، الاطمئنان وعدم الحيرة، وما الزنادقة والملحدون وما يجدونه من الضنك عنا ببعيد.

١٢٨٠. قوله ﴿حَيْرَانَ﴾ تفيد أن طرق الباطل تنتهي بالإنسان إلى الحيرة والشك، وطريق الحق ينتهي بالعبد إلى الهدى واليقين.

١٢٨١. تفيد التنفير من اتباع شياطين الجن والإنس.

١٢٨٢. تفيد: أن الشياطين، لا تضل إلا من حرمه الله الهداية.

١٢٨٣. تفيد: أن الشياطين تتمكن من المرتد؛ قال الله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٠ - ٢٢٢].

١٢٨٤. تفيد أن الشياطين من أعظم أسباب الضلال والشرك؛ وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وأمرتهم أن يشركوا بي...» متفق عليه.

١٢٨٥. تفيد دقة تصور القرآن لحال أهل الشرك بما ينفر عنهم حيث ساق لهم صورة مؤثرة دقيقة للضلالة والحيرة التي تناسب من يشرك بعد التوحيد فقال: ﴿كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ أي استغوته وزينت هواه ودعته إليه، والعرب تقول: استهوته الشياطين، لمن اختطف الجن عقله، فسيرته كما تريد دون أن يعرف له وجهة في الأرض. والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أتريدون منا أن نعود إلى الكفر بعد أن نجانا الله منه فيكون مثلنا كمثل الذي ذهبت به مردة الشياطين فألقته في صحراء مقفرة، وتركته تائها ضالا عن الطريق القويم، ولا يدرى ماذا يصنع، وله أصحاب يدعونه إلى الطريق المستقيم قائلين له: ائتنا لكي تنجو من الهلاك، ولكنه لحيرته وضلاله لا يجيبهم ولا يأتيهم. قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «إن مثل من يكفر بالله بعد إيمانه كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم ويقولون: ائتنا فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم. ومحمد ﷺ هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام». (الوسيط في التفسير)

١٢٨٦. قوله ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ فيها: جواز حذف ما يعلم، وما يدل الكلام عليه: لقوله: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ يريد: له أصحاب يقولون له إلى الهدى ائتنا، يعني: هلم إلينا، تعال إلى الطريق المستقيم؛ فحذف "القول"، لدلالة الكلام عليه.

١٢٨٧. فيها: جواز إطلاق لفظ الصاحب على الكافر؛ لقوله: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ ﴿لَهُۥٓ﴾ للمشرك ﴿أَصۡحَٰبٞ﴾ من المؤمنين الموحدين، يدعونه ﴿إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا﴾، ولا يلزم من هذه الصحبة المودة والمصادقة قطعا، ولعل سر إيراد الصحبة في الآية لكثرة دعوة المؤمنين للمشركين، ومخالطتهم دعويا؛ فالصحبة: صحبة أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

١٢٨٨. تفيد أهمية الاعتزاز بالهداية، والإيمان، والطاعة، والتمسك بذلك وعدم الضعف والوهن.

١٢٨٩. تفيد أهمية شكر الله تعالى على نعمة الهداية فإنها نعمة عظيمة من الله لقوله ﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾.

١٢٩٠. فيها: أن من كان على الهدى والصراط المستقيم، لا يسعه إلا أن يدعو غيره إليه؛ لقوله: ﴿ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾، ولما فيه أسوة حسنة - صلى الله عليه وسلم.

١٢٩١. تفيد نعمة الصحبة الصالحة، وحرصهم دائما على تحقق الخير لأصحابهم بعكس الصحبة السيئة.

١٢٩٢. قوله ﴿ ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ تفيد أن الشيطان يدخل على الإنسان من باب الهوى أي ما تهواه نفسه، وتميل إليه فيزينه له، ويضله به.

١٢٩٣. تفيد أهمية التعاون في الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لقوله:﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾ فهم جمع كريم متعاونون على الخير.

١٢٩٤. تفيد أن الهدى هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القرآن والسنة؛ لقوله: ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ ﴾ ودل ضمير الفصل على حصر الهدى فيهما فقط، فمن تركهما فقد ضل ضلالا بعيدا، وفي الحديث: "تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله، وسنتي".

١٢٩٥. تفيد عظمة القرآن حيث حصر الله تعالى فيه الهدى الكامل.

١٢٩٦. فيها: أن الطريق المنجي هو طريق الهدى الذي شرعه الله عز وجل وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم.

١٢٩٧. فيها: أن على المسلم أن ينقاد إلى أمر الله عز وجل وتوحيده، والدخول تحت عبوديته وهذا من أفضل وأجل وأعظم النعم ﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

١٢٩٨. تفيد أن من كان ربا خالقا مالكا متصرفا في العالمين كيف يشاء هو الذي يستحق العبادة وحده.

١٢٩٩. تفيد أن خلاصة العبودية تكمن في الاستسلام لرب العالمين خضوعا وطاعة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٢].

١٣٠٠. تفيد الأمر بإقامة الصلاة، وأن يأتي بها المسلم قائمة بأركانها وشروطها وخشوعها وطهارتها.

١٣٠١. فيها: أن الصلاة من أعظم صور الاستسلام لرب العالمين؛ لقوله: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يعني: وأمرنا أن نقيم الصلاة.

١٣٠٢. تفيد: أن الصلاة من أعظم الزاد الذي يفد العبد به على ربه.

١٣٠٣. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الدين اعتقاد وعمل؛ لقوله – في التي قبلها – {إلى الهدى ائتنا} أي إلى الإيمان بالله وحده، وهذا اعتقاد. ثم قال – بعدها ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾، وهذا عمل.

١٣٠٤. فيها مع ما قبلها أن إقامة الصلاة من أسباب الثبات على الدين.

١٣٠٥. في تخصيص الصلاة بالذكر من بين أنواع الشرائع وعطفها على الأمر بالإسلام، وقرنها بالأمر بالتقوى دليل على تفخيم أمرها وعظمة شأنها.

١٣٠٦. تفيد أن الأمة ينبغي أن تتضامن في إقامة الصلاة، وجعلها من الشعائر البارزة في الأمة.

١٣٠٧. قوله ﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ تفيد: أن التقوى لا تتحقق إلا بعد إقامة الصلاة؛ فلا تتصور التقوى من تاركها.

١٣٠٨. تفيد: أن الصلاة من أعظم ما يتقى الله به.

١٣٠٩. قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تفيد عظمة الله تعالى الذي يحشر إليه جميع الخلائق لا يغيب منهم أحد، ولا تخفى عليه خافية، وكل يجد ثواب ما قدم من خير أو جزاء ما قدم من سوء.

١٣١٠. فيها: إثبات القيامة.

١٣١١. افتتاحها بالصلاة، واختتامها بالحشر، يفيد: أن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة "الصلاة". وقد ورد بذلك الحديث.

١٣١٢. تفيد أن الحشر يكون إلى الله عز وجل لا إلى غيره.

١٣١٣. تشير إلى أهمية الاستعداد ليوم الحشر وأهواله.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

١٣١٤. تفيد: أن الله لا يعجزه شيء لتمام قدرته ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾.

١٣١٥. فيها: بيان عظيم خلقه سبحانه وتعالى وهو الذي خلق السموات والأرض.

١٣١٦. تفيد: أن الله لا يخلق إلا بالحق، وأنه منهزه عن العبث والباطل - سبحانه - كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧].

١٣١٧. فيها: أن من خلق وحده، أحق أن يعبد وحده.

١٣١٨. قوله ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ فيها: إثبات الكلام لله.

١٣١٩. فيها: بيان سرعة أمره عز وجل لما أراد إيجاده أو إعدامه أو تبديله.

١٣٢٠. فيها تعريض بالسحرة والدجاجلة، لقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ على الحقيقة، ولذا قال: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أعني: أن هؤلاء الأفاكين إذا أمروا شيئا أن يتحول من صورة إلى أخرى، لا يتحول على الحقيقة، وإنما يسحرون أعين الناس، فهم يقولون على أعين الناس: كن كذا. ولا يكون إلا السحر والدجل.

١٣٢١. قوله ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ صيغة قصر للمبالغة أي: هو الحق الكامل، لأن أقوال غيره وإن كان فيها كثير من الحق فهي معرضة للخطأ، وما كان فيها غير معرض للخطأ فهو من وحي الله، أو من نعمته بالعقل والإصابة للحق.

١٣٢٢. قوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ تفيد عظمة سلطانه جل وعلا.

١٣٢٣. فيها: بيان دوام ملكه عز وجل فهو الحي الباقي، وما سواه زائل وهالك.

١٣٢٤. فيها تهديد ووعيد لمن كان ينازع الله في ملكه، ومن كان يتجبر ويطغى بما ملك في الدنيا؛ وفي الحديث:" يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السـماء بيمينه ثم يقول: "أنا الملك أين ملوك الأرض؟". رواه مسلم.

١٣٢٥. قوله ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ فيها: إشـارة إلى: عظم يوم القيامة، وما فيه من كثرة الخلائق، وأمور فصّلها الله في كتابه وعلى لسان رسوله.

١٣٢٦. فيها: إثبات "الصور".

١٣٢٧. فيها: تعريض بعظم، وشرف الملك الموكل بالصور.

١٣٢٨. قوله ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾ تقديم الغيب على الشهادة، لأنه أعظم، وأكثر بالنسبة للبشر؛ وإلا فالسر عنده شهادة والغيب عنده علانية.

١٣٢٩. تفيد الحث على مراقبة الله سـبحانه وتعالى في السـر والعلن؛ لقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾

١٣٣٠. قوله ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ فيها: بيان عظيم علمه فهو العليم بالسراء والبواطن لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا يند عنه شيء من شؤون عباده سبحانه وبحمده.

١٣٣١. فيها: بيان حكمة الله العظيمة، وسلطانه النافذ، وخبرته الواسعة.

١٣٣٢. تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى وهما الحكيم والخبير.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٧٤].

١٣٣٣. تفيد أهمية قصـص الأنبياء في بيان السـبيل للدعاة، والقدوة لهم، والتثبيت على دعوة التوحيد ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾.

١٣٣٤. تفيد مشروعية اقْتِفاءِ مَن سَلَفَ مِن صالحِي الآباءِ والأجْدادِ.

١٣٣٥. فيها موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه، وإنكاره عليه اتخاذ الأصنام آلهة.

١٣٣٦. فيها: أهمية تذكير الداعية، بما كان عليه الدعاة قبله، وما كانوا يأمرون به وينهون عنه، تثبيتا له على دعوته، ومضيه فيها قدما من غير توان.-

١٣٣٧. فيها: أهمية المحاجة، وإقامة الحجة على المخالف؛ لأن المشـــركين زعموا أنهم على ملة إبراهيم؛ فكأنه يقول إن كنتم صادقين، فإن إبراهيم عليه السلام كان يحذر أباه وقومه من عبادة الأصنام.

١٣٣٨. فيها أن على الرســـل التبليغ والهداية من رب العالمين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

١٣٣٩. تفيد البدء في الدعوة إلى الله عز وجل بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشـرك، وهذه دعوة الرسل جميعا كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

١٣٤٠. تفيد فضل ابراهيم عليه السلام وحرصه على دعوة التوحيد.

١٣٤١. قوله ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ تفيد تســـمية والد إبراهيم عليه الســـلام ب« آزر» ويؤكد ذلك الحديث الذي رواه البخاري أن النبي صـــلى الله عليه وســـلم قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعليه غبرة وقترة" الحديث. ففيها رد على من زعم أنه عمه.

١٣٤٢. فيها أن واجب الداعية أن يدعو أهل بيته، وينذرهم ويحذرهم من الوقوع في الضلال.

١٣٤٣. فيها أن من بر الأبوين دعوتهما إلى الحق ودلالتهما على الخير وتحذيرهما من الشـــر والضلال.

١٣٤٤. فيها أن الأقربين أولي بالمعروف، لذا بدأ إبراهيم بأبيه آزر، وأمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بذلك حيث قال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وهكذا فكل خير، يصيب الإنسان فالأقربون أولي به.

١٣٤٥. في الآية ملاطفة الوالدين عند دعوتهم إلى الله تعالى.

١٣٤٦. فيهـا دليـل على الإنكـار على من أمر الانســـــان بإكرامه إذا لم يكن على طريقة مستقيمة.

١٣٤٧. فيها: مشروعية جدال الوالدين في الحق، وبالحق.

١٣٤٨. فيها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم خشية الأقارب في الله تعالى.

١٣٤٩. فيها: الحذر من تأثير الأقارب على دين المرء؛ ولذا قال: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ولم يكتف بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ ﴾، فضم إليه قومه في الخطاب؛ فقد يُسلم والد إبراهيم، ثم يرده قومه إلى الشرك تارة أخرى بتأثيرهم، فنبهه على ضلال قومه.

١٣٥٠. تفيد المحاجة العقلية في الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك ببيان مخالفة عبادة الأصنام لصريح العقل لأنها لا تصلح أن تكون إلها؛ لقوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾

١٣٥١. تفيد الصدع بالحق، وعدم المداهنة في دعوة التوحيد كما يحصل من بعض الدعاة؛ لقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

١٣٥٢. تفيد أن أقرب الأقربين قد لا ينتفع بدعوة الداعية وليس في هذا غضاضة عليه.

١٣٥٣. قوله: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ تفيد: أن الله إله واحد.

١٣٥٤. تفيد: أن المؤمنين يعبدون إلها واحدا بخلاف المشركين؛ لقوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾

١٣٥٥. فيها: التحذير من الشرك وعبادة غير الله.

١٣٥٦. فيها: أهمية المصارحة، في بيان الخطإ وإنكاره، لقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ولكيلا تهون المخالفة على المخالف، ولا تصغر في عينه.

١٣٥٧. تفيد: أن الرسل تحذر أقوامها من الشرك، وأنها لا تأمر إلا بعبادة الله وحده.

١٣٥٨. فيها: أن المشركين يتخذون آلهة كثيرة، كم قال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥].

١٣٥٩. فيها: أهمية الاستفهام التوبيخي في الخطاب والمحاجة، لأن الاستفهام هنا للتوبيخ.

١٣٦٠. فيها: توبيخ الكفار على تخبطهم وعبادتهم آلهة شتى لا تملك شيئا؛ وتصديقه.

١٣٦١. فيها: أن الشرك بالله، ضلال بين ظاهر جلي ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

١٣٦٢. فيها: إشارة إلى: أن من توفيق الله للعبد، أن يريه الضلال ضلالا كما هو لقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾.

١٣٦٣. فيها: أن التوحيد هدى مبين.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

١٣٦٤. فيها: مناسبة لما قبلها؛ لقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ يريد: نريه كما أريناه من قبل ضلال أبيه.

١٣٦٥. فيها إشارة إلى: أن من فضل الله على العبد، أن يدله على الحق ويقنعه به.

١٣٦٦. فيها: عناية الله بإبراهيم – عليه السلام –؛ دل عليه قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾

١٣٦٧. تفيد: الحث على النظر، والتفكر في ملكوت الله تعالى ﴿ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾.

١٣٦٨. فيها: بيان سعة ملك الله وكثرته؛ لقوله:﴿ مَلَكُوتَ ﴾ وأصله "ملك"، لكن زيدت التاء للتكثير والزيادة؛ فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

١٣٦٩. تفيد: أن التفكر في ملك الله يورث اليقين فيه، وبأنه المعبود بحق ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾.

١٣٧٠. فيها: فضل اليقين في الله، وكما قال:﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٨].

١٣٧١. تفيد هداية دعوية وهي البدء ببيان بطلان عبادة غير الله ثم بيان المعبود الحق وهو الله جل وعلا، وهذا منهج قرآني؛ ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فهو النفي والإثبات والتخلية ثم التحلية.

١٣٧٢. تفيد أهمية التدرج والتنزل في الخطاب من أجل إقامة الحجة.

١٣٧٣. تفيد أن الهداية للأنبياء وغيرهم من الله تعالى.

١٣٧٤. تفيد أن كل من لم يحقق التوحيد فهو في ضلال مبين مهما كانت له من أعمال صالحة.

١٣٧٥. فيها خطورة المادية والافتتان بالمحسوس وعدم الإيمان بالغيب؛ فقد فتن بالشمس خلق كثير عبدوها من دون الله عز وجل، من أشهرهم قوم سبأ؛ واليوجا التي يروج لها في زماننا في أصلها عبادة وثنية للشمس.

١٣٧٦. يفيد تذكير الشمس وهي مؤنثة في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ إظهاراً لتعظيمها إبعاداً عن التهمة، وتنبيهاً من أول الأمر على أن المؤنث لا يصلح للربوبية.

١٣٧٧. تفيد، وبضميمة ما قبلها: بطلان تعدد الآلهة؛ وأن العقل يأباه؛ لأنه لا يصلح أن تتناوب آلهة في البزوغ والأفول، قال الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

١٣٧٨. فيها الإشارة إلى أن المعبود الحق يجب أن يكون أكبر من كل شيء ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾

١٣٧٩. فيها البراءة من الشرك وأهله؛ لقوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

١٣٨٠. تفيد أن الله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ لأنه الخالق لهذه المخلوقات العظيمة.

١٣٨١. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن الله أعطى إبراهيم عليه - السلام - القوة في الحجة والبيان، بفضله - سبحانه -، ومكافئة له على دعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، ومعاداة قومه في الله.

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

١٣٨٢. تفيد: أن التوحيد، نفي وإثبات؛ فلما نفى العبادة عن هذه الأجرام، أثبتها لله وحده؛ فالنفي المحض، ليس مدحا محضا، فمن لم يتوجه إلى الله بالعبادة، عبد غيره.

١٣٨٣. تفيد: سرعة الإقبال على الحق، بعدما تبين وظهر.

١٣٨٤. فيها دلالة على شرف الوجه.

١٣٨٥. يفيد: أن القلب له تأثير على الجوارح؛ لأنه لما أخلص قلبه لله، توجه بوجهه له – سبحانه –؛ لقوله:﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ يريد: أخلصت ديني، والإخلاص في القلب.

١٣٨٦. فيها تنويه بإبراهيم عليه السلام إمام التوحيد.

١٣٨٧. فيها تعريض بالمشركين، الذين ادعوا اتباع إبراهيم عليه السلام.

١٣٨٨. فيها: رد على الجبرية، لقوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

١٣٨٩. تفيد عظمة الرب جل وعلا لأنه فاطر السموات والأرض.

١٣٩٠. فيها إشارة إلى: كثرة تفكر نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، في السماوات والأرض، ولقوله:﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٦].

١٣٩١. تفيد: أن الله خلق السماوات والأرض، لتدلان عليه – سبحانه – ﴿ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

١٣٩٢. فيها إشارة إلى: دقة النظم، لقوله:﴿ حَنِيفًا ﴾، حيث لم يكتف بقوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ لأن من الناس من يتوجه إلى الله وقلبه معلق بغيره؛ كمن يوحده في الخلق، ولا يوحده في العبادة. قال الطبري في تفسيره: ثم أخبرهم تعالى ذكره: أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة في ذلك لربه على ما يحبُّ من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجَّه له وَجْهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجِّهه، بل ضارّه ومهلكه.

١٣٩٣. قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾فيها: التحذير من المشركين، وشركهم.

١٣٩٤. فيها: بيان خطر الاقتراب من الشرك.

١٣٩٥. تفيد: وجوب التبرؤ من المخالفة، وأهلها؛ لقوله:﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كقولك: أنا لا أفعله، وأبرأ ممن يفعله.

قال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

١٣٩٦. تفيد أن المشركين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق؛ رغم وضوح الحجج والبراهين على التوحيد ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾.

١٣٩٧. فيها أن من حاج في الله فحجته داحضة بدليل الاستفهام الإنكاري﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾.

١٣٩٨. تفيد: أن محاجة الأقارب سنة قديمة، فعلى العبد أن يصبر ويستمسك بدين الله، ويمضي في الدعوة إلى الله.

١٣٩٩. محاجة أهل الباطل لأهل الحق لا تضيرهم ما داموا على الحق وحسبهم سعة علم الله وقوته.

١٤٠٠. فيها أنه لا بد من القوة في المحاجة، سواء أكانت القوة الإيمانية أو العلمية أو النفسية، فالضعف قد لا يؤثر فقط على من حوجج بل على غيره وبشكل أخطر.

١٤٠١. فيها ثبات من هو على الحق وقيامه بواجبه ولو كان وحده.

١٤٠٢. تفيد: أن المجادل بالباطل يجالدك ليثنيك عما أنت عليه من الهدى؛ لقوله:﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ يريد: أتردون أن أنصرف عن هذه الهداية.

١٤٠٣. فيها: إشارة إلى: شناعة الارتداد عن الهدى بعد هداية الله للعبد وتوفيقه إلى الحق ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾.

١٤٠٤. تفيد حقارة آلهة المشركين، وأنهم لا يملكون شيئا حتى يخاف منهم وأنه لا مشيئة لهم، والاستثناء هنا منقطع ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ والمعنى لا أخاف آلهتكم فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة. لكن إن شاء ربي شيئا نالني وأصابني .

١٤٠٥. تفيد: وجوب الخوف من الله وحده، وأن الخوف من غيره شرك؛ والمراد: الخوف العقدي؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه محاجة قوم كانوا يخوفونه بآلهتهم كما هي عادة المشركين، يخوفون من يكفر بطواغيتهم، أي مضرة ذلك.

١٤٠٦. فيها أن التوحيد والإيمان هو الأساس للأمن.

١٤٠٧. فيها تفويض الأمور لله في كل الأحوال "إلا أن يشاء ربي شيئا"

١٤٠٨. ففيها: أهمية الاستثناء، والحرص عليه؛ وهو قول: "إن شاء الله". والشواهد كثيرة.

١٤٠٩. فيها: إشارة إلى: أن الاستثناء عصمة، واعتراف من العبد بأن الموفق هو الله وحده. كما أن به يتجنب العبد التألي على الله.

١٤١٠. فيها تواضع الأنبياء لربهم.

١٤١١. فيها: إثبات المشيئة لله – جل ذكره –.

١٤١٢. فيها سعة العلم الإلهي وإحاطته بكل شيء وهذا رد على القائلين بأن الله لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

١٤١٣. في ذكر اسمه الرب في﴿ وَسِعَ رَبِّي ﴾ فيه تخويف لأن الرب هو السيد المحاسب فعلم الله ينبني عليه الجزاء، ويؤيده الخاتمة.

١٤١٤. في ذكر الإله والرب في الجملتين ما يشير إلى تلازم الربوبية والألوهية وأن الرب هو المستحق أن يكون إلها.

١٤١٥. فيها تنوع الأساليب الدعوية، واستخدام الوسائل التعلمية.

١٤١٦. فيها: بيان لبلاغة القرآن؛ حيث أوجز فحذف المفعول لإفادة العموم؛ فقال: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ يعني: تعتبرون ولم يذكر ما يعتبرون به؛ فحذف طلبا للإيجاز وتحصيل المعنى الغزير في اللفظ القليل. فهذه العبارة على وجازتها، جمعت ما قبلها، وما بعدها.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام: ٨١].

١٤١٧. تفيد أهمية أسلوب الاستفهام والإلزام في مناظرة المبطلين.

١٤١٨. فيها أهمية الحجاج والاستنكار لحال هؤلاء المشركين، ومقارعتهم بالحجج العقلية في سبيل هدايتهم هو بذلك فهل مشروع في سياق الدعوة لله.

١٤١٩. فيها أهمية الحوار وإقامة الحجة والبرهان، ومخاطبة العقول قبل إطلاق الاحكام على الغير.

١٤٢٠. فيها: أن من السفه، الخوف من غير الله (خوف عقدي).

١٤٢١. فيها: أن الآلهة التي يعبدها أولئك القوم هي آلهة عاجزة لا تنفع نفســـها ناهيك أن تنفع غيرها فهي آلهة زائفة باطلة.

١٤٢٢. فيها: أن المؤمن الصادق في إيمانه هو الآمن من الخوف الذي يرجى له السلامة.

١٤٢٣. تفيد: أن الخوف أساس من أسس العقيدة.

١٤٢٤. فيها وجوب الخوف من الوقوع في الإشراك بالله؛ لأنه ظلم بين وجريمة عظمى.

١٤٢٥. فيها أنه يجب على الموحد أن يكون عزيزا قويا، سيما عند مناظرات المشركين.

١٤٢٦. قوله تعالى: ﴿ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ ﴾ يفيد: أنه لاحجة قط لمن عبد غير الله.

١٤٢٧. قوله: ﴿ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ ﴾ فيه إشارة إلى فوقية الله، وأنه في السماء.

١٤٢٨. قوله:﴿ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ ﴾ ولم يقل "إليكم": فيه إشارة إلى: عزة إبراهيم – عليه السلام – وقوته بالله، وتذكيره القوم بعلو ربه؛ لأن حرف "على" فيه نوع استعلاء، بخلاف حرف "إلى"

١٤٢٩. تفيد: أن الحجة الظاهرة والقوية، مع المؤمنين لتوحيدهم وعدم إشـــراكهم؛ لقوله:﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ ﴾ أي لم ينزل عليكم حجة بينة قوية ظاهرة فتشركون!

١٤٣٠. قوله:﴿ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ ﴾يفيد: أن الناس، فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير. وعليه: فكل من ليس مسلما، فهو كافر؛ مهما أطلق عليهم من أسماء

١٤٣١. فيها أهمية العلم بالله وأهمها الخشـــية كما أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ابن مســـعود رضي الله عنه قال: ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

١٤٣٢. تفيد: أن الكفار لا يعلمون ما ينفعهم ويضرهم.

١٤٣٣. فيها أن العلم يقي من الشرك والضلالات.

١٤٣٤. فيها أنه بالعلم تدرك المنافع، ويحذر من المضار، فمن لم يتسلح بالعلم لم يأمن ضرر الجهل.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

١٤٣٥. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الله يؤيد أولياءه، ويسددهم ويصدقهم في المحاجة والمناظرة؛ لقوله قبلها، على لسان إبراهيم – عليه السلام –: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾ [الأنعام: ٨١] فصدقه الله وأيده، وأجابه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

١٤٣٦. فيها أن الشرك خلط لحقائق الإيمان وتشويه لها.

١٤٣٧. تفيد: أن الشرك ظلم؛ قال تعالى: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ لقمان: ١٣.

١٤٣٨. تنكير الظلم هنا لنكتة بلاغية وهي أنه للتقليل والمعنى لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الشرك ولو كان قليلا.

١٤٣٩. يفيد أيضا: تعدد أنواع الشرك. وعليه: فيجب معرفة صور الشرك كلها، تجنبا للوقوع فيه؛ وقد قيل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه. وخير من ذلك قول حذيفة – رضي الله عنه –: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. رواه البخاري.

١٤٤٠. فيها تأكيد دخول الشرك على بعض المؤمنين فيجب الحذر منه خفيه وجليه صغيره وكبيره﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾. وهو من معاني قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].هذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف في مواضع، فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل؛ دع جليله، وهو شرك في العبادة والتأله، وشرك في الطاعة والانقياد، وشرك في الإيمان والقبول. (أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ٩٧).

١٤٤١. فيها إشارة إلى: الحذر من الردة.

١٤٤٢. فيها الحذر من جميع الذنوب، وأن الأمن التام والاهتداء الكامل لا يحص إلا بتحقق ذلك ، فمن لم يسلم من ظلمه نفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقاً، بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى. وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه. انظر : (مجموع الفتاوى ٧/٧٨-٨٢).

١٤٤٣. تفيد: أن التوحيد سبب لحصول الأمن في الدنيا والآخرة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩].

١٤٤٤. الأمن التام مطلب كل إنسان والآية بينت وسيلة الأمن الكبرى التي بدونها لا يمكن أن يتحقق ألا وهي التوحيد الخالص السالم من شوائب الشرك. يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور: ٥٥] وغيرها من الآيات.

١٤٤٥. تفيد شجاعة الموحد وثبات قلبه لأنه لا يخاف إلا الله عز وجل، بخلاف المشرك فإنه يخاف من كل شيء؛ قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

١٤٤٦. تفيد أن المعاصي وأعظمها الشرك سبب للخوف والرعب والقلق.

١٤٤٧. فيها: المحافظة على الإيمان سبب للأمن والتوفيق من الرحمن، والإيمان هنا لم يقرن بالإسلام وعليه فهو شامل للدين كله ظاهرا وباطنا.

١٤٤٨. تفيد: أن الأمن من المخاوف، والطمأنينة، نعمة من الله على عبده.

١٤٤٩. تفيد: أن التوحيد، سبب في الهداية، لقوله:﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ مفهومه: الشرك سبب في الغواية؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٤].

١٤٥٠. فيها أنه عند تحقيق أمرين يترتب الجزاء عليهما بأمرين: إذا تحقق الإيمان والسلامة من الشرك. تحقق الأمن والهداية.

١٤٥١. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان العلم منجاة من الشرك، وسبب في الهداية وتحقق الأمن، خص أهله بالدرجة الرفيعة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

١٤٥٢. تفيد مع ما قبلها أن حصول الأمن الشامل من أعظم أسباب الرفعة وعلو المكانة في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ وقوله في هذه الآية: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

١٤٥٣. تفيد مع ما قبلها أن من هداه الله تعالى آتاه حجته؛ وسدد فهمه؛ وأصلح شأنه؛ وجعل النصر حليفه؛ والرفعة نصيبه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾.

١٤٥٤. الإشارة إلى الحجة باسم الإشارة الدال على البعد ﴿وَتِلْكَ﴾ يدل على عظمة هذه الحجة وعلو شأنها. وكذا نسبة الحجة إليه سبحانه وإضافتها إليه بضمير الجمع.

١٤٥٥. فيها: تشريف، وتكريم لنبي الله إبراهيم – عليه السلام –، وبيان لاعتناء الله به.

١٤٥٦. فيها تأييد الله لأوليائه في الشدائد.

١٤٥٧. فيها: أن من رفع الله قدره في دين أو دنيا، يجب عليه أن يوقن أنه محض فضل من ربه؛ فليتواضع لله.

١٤٥٨. فيها: كما رفعنا درجات إبراهيم في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، خصوصًا العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إمامًا للناس بحسب حاله، تُرمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره. السعدي.

١٤٥٩. تفيد فضل العلم، وأنه مما يرفع الله به؛ لقوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم، فالعلم بحسن المحاجة مما يرفع الله تعالى به الدرجات. وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء في قصة مناظرة إبراهيم عليه السلام وفي قصة احتيال يوسف عليه السلام، ولهذا قال السلف: بالعلم، فإن سياق الآيات يدل عليه، فقصة إبراهيم في العلم بالحجة، والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين، وقصة يوسف في العلم بالسياسة والتدبير لتحصل منفعة المطلوب، فالأول علم بما يدفع المضار في الدين، والثاني علم بما يجلب المنافع، أو يقال: الأول هو العلم الذي يدفع المضرة عن الدين ويجلب منفعته، والثاني علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها أو يقال قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة ضد الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال ضد الحاجة إليها، فالحاجة إلى جلب المنفعة ودفع المضرة قد تكون إلى القول، وقد تكون إلى الفعل. ولهذا كان المقصرون عن علم الحجج والدلالات، وعلم السياسة والإمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل، أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين والدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم، ولا وال يظلمهم وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدافعة لأهل البدع، والسياسة الدافعة للظلم. ولهذا قيل: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء والأمراء، وكما أن المنفعة فيهما فالمضرة منهما، فإن البدع والظلم لا تكون إلا فيهما: أهل الرياسة العلمية، وأهل

الرياسة القدرية، ولهذا قال طائفة من السلف كالثوري وابن عيينة وغيرهما ما معناه: إن من نجا من فتنة البدع وفتنة السلطان فقد نجا من الشر كله.. (مجموع الفتاوى ١٤/٤٩٣-٤٩٤).

١٤٦٠. تفيد: أن الله يرفع من يدافع عن دينه. يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ في مناظرته لقومه وإبطال شركهم.

١٤٦١. فيها رد على المتكلمين الذين يستدلون بهذه الآية – مع ما قبلها من الآيات–على أن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد الى النظر أو الشك. –

١٤٦٢. فيها ردا عليهم في استدلالهم بها على نفي صفات الفعل الاختيارية لله تبارك وتعالى كالنزول والمجيء والاستواء وغيرها فقد زعموا أن الأفول بمعنى التغير والحركة وأن إبراهيم استدل بتغيرها وحركتها على بطلان إلهيتها مع أن العرب لا تعرف الأفول بمعنى التغير والحركة وإنما بمعنى المغيب والاستتار فأفل بمعنى غاب واستتر؛ فأخطؤوا في التفسير وفي الاستدلال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمقصود هنا: أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلها آخر مساويا له في الصفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئا من العالم، ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين، فقد غلط غلطا بينا، بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع، وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين. قال تعالى عن الخليل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩ – ٩٩]، فأخبر تعالى عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين، وأخبر أنهم يقولون يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما قال تعالى في الموضع الآخر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧] وقال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. ولم يقل: من المعطلين، فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين، فلم يكونوا جاحدين للصانع، بل عدلوا به وجعلوا له اندادا في العبادة والمحبة والدعاء، وهذا كما قال تعالى: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون».. (الجواب الصحيح ٣٥٤/١-٣٥٦). وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد عليهم ونقض استدلالهم بهذه الآيات في مواضع من كتبه منها: (درء تعارض العقل والنقل ١٠٩/١-١١٣) و (منهاج السنة ١٩٣/٢-١٩٧) و (بغية المرتاد ٣٥٨-٣٦٠ و ٣٧٣).

١٤٦٣. تفيد أن الله عز وجل يوفق دعاة التوحيد ويلقنهم حجتهم التي تقمع كل معاند جاحد؛ لقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كشف الشبهات: والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين..

١٤٦٤. تفيد أن اكتساب العبد للحجة والبراهين لبيان الحق؛ فيها استعلاء على أهل الباطل؛ وقهر لهم من خلال أبطال حججهم الباطلة؛ لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ أي مستعلية حجته عليه الصلاة والسلام على حجج أهل الباطل من قومه؛ وهكذا ينبغي أن يكون أتباعه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

١٤٦٥. تفيد أن دين إبراهيم عليه السـلام قائم على الحجج والبراهين؛ وأن المعركة العلمية المعرفية القائمة على الحجج والبراهين والتي خاضها عليه السلام مع قومه ستستمر في عقبه وأتباعه؛ حيث جعلها الله تعالى باقية في عقبه إلى يوم الدين؛ فمن من أراد علو الشأن ورفعة المكانة فليتبع سبيل ودين نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ وقد وعد الله تعالى في هذه الآية جميع من كانوا على طريقته وسبيله بأنه سيرفع درجاتهم؛ ولهذا لم يقل سبحانه وتعالى في سياق مدح إبراهيم عليه السلام: (ورفعنا درجته) بل قال:﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾.

١٤٦٦. تفيد أن عطايا وهبات الباري سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى؛ وإذا أنعم على العبد أغدق عليه النعم؛ وتوالت عليه المنن والمكارم؛ ولهذا قال تعالى:﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ ولم يقل تعالى جده: (نرفع درجة من نشاء). وقد ذكر الباري في كتابه الدرجات والدرجة، وكان ذكره للدرجات أكثر وذاك يدل على عظيم فضله، وقد جعل العلو في الدرجات في كل ما فيه رفعة على وجه الحقيقة، كالعلم والبيان والحجة والنفقة والجهاد لله.. وما تُنال الدرجات إلا بفضله وعونه.

١٤٦٧. تكرار ذكر الدرجات في القرآن الكريم مرارا فيه دعوة وتربية للنفوس نحو الترقي والسعي للعلو والرفعة والعزة وعدم قبول أدنى الدرجات كما ترضاها بعض النفوس الضعيفة وقد سمى إبراهيم عليه السلام في الدرجات حتى جعله الله إماما للناس.

١٤٦٨. فيها العناية بالحجج العقلية والنقلية التي تكون سببا في إظهار الحق ودحض الباطل.

١٤٦٩. تشير إلى أن الحق قد يكون مع القلة بل والفرد الواحد.

١٤٧٠. فيها إشارة الى: أنه ينبغي سؤال الله الرفعة؛ لأنه تمنن بها في الآية.

١٤٧١. فيها: إثبات المشيئة لله – سبحانه –.

١٤٧٢. فيها: لن ترقى الدرجات في الدنيا ولا في الآخرة إلا بمشيئة الله فاستعن بمولاك.

١٤٧٣. فيها: لا تسـلك طريقا تظنن فيه رفعة متحققة في الدنيا بمعصـية ربك فلن ترقى مالم يشـأ الله فتكونن لك مهلة ومهلكة. وإنما ارتقى إبراهيم عليه السـلام الدرجات بالطاعة لا بالمعصية.

١٤٧٤. فيها: من انتصـر بالحجة لا بد أن يسـتحضـر فضـل الله ومشيئته فلا يغتر أو يعجب بنفسه بل يشكر ويحسن ويتأدب مع ربه.

١٤٧٥. فيها: تشـريف لرسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم -؛ لقوله:﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ فخصه بالخطاب؛ وإن كان الأصل أن الخطاب له ولأمته؛ لكن هذا مزيد عناية بنبيه.

١٤٧٦. يفيد توجيه الخطاب إلى النبي محمد صـلى الله عليه وسـلم في قوله:﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ولم يقل مثلا: (إن الله حكيم عليم)؛ وذلك في إشـارة لطيفة إلى أن الله عز وجل أراد في سـياق ذكر رفعة دجات خليله إبراهيم عليه السـلام أن يدخل السـرور إلى قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم؛ وأن يبشره بأنه سيكرمه برفع درجاته في الدنيا والآخرة؛ كما رفع دجات خليله إبراهيم عليه السلام؛ فقال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

١٤٧٧. فيها: إثبات صفتي الحكمة والعلم لله - جل ذكره -.

١٤٧٨. تفيد: التحذير من الإعتراض على قضـاء الله، في رفعه لشـخص دون آخر، وخفضه لشـخص دون آخر؛ لتذييلها بقوله:﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أفعاله دائرة بين الحكمة والعلم. وعليه: فمن هدايات الآية: أنها تشفي الصدور من الحسد. فمن ارتقى إنما ارتقى بالله وبفضله فعلام يتحاسد الناس على فضل الله.

١٤٧٩. فيها: من ارتقى في الدرجات إنما ارتقى بعلم الله وحكمته وما ربك بظلام للعبيد.

قال تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤].

١٤٨٠. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن صلاح الذرية، شرف ورفعة؛ لقوله – قبلها –:﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ وعليه: فينبغي السعي الحثيث في تحصيل ذلك للأبناء.

١٤٨١. فيها، وبضميمة ما قبلها: أن هبة الذرية وهدايتهم، من بركات الدعوة إلى الله – جل ذكره –. وكأن الله يقول: مكافأة لك يا إبراهيم على ما سلف منك من دعوتك، سأهب لك الذرية، وليس هذا فحسب، بل وسأمنن عليهم بالهداية والصلاح، بل وسأجعل فيهم النبوة؛ وعليه: فمن أراد أن يكون أولاده من الدعاة إلى الخير، فليدع هو إلى ربه. فينبغي الاهتمام بهداية هذه الآية، ونشرها في المسلمين، وذكرها في تعداد أسباب هداية الأبناء وصلاحهم. قال الشوكاني في فتح القدير: والمعنى: ووهبنا ذلك جزاء له على الاحتجاج في الدين وبذل النفس فيه.

١٤٨٢. تفيد مع ما قبلها أن عطايا وهبات الباري سبحانه وتعالى إذا حلت على العبد الصالح عمت وفاضت؛ وسرت تلك العطايا والهبات والمكارم على فروعه؛ كما قال تعالى في الجنة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور: ٢١] وعليه؛ فإن شرف الآباء يسري على الأبناء. فليحرص الآباء على تشريف أنفسهم وأبنائهم.

١٤٨٣. في هذه الآية والآية قبلها والآيتين بعدها بيان لبعض ما يجب على المسلم من الإيمان بالركن الرابع من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسل والإيمان ببعض من سماهم الله تعالى لنا في كتابه وهم (٢٥) نبيا ورسولا. ذكر منهم في هذه الآيات (١٨) والباقون ورد ذكرهم في آيات أخر. والإيمان بالرسل مجمل ومفصل وهذا من الإيمان المفصل بذكر أسماء بعضهم عليهم السلام.

١٤٨٤. تفيد: أن التوحيد، والدعوة إليه سبب في تكاثر الذرية، والخير في الأرض؛ وتصديقه: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ

﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح: ١٠ – ١٢] يريد: استدعوا مغفرته بالتوحيد؛ فأعظم الاستغفار، الاستغفار من الشرك. ولأنه لا يتصور الاستغفار مع الإقامة على الشرك.

١٤٨٥. تفيد: أن الله يعوض عبده عما فقده في الله؛ فإن الله وهب إبراهيم لما هجر قومه في الله؛ فآنسه وأيده وعوضه بهذه الذرية؛ ونظيره: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩] وعليه: فمن كان يأنس برفقاء السوء، فليهجرهم في الله، وسيعوضه الله خيرا منهم، ويحظى من الخير والسعادة أضعافا كثيرة. وكذا من كان له زوجة فاسدة الدين ففارقها في الله، عوضه الله خيرا منها. ودواليك.

١٤٨٦. فيها: الإيمان بأسماء كل من ذكر. والذي يظهر في ترتيب الأنبياء في الآية الكريمة ما يلي:

– الجمع بين نبييه إسحق ويعقوب عليهما السلام لجامع القربى المباشرة، وقُدِمَ إسحق في الذكر لأبوته، وقدما في الذكر على بقية الذرية من الأنبياء في الآية لقربهما من الأصل أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعليهما السلام، وما بعدهما من الأنبياء من ذريتهما.

– الجمع بين نبييه داود وسليمان عليهما السلام لجامع القربى المباشرة والملك، وقُدِمَ داود في الذكر لأبوته.

– والجمع بين نبييه أيوب ويوسف عليهما السلام لجامع الصبر وطول الابتلاء، وقُدِمَ أيوب في الذكر لعظم بلائه.

– والجمع بين نبييه موسى وهارون لجامع القربى المباشرة (الأخوة) وقُدِمَ موسى في الذكر لأنه من أولي العزم من الرسل. والله أعلم.

١٤٨٧. فيها: سعة فضل الله عز وجل وواسع كرمه في عطاياه.

١٤٨٨. فيها أن الولد لأبيه؛ لقوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾، وفي الحديث: "أنت ومالك لأبيك".

١٤٨٩. فيها: بيان منة الله عز وجل على خليله ابراهيم عليه السلام وهو أنه وهبه اسحاق ويعقوب.

١٤٩٠. فيها: بيان هدايته سبحانه للوالد والولد والحفيد.

١٤٩١. فيها: أن الترتيب، لا يلزم منه الأفضلية مطلقا.

١٤٩٢. تفيد: أن ال/ "واو"، لا توجب الترتيب مطلقا. وهذا على رأي البصريين وأما الكوفيون فيقولون إنها تفيد الترتيب ولو على أي وجه كان؛ ورحم الله سيبويه إذ ذكر أنها في الأصل لا تفيد الترتيب لكنهم - يقصد العرب - يقصدون معاني من وراء التقديم بين المعطوفات بالواو، وهناك أربع رسائل دكتوراة عن أسرار الترتيب بين المعطوفات (أو المعطوفين) بالواو في القرآن الكريم دراسة تطبيقية على كل آيات القرآن الكريم، وقد حكى الشوكاني في الإرشاد، عن الجمهور أنها لمطلق الجمع. وحكاه عن سيبويه في سبعة عشر موضعا من كتابه. ثم قال - الشوكاني -: وهو الحق.

١٤٩٣. فيها: أن الهداية بيد الله وحده؛ لقوله:﴿ هَدَيْنَا ﴾.

١٤٩٤. فيها: أن الهداية تطلق على الوحي؛ فهو أعظم هداية، لا يعتريها غواية.

١٤٩٥. تكرار فعل الهداية﴿ هَدَيْنَا ﴾ في الآية المباركة يفيد عظم المنة بها على الأنبياء السابقين واللاحقين، وعلى الآباء والبنين. نسأل الله أن لا يحرمنا من هدايته ورحمته.

١٤٩٦. تفيد أن أعظم مواهب الله عز وجل بل ومن خيرها هي هدايته سبحانه إلى صراطه المستقيم.

١٤٩٧. في الآيات ذكر أبوين من آباء الأنبياء. وهما الأب الثاني: نوح عليه السلام فهو أبو الأنبياء الذين جاؤا من بعده بعد الطوفان، والأب الثالث: إبراهيم عليه السلام والأنبياء بعده كلهم من ذريته.

١٤٩٨. فيها ذكر خصلتين من السمات المشتركة بين هؤلاء الأنبياء عليهم السلام وهما:

-هداية الله لهما.

- أنهم من المحسنين:

والهداية محض فضل الله تعالى. والإحسان من العبد سبب من أسباب هداية الله له واصطفائه. وتوفيق الله تعالى عبده للإحسان إرهاص لمزيد الهداية والاصطفاء؛ قالت خديجة رضي الله تعالى عنها لنبينا ﷺ:(كلا والله لا يخزيك الله أبدا... ودللت على ذلك بما ذكرت من صور من إحسانه ﷺ المتعدي للخلق.

١٤٩٩. فيها أن الذرية هبة من الله تعالى.

١٥٠٠. فيها أن الهبة الربانية تعظم قدرا بصلاح الذرية.

١٥٠١. فيها: بيان لعدل الله وفضله؛ فهو - جل ذكره – يجزي المحسنين بإحسانهم ويزيدهم من فضله.

١٥٠٢. فيها: بيان جزاء المحسنين الذين أخلصوا لله في أعمالهم وقاموا بإدائه خير قيام على الوجه الذي يرضي الله عز وجل.

١٥٠٣. فيها أن من أسباب صلاح الذرية الإحسان في العمل.

١٥٠٤. فيها: أن الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى الله، من الإحسان، بل أعظم الإحسان، لقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

١٥٠٥. تفيد أن المحسنين يجعل لهم من الثناء الصدق، والذرية الصالحة، بحسب إحسانهم؛ لقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٥ – ٨٧]

١٥٠٦. فيها بيان مكانة الأنبياء عليهم السلام؛ لقوله:﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

١٥٠٧. تفيد أن أفضل البشر هم الرسل والأنبياء؛ لقوله:﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ففيها رد على غلاة الصوفية الذين يفضلون الأولياء على الأنبياء حتى قال قائلهم وبئس ما قال: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي.. وقد قال الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة: ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء بل نقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء..

١٥٠٨. تفيد فضل الله عز وجل ورحمته بهم حيث فضلهم على العالمين؛ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

١٥٠٩. تفيد الثناء العاطر على هؤلاء الأنبياء والمرسلين بالصلاح والإصلاح..

١٥١٠. تفيد فضيلة هؤلاء الرسل والأنبياء، واجتباء الله تعالى لهم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولما ذكر الأنبياء- ذكرهم في الأنعام- وهم ثمانية عشر، قال:﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائه سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم، لا بنفس القرابة. وقد يوجب النسب حقوقا، ويوجب لأجله حقوقا، ويعلق فيه أحكاما من الإيجاب والتحريم والإباحة، لكن الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الأعمال لا على الأنساب.. (منهاج السنة ٨/٢١٨).

١٥١١. تفيد وجوب الإيمان بالرسل إجمالا وتفصيلا.

١٥١٢. تفيد الاقتداء بالأنبياء في الصلاح والإصلاح.

١٥١٣. فيها: ما أعظم بركة صلاح العبد، وتعدي أثرها.

١٥١٤. فيها أن صلاح الآباء ينفع الأبناء.

١٥١٥. فيها توجيه للآباء للاهتمام بتربية الأبناء على التوحيد والطاعة والصلاح؛ ليكونوا أئمة في الهدى داعين إليه، وقد سبقت دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

١٥١٦. يُقرأ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠] لنعلم أن أعظم سؤال وأفضل مطلوب وأجل نعمة وفضل هو سؤال الله تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم. كما يفيد قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ مع قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ أن الاجتباء والهداية وفضل الله تعالى بذلك مرده لعلم الله بما في قلوب عباده وصلاحهم وإصلاحهم وتقواهم؛ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

١٥١٧. فيها إثبات بشرية الأنبياء عليهم السلام فلهم آباء - عدا عيسى عليه السلام - ولهم ذرية ولهم إخوان.

١٥١٨. فيها أن النبوة اجتباء واصطفاء وليست اكتساب؛ لقوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٥١٩. تفيد أن التفضيل والرفعة بيد الله تعالى وحده جل وعلا.

١٥٢٠. تفيد التفاضل بين الأنبياء والمرسلين؛ قال السعدي: لأن درجات الفضائل أربع - وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقصص علينا نبأهم بلا شك.

١٥٢١. فيها أن الصلاح سبيل لبلوغ الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة..

١٥٢٢. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقوله: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يفيد أن تفاوت الناس في الفضل إنما يكون بحسب تفاوتهم في درجات الصلاح والإصلاح (الإحسان بإصلاح الآخرين).

١٥٢٣. فيها ألا يستوحش المسلم طول طريق الاستقامة ووحشته وقلة سالكيه فقدوتك وقادتك أيها المسلم في هذا الطريق هم أنبياء الله ورسله الذين اجتباهم ربنا تبارك وتعالى وفضلهم على العالمين وهداهم إلى صراطه المستقيم.

١٥٢٤. تفيد أن الصراط المستقيم هو ما كان عليه الأنبياء والمرسلون؛ لقوله: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

١٥٢٥. تفيد أن هداية الخلق جميعا من الله تعالى وحده حتى الأنبياء والرسل.

١٥٢٦. فيها: أن الطريق المستقيم، هو التوحيد.

١٥٢٧. تفيد أن الهداية إلى الصراط المستقيم من أعظم النعم التي يمتن الله بها على عباده.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

١٥٢٨. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الأنبياء والمرسلين هم القدوة في تحقيق العبودية لله تعالى وإقامة التوحيد الخالص، وهم الأبعد عن الشرك ومظاهره.

١٥٢٩. يُقرأ قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ مع قوله الذي تقدم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لنعلم أهل المحل القابل للهداية لنتشبه بهم.

١٥٣٠. تفيد أن أعظم هداية تحقيق التوحيد.

١٥٣١. تفيد أن الهداية بيد الله تعالى وحده يهدي من يشاء من عباده.

١٥٣٢. تفيد إثبات المشيئة الكاملة لله تعالى وحده.

١٥٣٣. تفيد: أن التوحيد يرفع أهله، والشرك يضع ويحط ويهين أهله.

١٥٣٤. تفيد أن الأعمال ترتفع بالتوحيد إلى الله تعالى وتهبط وتسفل بالإشراك بالله تعالى.

١٥٣٥. يفيد اسم الإشارة﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يشار به للبعيد في قوله:﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ إلى ما ذكر قريبا أن هداية الله تعالى سبب لبلوغ المراتب والمنازل العالية كما بلغها أولئك الأنبياء.

١٥٣٦. يفيد اسم الإشارة﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يدل بعد المكان والمكانة تحفيز السامعين ليتعرضوا لهدايات الله تعالى ليبلغوا ما بلغ أولئك.

١٥٣٧. فيها إشارة إلى: الخضوع لله، والتواضع له، والاعتراف بفضله؛ لأنه لولا توفيق الله وهدايته لهؤلاء الأنبياء، لما حصل لهم هذه المنقبة وهذه الهداية؛ ولقوله – قبلها –:﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ وعليه: فمن هداه الله وأصلحه، فليلزم الإحسان في دعوة الخلق إلى الله، ولتكن همته هداية الناس، لا تعييرهم والوقوع فيهم، والتعالي عليهم بغير حق.

١٥٣٨. تفيد: أن أعظم الهداية، الهداية إلى التوحيد؛ لقوله:﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ يعني التوحيد؛ بدليل السياق؛﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾.

١٥٣٩. كما تفيد إضافة الهداية إلى الله تعالى﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ على شرف طلبها.

١٥٤٠. تفيد إضافة الهداية إلى الله تعالى التي نال بها الأنبياء الفضل والاجتباء اختصاص الله تعالى بهداية التوفيق دون غيره.

١٥٤١. كما دل ورود الهداية بصيغة الفعل المضارع﴿ يَهْدِى ﴾ على استمراريتها وعدم انقطاعها عن الخلق ما تعرضوا لها.

١٥٤٢. فيها: رد على القدرية، والجبرية. فسبحان الله؛ فقوله:﴿ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ رد على القدرية. وقوله:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ رد على الجبرية.

١٥٤٣. دلت (من) التبعيضية في قوله:﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ على أن أهل الهداية في كل زمان ومكان جزء من كل فلا يستوحش أهلها.

١٥٤٤. دلت الإضافة في﴿ عِبَادِهِۦ ﴾ على دخول الناس كلهم في ملكه بعبودية خاصة أو عامة. كما دلت الإضافة على رحمة الله وأن الناس كلهم عباده: مؤمنهم وكافرهم فيدعوهم ذلك إلى طلب الهداية وتحقيق تلكم العبودية.

١٥٤٥. فيها: جواز استعمال "لو"؛ في مثل هذا الموطن.

١٥٤٦. تفيد أن الشرك محبط لعمل الأنبياء - وحاشهم الإشراك - فكيف بغيرهم.

١٥٤٧. تفيد خطورة الشرك وأنه محبط للأعمال؛ كما قال تعالى لنبيه:﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

١٥٤٨. تفيد أنه لا بقاء لعمل صالح مع الشرك.

١٥٤٩. تفيد: أن السيئة الوحيدة التي تأكل كل الحسنات، هي الإشراك بالله. لقوله:﴿ أَشْرَكُوا۟ ﴾ ولو مرة واحدة،﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ طيلة حياتهم، دل عليه المضارع في﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ وتصديقه:﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١] وفي الحديث الإلهي - عند مسلم -: "لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة". فجميع السيئات تغفر مع التوحيد، وجميع الحسنات تحبط مع الشرك.

١٥٥٠. تفيد أهمية التحذير المستمر من الشرك حتى في مجتمعات أهل التوحيد.

١٥٥١. يُقرأ قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ مع قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ لنعلم خطر الشرك الذي جاء فيه من الوعيد قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

١٥٥٢. تفيد أن الله عز وجل حكم عدل لا يحابي أحدا؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية: والأنبياء معصومون من الشرك ولكن المقصود بيان أن الشرك لو صدر من أفضل الخلق لأحبط عمله فكيف بغيره؟ وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ مع أن الشرك منه ممتنع، لكن بيّن بذلك أنه إذا قدر وجوده كان مستلزما لحبوط عمل المشرك وخسرانه، كائنا من كان، وخوطب بذلك أفضل الخلق لبيان عظم هذا الذنب لا بغض قدر المخاطب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٧] ليبين سبحانه أنه ينتقم ممن يكذب في الرسالة كائنا من كان، وأنه لو قدر أنه غيّر الرسالة لانتقم منه.. (الاستغاثة ٢٤٠-٢٤١).

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

١٥٥٣. يفيد اسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ علو وبعد منزلة الأنبياء الذين تقدم ذكرهم قريبا.

١٥٥٤. يفيد قوله: ﴿آتَيْنَاهُمُ﴾ منة الله تعالى بالهداية على من هداهم، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

١٥٥٥. قوله: ﴿آتَيْنَاهُمُ﴾ بنون العظمة فيها اقتران إيتاء الكتاب بصفات الكمال والجلال والعظمة لله سبحانه.

١٥٥٦. فيها عظمة الكتاب الذي آتاه لمن يشاء فإن عظمة الكلام من عظمة المتكلم.

١٥٥٧. فيها: جواز إطلاق لفظ الواحد وإرادة الجمع؛ لقوله: ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد: أعطيناهم الكتب؛ كالتوراة والإنجيل وصحف ابراهيم. ونظيره: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

كِتَٰبٍۖ ﴾ [الشورى: ١٥] يريد من كتب. وكما قال: ﴿ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] يريد: الأطفال؛ بدليل: ﴿ ٱلَّذِينَ﴾. وفي ذلك ما يشير إلى أن مقاصد الكتب واحدة..

١٥٥٨. فيها: أن الذي أعطى النبوة، والفهم والعلم، هو الله وحده؛ فيجب على العبد أن يشكر ربه على ما أنعم وأولى عليه من العلم والفهم.

١٥٥٩. فيها: إشارة إلى التفقه في الدين، وأنه لا يكتفى بحمل القرآن وحفظه فحسب؛ كما يفعله كثير من المسلمين، فتجدهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب؛ ولكنهم يقيمون حروفه ويضيعون حدوده؛ بسبب جهلهم به. وإنما ينبغي التفقه في الدين؛ وتصديقه، قول النبي: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل". فتأمل هذا الدعاء. ووجهه: أنه – تعالى ذكره – جمع بين الكتاب والحكم، في غير ما آية من كتابه، وكما جمع بينهما هنا، فقال: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ ﴾ ولم يكتف بقوله: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ولأنه ذم طائفة بقوله: ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة: ٧٨] أي إلا تلاوة ولا يفقهونه. قال السعدي: أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط.

١٥٦٠. فيها أن الشرائع كافية؛ لأن تكون دستورا ومرجعا يتحاكم إليه الناس في كل أمورهم.

١٥٦١. يفيد قوله تعالى: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾:

- آتاهم الكتاب الذي هو مصدر الحكم (نظام الحكم–الدستور).
- آتاهم الحكم أي الحكمة ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨] والحكم أي إصدار الأحكام ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠] والحكم بمعنى السلطة ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص: ٢٦].
- ثم ختمت منة الإيتاء من الله تعالى بالنبوة التي يعصم الله بها أنبياءه في أحكامهم، فيبعث ذلك على طمأنينة العباد ليقبلوا على أنبياء الله ليتعلموا حكمهم ويرضوا بأحكامهم. والله أعلم.

١٥٦٢. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على بابها في الإشارة بها إلى الكافرين، فلا يعلو الكافر أبدا.

١٥٦٣. فيها: رد مفحم، على المنافقين (الشيعة) الذين يزعمون أن الصحابة ماتوا على الكفر {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}؛ لقوله:﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ يعني الصحابة – رضي الله عنهم -. والمعنى إن يكفر بها هؤلاء الكفار المكذبين لك، فلا يضرك كفرهم، فقد وكلنا بها أصحابك يقومون بحقها حق قيام؛ من المهاجرين والأنصار. وقد كان – رضي الله عنهم -؛ فقد أدوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم يكافئهم ويجازيهم خير جزاء، من اختارهم لصحبة نبيه ﷺ.

١٥٦٤. فيها: من معاني حرف الباء: الإلصاق والإلزاق كقوله تعالى:﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢] الباء للإلصاق. [البحر:١٧٩/١].﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] الباء للإلصاق. أي يريد الله أن يلصق بكم اليسر. [العكبري:٤٦/١].﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ [البقرة: ١٥٥] الباء للإلصاق. [البحر:٤٥٠/١]. وقد تكررت الباء في الآية مرتين في حق المؤمنين ﴿ لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ لتدل على قوة إيمان المؤمنين وإلتصاقهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بها وعدم مفارقتهم لها. والله أعلم.

١٥٦٥. فيها بيان أهمية القدوة الحسنة وأنه لا يستغني عنها حتى الأنبياء.

١٥٦٦. تفيد: أن من أعرض استبدله الله، وأن لله خلق يقومون بأمره؛ فمن أعرض عن خدمة الدين، ونشر الخير – مثلا – استبدله الله بمن هو خير منه. وهذا واقع؛ فالحذر.

١٥٦٧. تفيد المنزلة العظيمة لأنبياء الله تعالى وأتباعهم من المؤمنين الصالحين؛ والتعبير بوكلنا في الآية يشعر بهذا تمام الإشعار.

١٥٦٨. في التعبير ب﴿ وَكَّلْنَا ﴾ التي الأصل فيها الحفظ والعناية إيذان بضخامة المسؤلية وضرورة رعايتها والعناية بها وأن تقدر حق قدرها (قياما بحق الوكالة وعهد الاستحفاظ). أفاده القاسمي في محاسن التأويل.

١٥٦٩. فيها عظم مسؤولية ورثة الأنبياء في القيام على حفظ دين الله تعلما وتعليما وتطبيقا ودعوة وجهادا؛ " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفونه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ".

١٥٧٠. فيها تطمين للمؤمنين بأن دين الله باق محفوظ بحفظ الله؛﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ كما في قوله تعالى:﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

١٥٧١. يفيد قوله تعالى:﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أهمية مراعاة الحقوق والواجبات في شؤون الدين والدنيا.

١٥٧٢. فيها: رد على القدرية؛ لقوله:﴿ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾؛ هيأنا وأرصدنا لها؛ فان شاء – سبحانه – وكّل فضلا، وإن شاء أوكل عدلا. فإن تبين هذا، فعلى العبد أن يكون راجيا خائفا. وعليه أن يسأل ربه، أن يستعمله.

قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]

١٥٧٣. تفيد، وبضميمة ما سلف: أنه ينبغي نشر مناقب الأئمة والأخيار في المسلمين، ليقتدى بهم في الخير؛ ولأن الله صير أئمة الهدى ليدعون إليه؛ كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

١٥٧٤. فيها: تأييد لنبوة محمد ﷺ، وأن له سلف في دعوته إلى التوحيد؛ فليس النبي ﷺ وحده في هذه الدعوة، بل له إخوان سبقوه ودعوا إلى ما دعا إليه.

١٥٧٥. ففيها: رد على الكفار الذين أنكروا نبوته.

١٥٧٦. فيها أن المسيح – عليه السلام –، كان موحدا يدعو إلى التوحيد؛ لأنه من جملة من أمر النبي ﷺ بالاقتداء وبه؛ وعليه: فنقول للنصارى نبينا ﷺ ونحن أولى بالمسيح منكم.

١٥٧٧. تفيد: الإهتمام بذكر أسماء الأخيار، من أهل العلم والصلاح؛ عند الحديث عن عنهم وعن دعوتهم؛ لا يقال: قال أحد الصالحين، فعل أحد الصالحين؛ لأن الله ذكر هؤلاء الأنبياء بأسمائهم، ثم قال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ فإن تيسر ذكر اسمه فهو الأولى؛ وإلا فقد صح عن النبي – عند مسلم –، أنه ذكر غلام أصحاب الأخدود ولم يذكر اسمه، ولا اسم العابد الموحد الذي علمه التوحيد.

١٥٧٨. تناسب الآية (٩٠) مع ماتقدمها من الآيات (٨٢-٨٩) يظهر والله أعلم في الآتي:-

- تكرار لفظ الهداية ومشتقاتها ست مرات (مهتدون، هدينا مكرر، هديناهم، هُدى، هَدى) ليفيد التكرار بتنوع الاشتقاقات على أهمية طلب الهداية والحرص عليها.

- ورود لفظ الهداية اسما﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ الآية ٨٨ بضم الهاء وفعلا ﴿هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ الآية ٩٠ بفتح الهاء للتشويق ولفت الاهتمام.

- الإشارة بما يفيد بعد المنزلة والمكانة ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ٨٨، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ ٩٠. لتفيد أن من حرص على طلب الهداية والتعرض لها سيكون له حظه ونصيبه من علو الشأن عند خالقه جل في علاه. والله تعالى أعلم.

١٥٧٩. فيها، وبضميمة سابقتها: عظم شأن الهداية، والتوفيق إليها، والثبات عليها، والتحذير من خطر الضلالة والغواية؛ وجه ذلك، أن الله كرر ذكر الهداية مرارا وتكرارا؛ في ثنايا هذه الآيات. ولذا كان النبي يكثر من الدعاء لنفسه بالهداية، ويستعيذ من الضلال، كما كان يقول: "أعوذ بعزتك أن تضلني". فغيره أحوج. وقد أمرنا ربنا في صلواتنا أن نقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] والنصوص كثيرة. فاللهم اهدنا فيمن هديت.

١٥٨٠. فيها- وكما دلت الآيات السابقة -أن النبوة اصطفاء واختيار من الله لا اكتساب من العبد؛ ولذا فهدايتهم من الله﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ ﴾ لا من كسب أنفسهم كما تزعم الفلاسفة ومن تأثر بهم. وهذا على اعتبار أن الضمير في﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ راجع إلى الأنبياء المذكورين. لا إلى المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ لأنه لا يمكن أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بغير الأنبياء ممن هم دونه.

١٥٨١. تفيد: جواز اتباع الفاضل للمفضول؛ لأنه لا ريب أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – أفضل ممن سلف ذكره من الأنبياء – صلوت الله وسلامه عليهم أجمعين-. وكما صلى النبي مقتديا بأبي بكر في الصلاة؛ قال ابن الجوزي في زاد المسير – قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣] ملته: دينه.

١٥٨٢. فيما أمر باتباعه من ذلك قولان: أحدهما: أنه أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. والثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان، والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري

١٥٨٣. فيها دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق. أهـ

١٥٨٤. فيها إشارة إلى التواضع، وأن العبد مهما بلغ من العلم وعلو الشأن، لا يأنف ويتعالى أن يتبع غيره ممن هم دونه؛ في الحق والهدى والعمل الصالح.

١٥٨٥. فيها بيان أن الهداية بيد الله تعالى لإضافة الهدى إلى الله تعالى

١٥٨٦. فيها: أن أهل الهداية والقدوة والأسوة هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

١٥٨٧. فيها بيان أهمية القدوة الحسنة وأنه لا يستغني عنها حتى الأنبياء.

١٥٨٨. فيها: أهمية القدوة في الدعوة إلى الله، وفي حياة الناس عامة؛ لقوله: ﴿ ٱقۡتَدِهۡ ﴾؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فكم ممن لم يرد خيرا ولا شرا حتى

رأى غيره – لا سيما إن كان نظيره – يفعله ففعله! فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض. اهـ وحسبك أن الله أوصى نبيه وخليله محمدا – صلى الله عليه وسلم – الذي هو سيد ولد آدم، أن يقتدي بالأنبياء قبله؛ مع أنه أفضل منهم. وعليه: فعلى العبد أن يجد ويحرص أن يكون ممن يقتدى به في الخير. والحذر أن يكون قدوة في الشر؛ قال الله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص: ٤١].

١٥٨٩. فيها: استحباب الوصية باتباع أهل العلم والصلاح، والتأسي بهم؛ قال الطبري: ﴿ ٱقْتَدِهْ ﴾ يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى.

١٥٩٠. فيها: إذا كان هذا الأمر لخير الخلق فكيف بغيره، فلا اهتداء بغير هدى الله.

١٥٩١. فيها رد على من ترك السنة وعزف عن الاهتداء بهديه عليه الصلاة والسلام، فمتى أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاهتداء فنحن أولى بالاهتداء بسنته وهديه الذي هو هدى الله.

١٥٩٢. تفيد أن الدين بالاقتداء والاتباع لا الابتداء والابتداع؛ فالمؤمن يقتدي ولا يبتدئ، ويتبع ولا يبتدع، ويتمسك بالأثر والتأسي؛ لقوله: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ قال سفيان الثوري رحمه الله: إن استطعت ان لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل.

١٥٩٣. يفيد قوله ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ التناسب أيضا مع ما تقدم من الآيات؛ إذ الأمر بالاقتداء فيما سبق تفصيله من شأن الذين هداهم الله كالاقتداء بإحسانهم، وصلاحهم، وحذرهم وبعدهم عن الشرك، والقيام والرعاية لما أوكل إليهم من تبليغ شرع الله تعالى. والله أعلم.

١٥٩٤. فيها: أن شرع من قبلنا، شرع لنا؛ ما لم يأت دليل على نسخه.

١٥٩٥. فيها أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولذا كان تقييد الاقتداء بهداهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [الممتحنة: ١٢] ومفهومه أنه لا طاعة في غير المعروف. وحاشاه بأبي هو وأمي ونفسي أن يأمر بغير المعروف.

١٥٩٦. تفيد وضوح الحق وعدم خفائه ولبسه وذلك أن الله تعالى لا يأمر إلا باتباع ما هو بيّن للمُقتدين، وظاهر للسالكين، وحقٌ للمُتّبِعين.

١٥٩٧. في هذه الآية أن الاتباع والاقتداء يكون بالمنهج الحق لا بالأشخاص، حيث قال: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ وليس "فبهم".

١٥٩٨. فيها أن العلم قبل العمل؛ فلا يمكن الاقتداء بالهدى إلا بعد معرفته. فتعلم هداهم أولا.

١٥٩٩. فيها دليل على أن الدعوة السلفية الصحيحة هي التي تتبع منهج السلف الذين هدى الله، ومن أعظم مناقبهم أنهم لا ينتظرون أجراً من أحد.

١٦٠٠. فيها: أن على الداعية إلى الله عز وجل أن يحتسب أجره على الله جل وعلا ولا ينظر إلى حطام الدنيا ومتاعها الزائل.

١٦٠١. فيها تربية للدعاة أن يزهدوا في حطام الدنيا ويجعلوا طلب الأجر من الله هو قصدهم في دعوتهم.

١٦٠٢. تفيد: أن الناس يعزفون عن الداعي، إذا طلب بدعوته المال والدنيا؛ وتصديقه: ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴾ [القلم: ٤٦] فهم لأجله يعرضون عنك وعن دعوتك؟ فلذا أمر نبيه محمدا ﷺ أن يصرّح بعدم رغبته في المال مقابل دعوتهم؛ فأمره أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ [الشورى: ٢٣] أي مالا. ولذا نبهت الرسل أممهم على هذا لأهميته؛ كما قال - على لسان نوح - عليه السلام -: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٢٩] وقال على لسان هود: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [هود: ٥١].

١٦٠٣. فيها: ينبغي على الدعاة والعلماء عدم التشوف لما في أيدي الناس أو أن تكون دعوتهم وبذلهم للعلم إنما هو للدنيا ونيل المناصب والسعي إلى ملذاتها دون وجه الله وابتغاء الآخرة؛ فإن سعي الدعاة والعلماء للتكسب من دعوتهم وبذلهم للعلم يصرف عنهم الناس ويدفع عنهم القبول والاستجابة.

١٦٠٤. تفيد أن كل الشرائع دعت إلى عظيم المقاصد والمكارم وسمت عن السفاسف والخوارم.

١٦٠٥. فيها بيان شمولية رسالة القرآن وأنه هدى وذكرى للعالمين.

١٦٠٦. فيها: أن القرآن الكريم موعظة للناس أجمعين وهو الدال على صراط الله المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيْءٖۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]

١٦٠٧. فيها مناسبة لما قبلها؛ ووجهه: أنه ذكر الكتب، بعد الأمر بالاقتداء بالأنبياء قبله؛ للدلالة على أن هدايتهم كانت ببركة ما أنزل الله عليهم من كتب؛ كالتوراة؛ ولذا قال: ﴿نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾.

١٦٠٨. مناسبتها لما قبلها في قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيْءٖۗ﴾ وهذا تكذيب لله جل وعلا الذي قال في أنبيائه السابقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ والله أعلم.

١٦٠٩. تفيد أن إنكار الرسالات وإنكار الكتب المنزلة، اتهام لرب العالمين بأنه خلق الخلق سدى وهملا - سبحانه -؛ لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيْءٖۗ﴾ وإنما أنزل الكتب ليعبد الله؛ فيجازى المحسن والمسيء.

١٦١٠. فيها وجوب تعظيم الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به وتقديره حق قدره. وأجل التعظيم والتقدير هو توحيده والإيمان به والتسليم والانقياد لأمره ودينه وشرعه. ومن أشنع عدم تقديره

الشرك به وتكذيب أمره ودينه وشرعه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه الكلمة ذكرها الله في ثلاثة مواضع: في الرد على المعطلة، وعلى المشركين، وعلى من أنكر إنزال شيء على البشر، فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ وقال في الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ إلى قوله تعالى:﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: ٧٣ – ٧٤] وقال في الزمر:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]. (مجموع الفتاوى ٢٤/٨). وقال رحمه الله تعالى: والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ في ثلاثة مواضع؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله على رسله... وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار. فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره، كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته، وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى:﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨] وقال:﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] والمصدر هنا مضاف إلى المفعول، والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به، وحق تقاته التي أمركم بها، واقدروه قدره الذي بيّنه لكم وامركم به، فصدقوا الرسول فيما أخبر، وأطيعوه فيما أوجب وأمر. وأما ما يخرج عن طاقة البشر فذلك لا يذم أحد على تركه.. (مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠-١٦١)

١٦١١. فيها أن تعظيم الله تعالى وتقديره قدره يورث إجلاله والأدب معه جل في علاه.

١٦١٢. تفيد عظمة الرب جل وعلا، وقدره العظيم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دلت الآية على أن له قدرا عظيما، لا سيما قوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من آمن بأن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره.. (مجموع الفتاوى ١٣/١٦٤)

١٦١٣. تفيد أن اليهود ما قدروا الله حق قدره حين أنكروا إنزاله الكتب ليصلوا إلى إنكار إنزال القرآن.

١٦١٤. فيها الرد على اليهود من مقررات عقيدتهم فهم يؤمنون بالتوراة وأنها أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام فكيف يقولون: ما أنزل الله على بشر من شيء وهذه الصيغة تقتضي العموم لورود النكرة (شيء) في سياق النفي.

١٦١٥. تفيد: أن الله ما أنزل كتابا على جان، وإنما ينزل الكتب على البشر فحسب. وجه الدلالة، أنه سكت عن قولهم ﴿ بَشَرٍ﴾ وإنما رد عليهم ونفى عدم نزول الكتاب وضرب مثالا بموسى؛ فلو كان ينزل الكتاب على الجن لما سكت عن قولهم، ولزادهم في الرد لتتوالى الحجج عليهم. وعليه: فليس في الجن رسل.

١٦١٦. فيها أن الإيمان بما أنزل الله على رسله وأشرفها القرآن هو من أعظم مظاهر تعظيم وتوقير الله تعالى.

١٦١٧. فيها جواز رد الدعاوى الباطلة؛ لقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾.

١٦١٨. تفيد: أن النبي ﷺ ليس ﴿ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٩ وليس أول من أنزل عليه الكتاب؛ لقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ ثم قال:﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ قال القرطبي: أي قل يا محمد الله الذي أنزل ذلك الكتاب على موسى وهذا الكتاب علي.

١٦١٩. تفيد إثبات صفة العلو للعلي الغفار؛ لقوله:﴿ أَنزَلَ ﴾ والنزول لا يكون إلا من علو.

١٦٢٠. فيها: أن القرآن شرف، رفع الله به هذه الأمة؛ لقوله: ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ بالقرآن ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم، وما هو كائن يوم القيامة. وتصديقه:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] عن الشكر.

١٦٢١. فيها فضل الله تعالى على العرب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم.

١٦٢٢. فيها: وجوب الإيمان بالتوراة، وأنها نور وهدى؛ نور من ظلمات الكفر والجهل، وهدى وعصمة من الضلال؛ وتصديقه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾ [المائدة: ٤٤].

١٦٢٣. تفيد: وجوب الإيمان بالرسالات، والكتب المنزلة وبكل ما فيها؛ جملة وتفصيلا.

١٦٢٤. فيها وعيد لمنكري النبوة والرسالة.

١٦٢٥. فيها ذم اليهود حيث لم يظهروا من التوراة إلا ما يوافق أهواءهم وكتموا ما يخالفها كصفة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٦٢٦. فيها إثبات تحريف اليهود للتوراة وأن ما في أيديهم مما يسمونه بالعهد القديم لا يمثل التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام لتصرف اليهود في كتابهم﴿ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ ﴾.

١٦٢٧. فيها أن يهود أئمة في الكفر؛ أئمة في إلقاء الشبهات.

١٦٢٨. فيها تقريع وتبكيت لليهود.

١٦٢٩. فيها: أن اليهود، أهل غش وخديعة وكتمان؛ كما فعلوا في آية الرجم.

١٦٣٠. فيها: حرمة كتمان واخفاء ما يحتاج إليه من العلم، وأن هذا تشبه باليهود؛ لقوله: ﴿ وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ ﴾.

١٦٣١. فيها التحذير من منهج اليهود الانتقائي ﴿تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البقرة: ٨٥] وقد وقع بعض هذه الأمة فيما وقع فيه اليهود.

١٦٣٢. فيها إشارة إلى فضيلة العلم والعلماء فقد امتن الله عليهم بتعليمهم ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾.

١٦٣٣. فيها: بيان لفضل الله وتمننه على عباده، بأن علمهم ما كانوا يجهلونه؛ لقوله: ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ﴾ ونظيره: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣] وعليه: فعلى العبد أن يحمد ربه، أن علمه بعد جهل، ولولا فضل الله عليه، لما تصدر لفتوى ولا لتدريس.

١٦٣٤. فيها رد على الذين يذكرون الله تعالى بالاسم المفرد؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن زعم أن هذا ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر، فهم ضالون غالطون. واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ من أبين غلط هؤلاء، فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام. وهو قوله: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام، كما في نظائر ذلك تقول: من جاره فيقول: زيد.. (مجموع الفتاوى ١٠/٢٢٦)

١٦٣٥. فيها: أن إنكار الكتب والرسالات، استهزاء بالله؛ لقوله: ﴿ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ يريد: يستهزئون.

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٢]

١٦٣٦. فيها: رد على من قال: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ وعليه: ففيها مناسبة لما قبلها.

١٦٣٧. فيها: تصديق لنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –، حيث، أخبر عن القرآن أنه "كتاب"، ولم يكتب كله بعد وقت نزول هذه الآية، وإنما كتب وجمع كله لاحقا.

١٦٣٨. فيها التنويه بعظمة المنزل – بكسر الزاي – والمنزل – بفتحها – حيث عبر بنا الدالة على التعظيم "أنزلناه" والقرآن الكريم أعظم الكتب المنزلة فهو الكتاب المبارك الذي صدق ما قبله من الكتب وهيمن عليها.

١٦٣٩. تفيد تعظيم الرب جل وعلا.

١٦٤٠. تفيد إثبات صفة العلو للعلي العظيم؛ لأن النزول لا يكون إلا من علو.

١٦٤١. فيها: وصف الله تعالى كتابه بأنه مبارك. والبركة تتناول الكثرة والنماء والخير وقد اجتمع كل هذا في هذا الكتاب العظيم. ووصف الكتاب لأنه مصدق الذي بين يديه وهذا التصديق إنما هو للحق الذي في الكتب السابقة فالقرآن يصدق ما فيها من حق ويبطل ما دخل عليها من تحريف.

١٦٤٢. تفيد: أن كتب الله، يصدّق بعضها بعضا فهي من مشكاة واحدة.

١٦٤٣. فيها: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – منذر؛ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧].

١٦٤٤. تفيد أن مكة تسمى بـ " أم القرى" .

١٦٤٥. فيها دلالة على تعظيم أم القرى مكة المكرمة؛ فتسميتها بأم القرى دليل على فضلها وعلو منزلتها على سائر القرى.

١٦٤٦. فيها إشارة إلى: أن مكة، مركز ووسط الأرض؛ لقوله: ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ يريد: مشارق الأرض ومغاربها. فدعوة النبي ﷺ عامة للعالمين.

١٦٤٧. تفيد: أن النبي يبعث البلد الأم؛ لمصالح عظيمة لا تخفى.

١٦٤٨. فيها: الإيمان بالآخرة، يوجب الإيمان بالكتب؛ لقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

١٦٤٩. تفيد أن الكفر بالآخرة سبب للتكذيب بالقرآن الكريم.

١٦٥٠. فيها: أن الإيمان قول وعمل، واعتقاد.

١٦٥١. فيها بيان الترابط بين شعائر الإيمان من الايمان بالكتب والإيمان باليوم الآخر وبين شعائر الإسلام كالمحافظة على الصلاة.

١٦٥٢. تفيد مكانة ومنزلة الإيمان باليوم الآخر؛ ولذا ربط هنا الإيمان بالآخرة بالإيمان بالقرآن والمحافظة على الصلوات. وكما جاء في العديد من الآيات عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله، وربط الأحكام العملية بذلك الإيمان الغيبي.

١٦٥٣. تفيد: أهمية الصلاة، والمحافظة عليها، وأن لها تأثيراً في الاعتقاد.

١٦٥٤. تفيد أن المحافظة على الصلاة من الإيمان.

١٦٥٥. فيها: أن العبادات لا تسقط على أحد أبدا، حتى يتوفاه الله؛ لقوله:﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ ولم يحدد إلى متى، ولم يحدد إلى بلوغ منزلة معينة؛ وتصديقه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

١٦٥٦. ففيها رد على الزنادقة الذي يقولون: تسقط التكاليف عن الولي إذا بلغ كذا وكذا من المنزلة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

١٦٥٧. فيها: مناسبة لما سلف، وفيها: نظم بديع؛ فإنه تعالى لما ذكر جحودهم للكتب والرسالات:﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ ذكر ورد أنه أنزل الكتاب على موسى، ثم قابل الجاحدين للرسالات بالمثبتين لها على جهة الكذب والإدعاء؛ فقال:﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ وعليه: فالناس في النبوات، فريقان ووسط؛ منهم من كذب بها مطلقا، ومنها من أثبتها حتى لنفسه أو في شخص لم يسمه الله لنا، والحق الوسط وهو ما أخبرنا به الله، وما ختم به وأغلق به الباب ببعثة محمد – صلى الله عليه وسلم –.

١٦٥٨. فيها من المناسبة أنه لما ذكر الله تعالى تكذيب المشركين بالوحي في الآية السابقه. وادعاءهم بأنه ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ ناسب أن يذكر من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ لتأكيد صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الوحي فإن حكمة أحكم الحاكمين تأبى أن

يدعي مدع كاذب هذه الدعوى ثم لا يكشف الله ستره ويفضح ادعاءه ولكن تأييد الله له بإقامة حجته وإظهار برهانه دليل على أنه صادق في دعواه وأنما أنزل إليه وحي من الله.

١٦٥٩. تفيد: شناعة الكذب وقبحه وخاصة الكذب على الله عز وجل.

١٦٦٠. تفيد: أنه لا أحد أظلم ممن يكذب على الله عز وجل.

١٦٦١. تفيد خطر الكذب على الله عز وجل، وكثرة ضرره؛ قال السعدي: "وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله –ما هو من أكبر المفاسد. ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه – مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه- يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم. ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

١٦٦٢. تفيد تحريم الكذب على الله عز وجل وعظمه؛ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

١٦٦٣. فيها: أن إنكار الكتب والرسالات، أو إثباتها لمن لم يسمه الله، "ظلم" عظيم؛ لأنه ذكر الظالمين في سياق الحديث عن هؤلاء المكذبين.

١٦٦٤. فيها خطورة ادعاء النبوة.

١٦٦٥. فيها إشارة إلى عظم شأن النبوة، وأنها فضل من الله عظيم، يصطفي بها من شاء من عباده.

١٦٦٦. تفيد: ظلم من يشرع قوانين يضاهي بها تشريعات الله التي أنزلها في كتابه.

١٦٦٧. فيها بيان أعداء الرسل والأنبياء؛ فقد ذكر سبحانه من يفتري الكذب على الله، ومن يقول إنه يوحى إليه، ومن يزعم أنه يقول كلاما مثل الكلام الذي أنزله الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل. فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه، إما أن

يقول: إن الله أنزله علي فيكون قد افترى على الله، أو يقول: أوحي إليه ولم يسم من أوحاه، أو يقول: أنا أنشأته، وأنا أنزل مثل ما أنزل الله، فإما يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد. وهذه الأقسام الثلاثة هم شياطين الإنس والجن، الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٠ – ٣١]. (مجموع الفتاوى ١٥/١٥٦).

١٦٦٨. تفيد إعجاز القرآن، وأنه لا يقدر أحد على معارضته أو الإتيان بمثله.

١٦٦٩. تفيد إثبات علو الله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ والنزول لا يكون إلا من علو.

١٦٧٠. تفيد: بيان ما أعده الله عز وجل للظالمين من العقوبة في حال الإحتضار، ويوم القيامة.

١٦٧١. تفيد تحريم الظلم وسوء عاقبته وأنه من أسباب العذاب الأليم في البرزخ.

١٦٧٢. فيها: بيان شدة وعظم وأهوال وكرب سكرات الموت.

١٦٧٣. تشير الآية إلى أهمية الاعتبار بالموت وسكراته، وما يتقدمه من شدائد الآلام، مما يحل بالظالمين عند الموت.

١٦٧٤. تفيد: أن للموت غمرات: أي سكرات. ولكن شتان بين سكرات الكافرين، وسكرات الموحدين.

١٦٧٥. فيها ذكر الملائكة، فيجب الإيمان بهم.

١٦٧٦. فيها أن من الملائكة من وكلهم الله بنزع أرواح المجرمين بشدة وغلظة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١].

١٦٧٧. تفيد: أن الملائكة تخاطب الميت. والشواهد كثيرة.

١٦٧٨. تفيد: أن للملائكة "أيدي"، ونظيره: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ [عبس: ١٥].

١٦٧٩. فيها: جواز التعبير عن الضرب بالبسط لقوله:﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني بالضرب؛ وهنا نكتة بلاغية: عبر بالبسط عن الضرب، للإشارة إلى: استمرار الضرب، فلا تكاد الملائكة من كثرة الضرب وتواليه، أن تضم أيديها.

١٦٨٠. قوله تعالى:﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ دل على وجود النفس التي تخرج من البدن، وقوله:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ دل على وقوع الجزاء عقب الموت. وقال تعالى في الأنفال:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠ – ٥١] وهذا ذوق له بعد الموت. (مجموع الفتاوى ٤/٢٦٦-٢٦٧).

١٦٨١. تفيد: أن روح المؤمن تنشط للخروج من البدن، حبا في لقاء الله؛ لقوله عن هؤلاء الكافرين: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ فتخرجها مكرهة رغما عنها، وكارهة للقاء الله؛ ومفهومه: أن أرواح المؤمنين تنشط للخروج راضية مرضية. قال البغوي في قوله:﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ أي أرواحكم كرها، لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربها.

١٦٨٢. استدل العلماء بالآية على إثبات عذاب القبر. قال السعدي: في قوله:﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ فيه دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده.

١٦٨٣. تفيد أن العذاب مع غلظه وشدته مصحوب بالإهانة؛ لقوله:﴿ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ قال البغوي: أي: الهوان.

١٦٨٤. فيها: سكرات الموت مشهد عظيم وهول كبير على الظالمين.. وقد أبهم جواب "لو" ليذهب السامع في تقدير هوله وفظاعته كل مذهب.

١٦٨٥. يؤخذ منها أن تعظيم الله واتباع آياته والخضوع لأمره سبب في حسن الخاتمة والنجاة من عذاب الهون.

١٦٨٦. فيها أن أكبر اسباب عذاب الهون الذي سيلقونه أنهم قالوا على الله غير الحق بأنهم يوحي إليهم، والثاني استكبارهم عن آياته ودعواهم بأنهم يستطيعون الاتيان بكلام مثل القرآن.

١٦٨٧. تفيد: أن الكافر يجمع بين التكذيب، والاستكبار: لقوله:﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

١٦٨٨. فيها: بيان لعدل الله، وأنه لا يعذب إلا بسبب؛ لقوله:﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

١٦٨٩. فيها أن الجزاء من جنس العمل؛ ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل.

١٦٩٠. تفيد أن آيات الله عز وجل يجب أن تقابل بالتصديق والإذعان لا بالاستكبار والكفران؛ لقوله:﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

١٦٩١. تفيد: شناعة الاستكبار وقبحه وعظيم جرمه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

١٦٩٢. فيها مع ما قبلها: عظة وتذكير لمدعي النبوة، وأن العرض الدنيوي الذي لأجله كفر وكذب على الله؛ لا ينفعه، وإنما سيفد على الله فردا؛ لقوله:﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ لا مال معكم ولا جاه.

١٦٩٣. تفيد أن الله تعالى خالق الخلق أجمعين وهو القادر على جمعهم وحسابهم.

١٦٩٤. فيها إثبات البعث بعد الموت.

١٦٩٥. فيها المبالغة والتأكيد على البعث بعد الموت؛ لقوله:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ فأتى بلام القسم، وأتى ب"قد" الدالة التحقيق، وحديثه عن المستقبل بصيغة الماضي؛ لقوله:﴿ جِئْتُمُونَا ﴾ لأنه قريب واقع لا محالة؛ قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١].

١٦٩٦. فيها: إشـــارة إلى أهوال وفزع القيامة؛ لقوله:﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يريد: عراة؛ فلو كان الناس يشغلهم شيء من ذلك، لسترهم؛ لأنه يحب الستر والتستر؛ فدل على أن "الأمر أشد من ذلك يا عائشة"؛ وإن الله لحيي كريم.

١٦٩٧. فيها: لن ينفع الإنســان إلا عمله فإنه ســيأتي الله فردا بعيدا عن أهله وماله وعشــيرته وكل ما خوله الله في الدنيا.

١٦٩٨. فيها: تعظيم الله؛ لقوله: ﴿ مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ والجمع للتعظيم.

١٦٩٩. فيها بيان حقارة الدنيا ومتاعها ﴿ خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾.

١٧٠٠. تفيد: تعييرا للمشركين القائلين: ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥] قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم.

١٧٠١. فيها: أن المال، مال الله؛ فليؤدي حق الله فيه، ولينفق فيما أحل وأذن.

١٧٠٢. فيها الارشــاد إلى عدم الاغترار بملذات الحياة الدنيا، والاهتمام بما ينفع في الآخرة من أعمال صالحة.

١٧٠٣. فيها: تذكير بضـعف الإنســان، وأن الأصـل فيه أنه معدوم؛ فكل ما بين يديه طارئ عليه.

١٧٠٤. فيها من رحمة الله بعباده أنه يرزق وينعم على البار منهم والفاجر في الدنيا.

١٧٠٥. تفيد أن اتخاذ الشفعاء من دون الله عز وجل وعبادتهم: شرك؛ لقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقد وقع في ذلك كثير ممن يعبد الصالحين.

١٧٠٦. تفيد توقيف على الخطأ في عبادة الأوثان وتعظيمها.

١٧٠٧. تفيد ضلال المشركين وضياعهم يوم القيامة إذا تقطعت بينهم وبين من عبدوهم الأسباب؛ لقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وقد صوّر القرآن هذا الأمر كأنه رأي عين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٨٦ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٦ – ٨٧].

١٧٠٨. فيها: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي تقطع الوصل الذي كان بينكم وبين شفعائكم الذين عبدتموهم من دون الله فلا هم أقروا بعبادتكم لهم ولا أنتم استفدتم من عبادتهم شيئا.

١٧٠٩. فيها: التوبيخ والتأنيب لأولئك المكذبين الظالمين حيث يردون على الله فرادى ليس معهم شفيع ولا حميم يطاع.

١٧١٠. تفيد: أن الله لا يغيب؛ لقوله: ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ غاب عنكم؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

١٧١١. تفيد أن الشرك باطل لا يقوم على شيء من حجة أو برهان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]

١٧١٢. فيها: مناسبة لما قبلها بالتعريض بمعبودات المشركين، وأنها لا تفعل شيئا من ذلك. قال السمرقندي في بحر العلوم: فذكر عيب آلهتهم، ثم دل على وحدانيته بصنعته، وقال القرطبي: عد

من عجائب صــنعه ما يعجز عن أدنى شــي منه آلهتهم. قال مكي في الهداية: معنى الآية: أنها تنبيه لهؤلاء المشركين على قدرة الله، وأن ما يعبدون لا يقدر على ذلك.

١٧١٣. تفيد أن الله تعالى وحده هو القادر على إخراج الميت من الحي والحي من الميت وأن تلك الآلهة عاجزة عن ذلك..

١٧١٤. تفيد: أن من خلق، هو أحق أن يُعبد.

١٧١٥. تفيد: أن الله لا يعجزه شيء، لعظمته وعلمه وقدرته وكماله.

١٧١٦. تفيد الدلالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته بما يؤكد وحدانيته جل وعلا وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

١٧١٧. تفيد أنَّ المَقْصُودَ الأعْظَمَ هو مَعْرِفَتُهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بِجَمِيعِ صِفاتِهِ وأفْعالِهِ، وأنَّهُ مُبْدِعُ الأشْياءِ وخالِقُها وعبادته وحده.

١٧١٨. تفيد أنَّ الحَيَّ والمَيِّتَ مُتَضادّانِ مُتَنافِيانِ، فَحُصُولُ المِثْلِ عَنِ المِثْلِ، يُوهِمُ أنْ يَكُونَ بِسَبَبِ الطَّبِيعَةِ والخاصِّيَّةِ. أمّا حُصُولُ الضِّدِّ مِنَ الضِّدِّ فَيَمْتَنِعُ أنْ يَكُونَ بِسَبَبِ الطَّبِيعَةِ والخاصِّيَّةِ. بَلْ لا بُدَّ وأنْ يَكُونَ بِتَقْدِيرِ المُقَدِّرِ الحَكِيمِ، والمُدَبِّرِ العَلِيمِ.

١٧١٩. فيها دليل على صحة البعث بعد الموت لأن القادر على إخراج البدن من النطفة قادر على إخراجه من التراب للحساب.

١٧٢٠. تفيد: حرمة الانصراف والإعراض عن الحق بما تبين وظهر؛ لقوله:﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ قال الواحدي في الوجيز: فمن أين تنصرفون عن الحق بعد البيان.

١٧٢١. فيها تعريض بعقول المشركين، وأنهم لا يعقلون ولا يميزون.

١٧٢٢. تفيد غباء الذين ينصرفون عن الحق ولا يتدبرون آيات الله في الكون.

قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

[الأنعام: ٩٦]

١٧٢٣. تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها؛ فلما ذكر تعالى مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلقه كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح.

١٧٢٤. فيها: مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ وذلك من وجوه: منها: أنه - تعالى ذكره - أخبر قبلها أنه يشق الحبة والنوى على صغر حجمهما، أخبر بعدها أنه يشق الإصباح؛ الذي به تضيء الأرض، ويســتنير الأفق. ووجه آخر: ليخبر جل وعلا أن الكل عنده ســواء؛ فقدرته على الشمس والقمر، كقدرته على الحب والنوى.

١٧٢٥. فيها: بيان لشــرف وقت الإصــباح؛ ولم لا، وهو وقت صــلاة الفجر، ووقت شــهود الملائكة.

١٧٢٦. تفيد أن الظلمة عدم والنور وجود. والإيجاد هو مظهر القدرة، ولا يكون العدم مظهرا للقدرة إلا إذا تسلط على موجود وهو الإعدام. (التحرير والتنوير).

١٧٢٧. تفيد أن الســعي وطلب الرزق في الصــباح، أما الليل فهو راحة للأبدان، وســكون للإنسان.

١٧٢٨. فيها: أهمية الســكون، وحاجة الخلق إليه. ولولا فضــل الله لظل الناس يتحركون حركة دائبة لا تفتر؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

١٧٢٩. تفيد: دقة خلقة وتمام صنعه في جعله سير الشمس والقمر بحساب دقيق لا يزيد ولا ينقص.

١٧٣٠. فيها: من فوائد جعل الشــمس والقمر حسبانا أن تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضــى من الأوقات التي لولا وجود الشـمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما - لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه،

بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت.

١٧٣١. تفيد: كمال قدرته سبحانه وتعالى فهو العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال خلقه وحاجاتهم حيث سخر لهم هذه المخلوقات لمصالحهم وتصريف أحوالهم.

١٧٣٢. فيها: من الأدلة العقلية على إحاطة علمه: تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تحيُّرُ العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم. (السعدي).

١٧٣٣. فيها إشارة إلى يوم القيامة والبعث والمعاد، وأن لكل شيء أجل ينتهي عنده، لقوله: ﴿حُسۡبَانٗا﴾ قال الطبري: وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها.

١٧٣٤. فيها: اسما الله، العزيز والعليم.

١٧٣٥. فائدة التذييل بقوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ فيه إشارة إلى عظمة ما ذكر وهما {الشمس والقمر}، ومع ذلك نبه أنه ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا يمانع، فهما مسخران بأمره كما قال: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [الأعراف: ٥٤] فما علا الشيء وعظم فهو ذليل منقاد لله جلا وعلا. وقوله: ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ أي عليم بكل شيء عامة، وعليم كيف يفنيهما كما أنشأها خاصة، فهو العليم بكنه الاشياء. قال السعدي: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]

١٧٣٦. فيها: مناسبة لما قبلها، وفيها نظم بديع؛ فإنه - تعالى ذكره - لما أخبر أنه فالق الاصباح، وجاعل الليل للسكون، أخبر ونبه أنه جعل ما يهتدي به الناس في الليل؛ وكأنه يقول: لا تقلقوا وإن دخل الليل، فقد جعلت لكم ما تهتدون به في الظلمات؛ لأننا نعلم أن منكم أخرين يضربون في الأرض بالليل.

١٧٣٧. تفيد مع ما قبلها أن النجوم نجومان: نجوم أرضية ونجوم سماوية؛ وفي تقديم النجوم الأرضية ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ على النجوم السماوية إشارة إلى قوة وأفضلية النجوم الأرضية على النجوم السماوية.

١٧٣٨. تفيد أن الالتفات إلى نعم المنعم مما يعين على شكره.

١٧٣٩. فيها دلالة على طلاقة قدرة الله تعالى المبهرة للعقول والمحيرة للأفكار.

١٧٤٠. فيها تحبب الله تعالى إلى عباده بنعمه العظيمة التي تدلهم عليه وتعرفهم به.

١٧٤١. فيها: استعمال اسم الموصول في قوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ﴾ يشعر بالتفخيم والتعظيم؛ وهذه من النكت البلاغية التي يفيدها اسم الموصول كما قال الأخضري في الجوهر المكنون: وكونه بالوصل للتفخيم.

١٧٤٢. فيها: تعريض بمعبودات المشركين؛ أفاده الحصر في قوله؛ ﴿ وَهُوَ ﴾ وحده.

١٧٤٣. تدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة؛ لقوله:﴿ جَعَلَ لَكُمُ ﴾.

١٧٤٤. تفيد: أن النجوم مسخرة منقادة لأمر ربها. وعليه: ففيها تعريض بعباد النجوم.

١٧٤٥. فيها الإشارة إلى بعض فوائد النجوم وهي الاهتداء بها في الظلمات.

١٧٤٦. تفيد أن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة؛ لقوله تعالى:﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا ﴾.

١٧٤٧. تفيد الحث على البحث في الآيات الكونية ومنها النجوم بهدف الاستفادة منها في الحياة؛ ﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾ كما أفادت الدراسات الفضائية الحديثة في مجال الاتصال والمعلومات وغيره.

١٧٤٨. تفيد: أن التنصيص على فائدة الشيء من جهة بعينها، ليست دلالة على الحصر ونفي ما عدها من فوائده الأخرى. وكذا عند الحديث عن مناقب الناس وفضائلهم؛ لأنه لم يعن بقوله:﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾ نفي ما عدا ذلك من منافع النجوم الأخرى؛ فهي أيضا {رجوما للشياطين}، و"زينة للسماء".

١٧٤٩. فيها جواز تعلم علم النجوم (التسيير) دون (التأثير)؛ قال السعدي: دلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك.

١٧٥٠. استدل بها: على الاجتهاد في تحري القبلة عند الصلاة، لمن لم ير البيت، وكان عالما بالنجوم.

١٧٥١. تفيد: "قاعدة سد الذرائع"؛ وجه ذلك: أنه - تعالى - نبه على أن النجوم تهدي في ظلمات البر والبحر، ولو شاء لاكتفى بقوله:﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا ﴾ ولكنه قيد الهداية سدا لذريعة الشرك، وادعاء علم الغيب؛ فبين أنه جعلها هداية من ضلال الطريق في البر والبحر، وليس المراد يهتدون بها في علم الغيب- سبحانه {علام الغيوب} وحده.

١٧٥٢. تفيد: أهمية التقديم والتأخير في الخطاب؛ فيقدم ما يحتاج إليه، وما يشاهد ويخالط على غيره؛ لأنه قدم البر على البحر؛ لما سلف.

١٧٥٣. فيها التنبيه إلى أنه كما جعل تعالى لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فقد جعل لكم القرآن لتهتدوا به في ظلمات الشرك. ولذلك قال تعالى:﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

١٧٥٤. فيها: أن النظر في آيات الله الكونية من أسباب الهداية.

١٧٥٥. تفيد أن العبد محتاج إلى الهداية الروحية أو الكونية؛ وفي أي زمان ومكان؛ وعليه أن يسعى إلى طلب الحصول عليها من خالقه بالدعاء والابتهال؛ ثم ممن آتاه الله العلم والفهم بالتتلمذ والتعلم على يديه.

١٧٥٦. فيها تعظيم الله تعالى وذلك في إخبار الله تعالى عن نفسه بنون العظمة: ﴿ فَصَّلْنَا ﴾.

١٧٥٧. تفيد عظم آيات الله وبيانها وتفصيلها وظهورها؛ لقوله: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ ﴾.

١٧٥٨. فيها: أهمية العلم.

١٧٥٩. تفيد أن تفصيل العلم مما يقربه للفهم ويدنيه للعقل.

١٧٦٠. تفيد: أهمية تبيين العلم، وتوضيحه، وتيسيره على الناس؛ كي لا يلتبس عليهم. وعليه: فعلى العبد ألا يتكلف في تعليمه للناس، ويأتي بما لا يفهم {إلا بشق الأنفس}.

١٧٦١. تفيد: ذم الجهل بالله وبصفاته.

١٧٦٢. فيها: آيات الله تعالى نوعان: كونية. وشرعية. والتأمل فيهما مما يزداد به علم العبد بربه تعالى؛ ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

١٧٦٣. تفيد: أن آيات الله ظاهرة بينة واضحة؛ لا يجحدها إلا ظالم مكابر؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾

[الأنعام: ٩٨]

١٧٦٤. تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فبعد أن فصلت الآية السابقة آية عظيمة من آيات الله تعالى في الآفاق؛ جاءت هذه الآية الكريمة لتفصل آية عظيمة من آيات الله في النفس البشرية؛ وفي ذلك تصديق لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

١٧٦٥. تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكرت الآية السابقة ظلمات البر والبحر جاءت هذه الآية الكريمة لتشير إلى ظلمات تعانيها الأنفس قبل ايجادها في هذا الكون؛ ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ فيا ترى من يهدي هذه النفس البشرية الضعيفة في تلك المراحل من الظلمات؟ أليس هو الله؟ إذن فلتطلب الهداية منه سبحانه وتعالى في كل مرحلة من مراحل حياة العبد.

١٧٦٦. فيها: الحجة الدامغة والبرهان الواضح على تفرده سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد فهو الإله الواحد الذي يستحق العبادة والخضوع والانقياد لأمره سبحانه وتعالى.

١٧٦٧. تفيد وجوب إفراده جعل وعلا بالعبادة، لأن من خلق وأحاط بهم علما وإليه منقلبهم هو الذي يستحق العبادة.

١٧٦٨. فيها عظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه حيث خلق الخلق من أبيهم آدم وجعل لهم ما يستقرون فيه كأرحام أمهاتهم ومستودع كأصلاب آبائهم.

١٧٦٩. فيها: تذكير بأن الإنسان لم يكن شيئا؛ لقوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾.

١٧٧٠. فيها: الإنشاء والخلق يشتركان في أصل معنى الإيجاد، لكن أنشأ فيها زيادة علم؛ للدلالة أنه لم يقلد أحدا كما قال: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧] والدلالة على زيادة في التراكيب، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨] فهذا خلق وزيادة.

١٧٧١. فيها: إشارة إلى التذكير بيوم المعاد وحشر الناس ونشرهم؛ فإن الذي خلقهم من نفس واحدة، قادر أن يبعثهم كنفس واحدة؛ وتصديقه: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].

١٧٧٢. فيها: مظهر من مظاهر قدرته عز وجل الباهرة ولطفه وجميل إحسانه.

١٧٧٣. تفيد أن خلق الإنسان نعمة عظيمة تستحق الشكر.

١٧٧٤. فيها حث على التفكر في آيات الله، لأنها تدل على وحدانيته.

١٧٧٥. فيها أن تكرار النظر والتذكير بالعبر مما يذهب غشاوة البصر.

١٧٧٦. فيها أن التفات الإنسان إلى أصله مما يعينه على معرفة ربه ويبصره بضعف خلقه وعظيم فقره وذله.

١٧٧٧. فيها: رد على الملاحدة والدهريين.

١٧٧٨. فيها: بيان لعلم الشامل الكامل؛ لقوله:﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ يريد: ومنكم مستودع في الصلب ولم يخلق بعد؛ ومع ذلك يخاطبهم على أنهم أحياء وهم لم يخلقوا بعد. فسبحان ربي.

١٧٧٩. فيها: أنه لا حجة لكافر على ربه؛ لأنه فصل الآيات وبينها بيانا واضحا شافيا كافيا.

١٧٨٠. فيها: تعظيم الله، لقوله:﴿ فَصَّلْنَا ﴾ والجمع للتعظيم.

١٧٨١. تفيد رحمة الله تعالى بعباده حيث فصل لهم الآيات ليفقهوا ويهتدوا.

١٧٨٢. تفيد أن الله تعالى جعل كتابه محكم ومفصل لحكم كثير من ذلك ما نص عليه هنا.

١٧٨٣. تفيد أهمية تفصيل الحج والبينات للناس حتى يعرفوا الحق والهدي.

١٧٨٤. فيها: بيان فضل الفقه عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

١٧٨٥. تفيد منزلة ومكانة الفقه في الدين الذي يقوم على معرفة دقائق الأمور.

١٧٨٦. فيها أن من أعظم طرق الفقه إعمال الفكر والنظر في الآيات الكونية والشرعية.

١٧٨٧. تفيد دقة النظم وروعة العبارة؛ حيث ذيلها بذكر "الفقه" دون غيره، فقال:﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ يريد: لعلهم يستدلون بهذا على إفرادي بالعبادة؛ فمن أنشأ من عدم وأبدع وحده، هو المستحق بالعبادة وحده؛ لأن الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره، والعلم ما يعرف نفسه؛ ولهذا لا يقال: الله فقيه، وإنما يقال: عالم؛ لأنه عالم بالأشياء بذاته لا بأشباهها ونظائرها، والفقيه: هو الذي يعرف الأشياء بأغيارها ونظائرها ودلائلها.

١٧٨٨. تفيد التعريض بمن لا يتدبرون القرآن ولا يتفكرون في مخلوقات الله تعالى وآياته في الآفاق والأنفس.

١٧٨٩. تفيد: أن الكافرين لا يفقهون.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]

١٧٩٠. فيها وبضميمة ما قبلها: إشارة إلى: اختلاف الناس في خَلقهم وخُلقهم؛ فمنهم الطويل والقصير كما أن في النخل الطوال والقصار ومنهم القريب السهل ومنهم البعيد الجافي. وكما أنهم مشتبهون في أصل الخلق، فهم غير مشتبهين في الخُلق واللون والطباع؛ وتصديقه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨].

١٧٩١. تفيد التذكير بنعم أخرى من المنعم جل وعلا على عباده بعد أن ذكرهم بنعمة الخلق، ذكرهم بالنعم التي لا تقوم حياتهم إلا بها وهي نعمة الماء الذي منه كل حي والطعام المختلف الأنواع والطعوم والألوان.

١٧٩٢. فيها: إشارة إلى البعث؛ لقوله قبلها: ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ﴾ في القبر حتى يبعثه الله لنشر القيامة؛ وكأنه يقول: إن الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء، قادر أن يبعثكم ويحييكم، وبأن ينزل على عجب الذنب ماء فتنبتون كما ينبت البقل؛ وعليه: ففيها مناسبة لما قبلها.

١٧٩٣. فيها: بيان منن الله عز وجل وعطاياه الجزيلة من إنزال الماء من السماء لتحيا به الأرض وتنبت من كل زوج بهيج.

١٧٩٤. فيها: تعريض بمعبودات المشركين، وعجزها عن فعل شيء من ذلك؛ لإفادة الحصر في قوله: ﴿وَهُوَ﴾ وحده.

١٧٩٥. فيها دلالة على علو الله تعالى.

١٧٩٦. تفيد أن السماء تطلق على العلو أيضا؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من العلو، مع قطع النظر عن جسم معين.. (منهاج السنة ٥/٤٤٠).

١٧٩٧. فيها أنه سبحانه وتعالى جعل خصائص حياة الكائنات في الماء المنزل من السماء كما قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

١٧٩٨. فيها: الالتفات إلى التكلم إظهار لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله.

١٧٩٩. التعبير بالفاء في هذه المخرجات يدل على التعقيب وتعقيب كل شيء بحسبه.

١٨٠٠. في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ... فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ... نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ دلالة واضحة على أن إخراج النبات مما اختص به سبحانه ولا يقدر عليه أحد سواه. فالالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم يدل دلالة واضحة على ذلك.

١٨٠١. فيها أنه ينبغي استشعار عظمة الله تعالى ولهذا عبر عن ذلك بضمير الجمع.

١٨٠٢. تفيد عظمة الخالق القدير العليم المبدع ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأنواع التي لا يحصي عددها غيره دعك من شكلها وتنوع ثمارها وآثارها ومنافعها.

١٨٠٣. فيها: جملة ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ صفة لقوله: ﴿خَضِرًا﴾. وعبر عنها بصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة لأن إخراج الحب المتراكب من هذا الخضر الغض يدعو إلى التأمل والإعجاب بمظاهر قدرة الله.

١٨٠٤. تفيد أهمية النظر والاعتبار في هذا الحب المخرج المتراكب بعضه على بعض بصورة عجيبة محيرة من الذي أخرجه ونظمه وعدد منافعه؛ حبا متراكبا في سنابل الأرز والبر والقمح والشعير وغيرها، وهي وحدها آية على الخالق المبدع جل وعلا..

١٨٠٥. في وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار.

١٨٠٦. فيها تعليم العباد الأخذ بالأسباب في أمورهم، فخروج النبات سببه إنزال الماء من السماء.

١٨٠٧. تفيد: أهمية الحبوب والنخيل، وحاجة الناس إليها؛ لأنه خصهما بالذكر بعد التعميم؛ وتصديقه: ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ وكذا: الزيتون ولقسمه به: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١] والرمان؛ ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] قال السعدي: فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت. وعليه: ففيها: بيان لرحمة الله وفضله، وتودده لعباده؛ فأفردوه بالعبادة.

١٨٠٨. تفيد أن على العباد أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له.

١٨٠٩. تفيد فوائد هذه الثمار المنصوص عليها للإنسان، وعظم المنة بها، كالتمر الذي ورد في فوائده أحاديث عدة والعنب والزيتون، قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة. رواه ابن ماجة وحسنه الألباني، والرمان؛ قال بعض العلماء: اعلم أنه- تعالى- ذكره هنا أربعة أنواع من الأشجار: النخل والعنب والزيتون والرمان. وإنما قدم الزرع على الشجر لأن الزرع غذاء، وثمار الأشجار فواكه، والغذاء مقدم على الفاكهة، وإنما قدم النخل على سائر الفواكه لأن التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب. وإنما ذكر العنب عقيب النخيل، لأن العنب أشرف أنواع الفواكه، وذلك لأنه من أول ما يظهر يصير منتفعا به إلى آخر الحال. وأما الزيتون فهو- أيضا- كثير النفع لأنه يمكن تناوله كما هو وينفصل- أيضا- عنه دهن كثير عظيم النفع. وأما الرمان فحاله عجيب جدا. واعلم أن أنواع النبات أكثر من أن تفي بشرحها مجلدات، فلهذا السبب ذكر- سبحانه- هذه الأقسام الأربعة التي هي أشرف أنواع النبات، واكتفى بذكرها تنبيها على البواقي.

١٨١٠. تفيد دقة التعبير القرآني حيث ورد في هذه الآية ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ وذلك لأن سياق الآية الكريمة في بيان قدرته تعالى على الخلق، بينما ورد في نفس السورة ﴿ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] بلفظ المتشابه وذلك لأن سياق الآية الكريمة في بيان ما أحل الله تعالى وما حرم من الطعام، وفي هذا من البلاغة القرآنية ما لا يخفى.

١٨١١. فيها: الأمر بالاعتبار والتفكر في خلق الله عز وجل في طلوع الثمر ونضجه وأينعاه.

١٨١٢. فيها: بيان قدرة الله عز وجل وجُوده وكمال إحسانه وعظيم الطافه.

١٨١٣. فيها دليل على الأمر بالتفكير في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطبا صار عنبا ورطبا وغير ذلك، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾.

١٨١٤. تفيد الحث على النظر والتأمل والتفكر في بديع خلق الله تعالى ونعمه؛ لقوله:﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾.

١٨١٥. تفيد أن من دلالات زيادة الإيمان التفكر بأوقات الربيع؛ لقوله:﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

١٨١٦. تفيد: أن الإيمان سبب في كل خير؛ لأن هذه الآيات على ظهورها ووضوحها، لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ وتصديقه:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] قال السعدي:إن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده. ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلا، وفطرة، وشرعا.

١٨١٧. فيها: قوله:﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ وقال بعدهما ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، لأن من أحاط علما بما في الآية الأولى صار عالما لأنه أشرف العلوم فختم الآية بقوله:﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ والآية الثانية مشتملة على ما يستدعي تأملا وتدبرا والفقه علم يحصل بالتدبر والتأمل والتفكر ولهذا لا يوصف به الله سبحانه وتعالى فختم الآية بقوله:﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ ومن أقر بما في الآية الثالثة صار مؤمنا حقا فختم الآية بقوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ حكاه أبو مسلم عن الخطيب، وقوله:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ ﴾ في هذه السورة بحضور الجماعات وظهور الآيات عم الخطاب وجمع الآيات. (أسرار التكرار للكرماني).

١٨١٨. تفيد أهمية التذكير بالآيات الكونية وما فيها من نعم عند دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث؛ قال الشيخ القاسمي: قال بعضهم: القوم كانوا ينكرون البعث فاحتج عليهم بتعريف ما خلق ونقله من حال إلى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من إحياء الأرض بعد موتها، وإخراج أنواع النبات والثمار منها. وأنه لا يقدر على ذلك أحد إلا الله- تعالى- فبين أنه- سبحانه- كذلك قادر على إنشائهم من نفوسهم وأبدانهم، وعلى البعث بإنزال المطر من السماء، ثم إنبات الأجساد كالنبات، ثم جعلها خضرة بالحياة ثم تصوير الأعمال بصور كثيرة، وإفادة أمور زائدة وتفريعها، وإعطاء أطعمة مشتبهة في الصورة غير متشابهة في اللذة جزاء عليها».

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

١٨١٩. فيها، وبضميمة ما قبلها: أن الإنسان يجحد الإحسان والمعروف؛ إن الإنسان لظلوم كفار.

١٨٢٠. تفيد: أن الخالق هو الله وحده، فيجب أن يكون هو المعبود وحده.

١٨٢١. تفيد: أن من الناس من عبد الجن يدعونهم ويطيعونهم فيما يأمرونهم به.

١٨٢٢. تفيد النهي عن الاستعانة بالجن كما يفعله الكهان، وأنه من الشرك بالله.

١٨٢٣. فيها: الإيمان بوجود الجن.

١٨٢٤. في خلق الجن دليل عظمة الخالق؛ إذ يخلق ما لا ندرك ولا نحس به –وذلك من ضعفنا– ومن جهل الإنسان اختراقه آلهة من خلق الخلاق العظيم، سبحانه أن يقاس بخلقه.

١٨٢٥. فيها: استعظام جعل الشريك مع الله سواء كانوا إنسًا أو جنًا أو غير ذلك؛ وجهه: تقديم ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ وهي المفعول الثاني لـــــ﴿ وَجَعَلُواْ ﴾ على ﴿ ٱلْجِنَّ ﴾ وهي المفعول الأول؛ قال الزمخشري –رحمه الله–: "فإن قلت: فما فائدة التقديم؟ قلت: فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك مَن كان: ملَكا أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك؛ ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء". (الكشاف: ٢ / ٥٢). ومعلوم في علم المعاني أن من أغراض التقديم: الاهتمام.

١٨٢٦. فيها: قال– سبحانه–: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ ولم يقل: وجعلوا الجن شركاء لله. لإفادة أن محل الغرابة والنكارة أن يكون لله شركاء. ولو قال وجعلوا الجن شركاء لله لأوهم أن موضع الإنكار أن يكون الجن شركاء لله لكونهم جنا. وليس الأمر كذلك، بل المنكر أن يكون لله شريك من أي جنس كان.

١٨٢٧. فيها الإشارة إلى أن أكثر المعبودين من دون الله هم الجن. فالذين يظنون أنهم يعبدون الملائكة ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤١]. والذين يخاطبونهم من الأصنام والقبور إنما هم من الجن.

١٨٢٨. فيها أن الجن خلق من خلق الله، فلا ينبغي الخوف منهم، بل يستعاذ بالله من شر الأشرار منهم.

١٨٢٩. تفيد بلاغة القرآن الكريم؛ قال تعالى:﴿ وَخَرَقُواْ ﴾ ولم يقل – مثلا – "خلقوا"، يريد: كذبوا كذبة وافتروا فرية لا تلتئم مع عقل ولا عليها {أثارة من علم}؛ فمن جهلهم وحمقهم وغبائهم ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ وتأمل قول الراغب – رحمه الله – حيث قال في المفردات:

"الخَرْقُ": قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبّر ولا تفكّر، قال تعالى: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ الكهف: ٧١ وهو ضدّ الخلق، فإنّ الخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق، والخرق بغير تقدير، قال تعالى:﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾، أي: حكموا بذلك على سبيل الخرق".

١٨٣٠. تفيد: حرمة القول على الله بغير علم.

١٨٣١. فيها: أن المشركين جهلة بربهم.

١٨٣٢. فيها أن الشرك يطمس العقل ويفسد الفطرة ويجعل صاحبه لا يميز بين أوضح الواضحات.

١٨٣٣. في الآية توبيخ وتقريع للمشركين، حيث جعلوا لله شركاء مع أنهم يشاهدون الآيات البينات على وحدانيته.

١٨٣٤. تفيد ضلال المشركين، وظلمهم في تسويتهم بين الخالق والمخلوق، وهم الجن؛﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

١٨٣٥. تفيد: وجوب تنزيه الله، وأن له نعوت الجلال والكمال.

١٨٣٦. تفيد: أن الله عز وجل هو الموصوف بكل صفات الجلال والكمال المنزه عن كل نقص وشين.

١٨٣٧. فيها أن ادعاء البنين والبنات لله أعظم جرما من جعل الشركاء لله. بدلالة أن عبر عن الشرك بقوله:﴿ وَجَعَلُواْ ﴾ وعبر عن إدعاء البنين والبنات لله بقوله:﴿ وَخَرَقُواْ ﴾.

١٨٣٨. فيها تنزيه الله تعالى عما يصفه المشركون من اتخاذ البنين والبنات وأن يكون له شريك في ربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام: ١٠١]

١٨٣٩. فيها: مناسبة لما قبلها من وجوه: الأول: إخباره أنه أبدع وأحدث وأوجد السماوات والأرض على غير مثال سابق؛ فليس له بنون وبنات كما تخرقون؛ لأن غيره محدث مخلوق؛ فإذا تقرر هذا، فإن الولد يشبه أباه فكيف لمخلوق أن يشبه الخالق؟! الثاني: أن الولد ينشأ عن قهر الشهوة، والميل للصاحبة، فرد عليهم: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ ولذا قال في سورة أخرى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٠] تكاد تنفطر من جرم وشناعة وظلم هذه الكلمة، لأن الولد ينشأ من الجماع. الثالث: عرّض، وأشار بأن الجن لا تعلم الغيب؛ لأنهم كانوا يعظمون الجن ويدعون أنها تعلم الغيب؛ لقوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ بخلاف الجن، فلا علم لها بجزئيات الغيب، قال الله: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

١٨٤٠. تفيد مع ما قبلها قوة الحجج البالغة والبراهين القرآنية الدامغة في ابطال العقائد الباطلة؛ فبعد أن نزه نفسه سبحانه؛ وتعالى عما يصفه المشركون؛ جاءت هذه الآية بمنزلة التعليل لما ذكر في خاتمة الآية السابقة؛ ونقض عقائد المشركين المذكورة في فاتحتها؛ وذلك من خلال التصريح بِأَنَّهُ سبحانه وتعالى خالِق أعْظَم المخْلوقات دَلالَة عَلى القُدْرَة، فَإذا كان المشركون يدعون شراكة وبُنُوَّةَ الجِنّ والملائِكَةِ لِأجْلِ عَظَمَتِهما في المخْلُوقاتِ وهم لا يرونهم؛ فَلِماذا لَمْ يدَّعُوا الشراكة والبُنُوَّةَ لِلسَّماواتِ والأرْضِ المشاهَدَة لَهم؛ وهم يَرَوْنَ عظَمَتهما وبديع صنعهما؟ فَهَذا الإبْطالُ بِمَنزِلَةِ النَّقْضِ في علم الجَدَل والمناظَرَة.

١٨٤١. تفيد مع ما قبلها أهمية التفصيل بعد الإجمال في الردود على مقولات أهل الباطل؛ ولا يكتفى بالإجمال حتى لا ترسخ الشبهة في قلوب وأذهان السامعين؛ وأن يكون التفصيل والبيان على قدر وحجم الشبهة والمقولة الباطلة، فبعد أن قال سبحانه وتعالى في الآية السابقة: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فصل ووضح في هذه الآية ما أجمله في تلك؛ مبينا ما يدل على جهلهم وعدم علمهم؛

فقال: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ ومن هنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر التناسق الموضوعي والتناسب اللفظي بين الآيتين الكريمتين.

١٨٤٢. يفيد ذكر إبداع السموات والأرض في سياق نفى الولد عن الله تعالى للدلالة على أن خلق المحل يقتضي خلق الحال فيه، فالمشركون يقولون بأن الملائكة في السماء؛ وأن الجن في الأرض والفيافي، فيلزمهم حدوث الملائكة والجن وإلا لوجد الحال قبل وجود المحل، وإذا ثبت الحدود ثبت انتفاء البنوة لله تعالى، لأن ابن الإله لا يكون إلا إلها فيلزم قدمه، كيف وقد ثبت حدوثه وحدوث المحل الذي يستقر فيه.

١٨٤٣. فيها: بيان عظيم خلقه واتقان صنعه وبديع نظامه في خلق السموات والأرض وتفرده سبحانه بهذا الخلق دون مساعد أو مشارك.

١٨٤٤. (بديع) على وزن فعيل وهذه من صيغ المبالغة ففيها دلالة على قوة إتقانه وإحكامه لمخلوقاته جل في علاه.

١٨٤٥. تفيد تفرده تعالى بالخلق، ومن تفرد بالخلق أحق بالعبادة دون سواه، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

١٨٤٦. تفيد مع ما قبلها أن الولد يطلق على الابن والبنت؛ لقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴾ فرد عليهم ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾.

١٨٤٧. فيها أن الوقوع في الشرك من أسبابه الجهل بالله تعالى وبما له من صفات الكمال والجلال وهذا يؤدي بنا إلى أنه ينبغي الإكثار من تعريف الناس بالله تعالى وبصفاته العلية.

١٨٤٨. فيها: تنزيه الله عز وجل عن الولد والصاحبة والشريك فهو الإله الواحد جل وعلا.

١٨٤٩. تفيد إبطالا بالكلية لأي عقيدة تنسب الولد لله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى خلق كل شيء؛ والموجودات في الكون كلها متساوية في وصف المخلوقية، ولو كان له أولاد لكانوا غير مخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

١٨٥٠. تدل على أنه جل وعلا غني عن جميع خلقه لأن الولد يبتغى للحاجة وقد نفى أن يكون له ولد فدل هذا على غناه المطلق.

١٨٥١. تفيد أهمية معرفة الأعراف والعادات؛ وقوة الاحتجاج بها في المناظرات؛ فإن الله عز وجل نقض شبهة نسبة الولد إليه بعدم وجود الصاحبة والزوجة؛ وقد جعل انتفاؤها مسلما لأنهم لم يدعوه فلزمهم انتفاء الولد لانتفاء شرط التولد؛ وهذا مبني على المحاجة العرفية؛ بناء على ما هو المعلوم في حقيقة الولادة.

١٨٥٢. تفيد استحالة أن يكون ولد بلا والدة؛ وإن أمكن وجوده بلا والد.

١٨٥٣. تفيد ردا على النصارى الذين يدعون أن مريم عليها السلام؛ هي قرينة وصاحبة الإله؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

١٨٥٤. تفيد مع آيات سورة الجن أن وفد الجن استوعبوا فهم هذه الآية الكريمة؛ وصدقوا بمعانيها وكلماتها؛ حتى قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

١٨٥٥. تسمية العلاقة الزوجية بالصحبة دلالة على قوة هذا الميثاق وترشدنا إلى حسن التعامل مع الزوجة. هذا بالإضافة إلى رسم الكلمة ﴿صَٰحِبَةٌ﴾ الذي يدل على التصاق الصحبة وعمق هذا الميثاق.

١٨٥٦. فيها أن الذي أوقع النصارى أو من شاكلهم في هذا الزعم الباطل غلوهم في المخلوق وجهلهم بالخالق.

١٨٥٧. فيها أن مما يدل على انتفاء الألوهية عن غيره أن غيره لم يخلق أي شي، وجاهلٌ بكل شيء إلا ما علمه الله تعالى.

١٨٥٨. تفيد أهمية الحجج العقلية في إبطال شبه المشركين ودحض افتراء الضالين؛ لقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ قال السعدي: أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه.

١٨٥٩. فيها: إشارة إلى قوة الاستدلال بالقرآن، وأهمية الاعتناء به في الردود.

١٨٦٠. فيها: أدب قرآني، وأدب من آداب المناظرة، والرد على العقائد الباطلة؛ وهو: الرد بالحجة والبرهان، لا بالسب والشتم؛ فمن الخطأ والمخالفة، ما يفعله بعض المسلمين، إذا ناظروا أحدا من الكفار قابلوهم بالسب والشتم.

١٨٦١. فيها: من أحاط علمًا بكل شيء – سبحانه – فإنه غنيٌّ عن المعين والظهير من ولد أو صاحبة أو غير ذلك.

١٨٦٢. فيها: الدليل الواضح على سعة علم الله عزوجل وكمال حكمته.

١٨٦٣. في ذكر العلم بعد الخلق إشارة إلى أن الخلق دليل على العلم، فلما كان الله للأشياء خالقًا كان بها عالما؛ قال السعدي: في ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

١٨٦٤. فيها: رد على القدرية؛ لقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فهو خالق أفعال العباد، والعليم بما سيكون منهم.

١٨٦٥. هؤلاء الآيات تضمنت إبطال قول المبطلين من المشركين والصابئين وأهل الكتاب، وتضمنت إبطال ما كان يقوله مشركو العرب، وما يقوله النصارى، وما يقوله مشركو الصابئة

وفلاسفتهم، الذين يقولون بتولد العقول، أو العقول والنفوس عنه. ومن أراد الجمع بين كلامهم وبين النبوات سماها ملائكة، ويقول: العقل كالذكر، والنفس كالأنثى، فهؤلاء خرقوا له بنين وبنات بغير علم. ثم بيّن سبحانه أنه مبدع للسماوات والأرض، والابداع خلق الشيء على غير مثال، بخلاف التولد الذي يقتضي تناسب الأصل والفرع وتجانسهما. والابداع خلق الشيء بمشيئة الخالق وقدرته، مع استقلال الخالق به وعدم شريك له، والتولد لا يكون إلا بجزء من المولد بدون مشيئته وقدرته، ولا يكون إلا بانضمام أصل آخر إليه. وقال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبيّن بطلان كون الولد له من غير صاحبة لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ﴾ فإن التولد لا يكون إلا من أصلين، وليس في الموجودات ما يكون وحده مولدا لشيء، بل قد خلق الله تعالى من كل شيء زوجين، وهو سبحانه الفرد الذي لا زوج له.. (الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٤٦٩).

١٨٦٦. تفيد دقة مناسبة خاتمة الآية لفاتحتها وموضوعها؛ حيث ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وذلك لأن كمال العلم يستلزم كمال القدرة؛ واتخاذ الولد والصاحبة دليل على الضعف والحاجة وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك؛ وفي الاكتفاء باسم العليم أيضا مناسبة لسياق الآية الكريمة حيث إنها جاءت لبيان جهل المشركين وعدم علمهم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[الأنعام: ١٠٢].

١٨٦٧. فيها، وبضميمة ما قبلها: رد على الزنادقة الذين يطعنون في القرآن، لما اشتمل عليه من التكرار. فالتكرار الوارد في القرآن هو عين الفصاحة والبلاغة؛ ووجهه: أنه قال في التي قبلها: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ وكرر بعدها: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لكنه – سبحانه – كرر لمعاني متعددة، ولمعنى أبلغ من مجرد التأكيد؛ فقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ﴾ فأتى بالفعل "خلق" إشارة إلى ما مضى من خلقه، وقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أتى باسم الفاعل إشارة إلى أهمية خلقه في

المستقبل، وبه رد على القدرية؛ بل كرر ليشمل خلقه جميع الأوقات؛ ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] فخلق ما كان، وما سيكون، فإذا استقر هذا، فلا ريب أنه العليم بما صدر، وما سيصدر من عباده في المستقبل؛ ولذا قال: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤] ، قال الفخر في الكبير: إنه قال قبل هذه الآية بقليل: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ وقال هاهنا: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ وهذا كالتكرار. والجواب من وجوه: الأول: أن قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ إشارة إلى الماضي. أما قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ فهو اسم الفاعل، وهو يتناول الأوقات كلها، والثاني: وهو التحقيق أنه تعالى ذكر هناك قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ ليجعله مقدمة في بيان نفي الأولاد، وهاهنا ذكر قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ليجعله مقدمة في بيان أنه لا معبود إلا هو، والحاصل أن هذه المقدمة مقدمة توجب أحكاما كثيرة ونتائج مختلفة، فهو تعالى يذكرها مرة بعد مرة، ليفرع عليها في كل موضع ما يليق بها من النتيجة.

١٨٦٨. فيها: تأكيد لما سبق ولما قبلها؛ من نفي الولد والصاحبة وإيجاد السماوات والأرض من غير مثال سابق. وعليه: ففيها مناسبة لما قبلها.

١٨٦٩. فيها: رد على الذين خرقوا له بنين وبنات، وعليه: ففيها مناسبة لما قبلها.

١٨٧٠. دلالة التقديم والتأخير بين الآية وآية سورة غافر ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [غافر: ٦٢]: آية الأنعام لما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ ﴾ و ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ كان الملائم نفى ما ادعوه من الشركاء والصاحبة والولد، فقدم ما يدل عليه من وحدانيته سبحانه وتعاليه عن الشركاء والولد فقال: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ فقدم الأهم في الموضع. آية غافر لما تقدمها ذكر الخلق الأعظم في قوله تعالى: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] ثم قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ [غافر: ٦١] فكان تقديم هذا التعريف ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ هنا أنسب وأهم.

١٨٧١. فيها أنّ الله سبحانه هو الخالق المدبر وهو وحده المستحق للعبادة.

١٨٧٢. فيها الدلالة على تعظيم الله جل وعلا وعلو قدره سبحانه وتعالى وهذا مستفاد من اسم الإشارة الدال على البعد.

١٨٧٣. تفيد أن الرب هو المعبود؛ لقوله: ﴿ رَبُّكُمۡۖ... فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ قال السعدي: ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ﴾ أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وصرف عنهم صنوف النقم.

١٨٧٤. في ذكر اسم الرب ﴿ رَبُّكُمۡۖ ﴾ تذكير بالنعم التي يسوقها الله تعالى لعبيده مما يقتضي شكره عليها وإفراده بالعبادة.

١٨٧٥. يفيد قوله: ﴿ رَبُّكُمۡۖ ﴾ الرحمة والشفقة والرأفة بعباده.

١٨٧٦. فيها: رد على القدرية؛ لقوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾.

١٨٧٧. فيها: التوجه الى الله الواحد المنعم المتفضل وعبادته وحده لا شريك له والأخلاص له فهو أحق من عبد.

١٨٧٨. فيها: بيان أن كل شيء تحت تصرفه وتدبيره فتصريفه أعظم تصريف وتدبيره أحسن تدبير سبحانه وبحمده.

١٨٧٩. فيها: تفرده سبحانه بالخلق يفرده بالملك وتفرده بالملك يفرده بالرزق فهو الخالق المالك الرازق فإذا تقررت هذه الحقائق: الخلق والملك والرزق تقرر معها ضرورة أن تكون الربوبية له والعبادة مختصة به جل وعلا.

١٨٨٠. فيها أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

١٨٨١. تفيد أن الأمور كلها بيد الله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾.

١٨٨٢. فيها: من وكالته تعالى أنه توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمتغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمهم عما يزيل إيمانهم ودينهم. ووكالته تعالى على الأشياء ليست من جنس

وكالة الخلق؛ فإن وكالتهم وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله، وأما الباري تبارك وتعالى فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل، فلا يمكن لأحدٍ أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللاً ولا فطوراً، ولا في تدبيره نقصاً وعيباً. السعدي.

١٨٨٣. تفيد الحث على مراقبة الله في الخلوات والجلوات وتعظيمه وطاعته سبحانه وتعالى؛ لقوله:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أى وهو مع تلك الصفات الجليلة رقيب على عباده حفيظ عليهم، يدبر أمرهم، ويتولى جميع شئوهم.

١٨٨٤. فيها تخويف وتحذير امن يعصونه ويشركون به تعالى.

١٨٨٥. تفيد: أن الله لا يخلق عبثا – سبحانه – ولا يعبد إلا بحق؛ لقوله:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ومن جملة وكالته: مراقبته للعباد، وعدم غيابه عنهم وحفظه لأعمالهم؛ ليجازي كلا بما عمل. وعليه: ففيها رد على الملاحدة منكري الخالق، والقائلين بغيابه؛ وتصديقه: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الرعد: ٣٣ وقوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

١٨٨٦. فيها: رد على الدهريين منكري البعث والحساب؛ القائلين: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع – قاتلهم الله –؛ وتصديقه:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

١٨٨٧. فيها أهمية تعهد التوحيد وتذكير الموحد بأهمية وضرورة التوحيد.

١٨٨٨. فيها، وبضميمة ما بعدها: رد على القدرية والجبرية؛ فقوله: ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ رد على القدرية. وقوله:﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الأنعام:] ١٠٤ رد على الجبرية؛ فدل مجموع الآيتين على أن للعباد قدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

١٨٨٩. فيها: أن الله لا يرى؛ إلا في الآخرة. وفي الحديث: "لن تروا ربكم حتى تموتوا" ز رواه مسلم.

١٨٩٠. فيها: الرد على المعطلة الذين ينفون رؤية الله في الآخرة؛ يفيده قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، حيث إنه تعالى نفى الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية فدل على أن الرؤية ثابتة.

١٨٩١. فيها: نفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. أفاده السعدي.

١٨٩٢. فيها خطأ من استدل من المعتزلة بهذه الآية على نفي الرؤية لأن الإدراك قدر زائد على الرؤية؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٢]. فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، بل نفى الإدراك. فهو يعني فإنهم وإن رأونا فلن يدركونا. ولذا قال العلماء إن العلاقة بين الرؤية والإدراك على ثلاثة أنحاء:

- يرى ولا يدرك. وهو الله تعالى يرى في الآخرة ولا يدرك. كما يعلم ولا يحاط به علما.
- يرى ويدرك.. كالمحسوسات بين أيدينا
- يدرك ولا يرى. كالأمور الغيبية. يدرك علمها ولا ترى.

١٨٩٣. فيها أن الإدراك لا يلزم منه الإحاطة؛ قال ابن عباس: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، فقال: أكلها ترى؟ قال: لا؛ قال: فالله أعظم.. رواه ابن جرير وغيره. قال الإمام الطحاوي: (الرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما جاء في كتاب ربنا).

١٨٩٤. تفيد إحاطة الله بكل شيء.

١٨٩٥. فيها دليل على كمال عظمته تعالى؛ ولذا لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء.

١٨٩٦. فيها: تحذير من {خائنة الأعين}.

١٨٩٧. تفيد لطف الله بعباده، ومعرفته بخبايا عباده.

١٨٩٨. فيها تعظيم الله تعالى وتقديمه - أو تقديم الضمير الذي يعود عليه - على كل ما سواه في كل شيء فقد قدم الضمير الدال عليه في الجملتين الأولى والثانية مع اختلاف موقعه من الإعراب فيهما؛ فهو في الأولى في موقع المفعول وفي الثانية في موقع الفاعل وهو فوق ذلك مقدم في الجملتين الثانية والثالثة طبعا ووضعا؛ لأنه فيهما في موقع الابتداء والابتداء له الصدارة.

١٨٩٩. فيها أن البصر أداة إدراك.

١٩٠٠. فيها عظيم جبروت الله سبحانه وكماله وضعف العبد ومحدوديته.

١٩٠١. فيها: أن الأقدار والمصائب التي تصيبنا لا تخرج عن لطف اللطيف سبحانه ولكننا لا ندرك ذلك لضعف إيماننا؛ لأنه هو ﴿ٱللَّطِيفُ﴾.

١٩٠٢. فيها: بيان لرحمة الله البالغة، وعنايته بخلقه؛ لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فكم ممن يلطف بالناس، ولكنه غير خبير بهم؛ فلم يصل إليهم بذله وإحسانه، وأصل اللطف دقة النظر في الشيء.

١٩٠٣. فيها تنبيه للعباد أن لا يغفلوا عن بواطن أحوالهم والاشتغال بإصلاحها وتلافي ما يحدث فيها من القبائح؛ لقوله:﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

١٩٠٤. فيها: قوله: ﴿ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فيها لف ونشر مرتب فلا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير. فإن قيل: لَمَ لمْ يقل سبحانه وتعالى وهو يدرك كل شيء مع أن هذا أبلغ في التمدح؟ فالجواب من وجهين:

الاول: مراعاة المقابلة اللفظية وهذا نوع من البلاغة.

الثاني: أن هذه الصفة خاصة بينه وبين الأبصار؛ إنه يدركها بمعنى الإحاطة بها فأما غيره فما يدرك الأبصار فهي تدركه أيضا لهذا خصها بالذكر.

١٩٠٥. هو اللطيف –سبحانه– يدرك ما لا تدركه الأبصار ولا الحواس، وهو العالم بالخفايا والخبايا، (وسياق الآيات وترابطها في مقام تعظيمه والعلم به سبحانه).

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]

١٩٠٦. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها؛ فلما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم.

١٩٠٧. فيها مع ما قبلها أنكم لن تروا ربكم في الدنيا لكنه من فضله أكرمكم برؤية آياته التي أنزلها لكم.

١٩٠٨. تفيد الآية أن من نعمة الله على عباده أن جاءتهم البصائر ولم يتعنوا الصعاب للبحث عنها.

١٩٠٩. فيها: ما ذكره تعالى بصائر قوية، كأنها من قوتها أتت تمشي إليكم كالأمر المحسوس.

١٩١٠. يفيد وصف البصائر بالمجيء تفخيما لشأنها، وبيان لعظمة المنة بها، فكيف إذا كانت قد جاءت ممن هو ربكم؟!

١٩١١. تفيد كمال لطفه جل وعلا بعباده من خلال ذكر معنى الربوبية مع الاضافة إلى ضمير المخاطبين.. لطف عناية ولطف خطاب من اللطيف الخبير.

١٩١٢. تفيد الترغيب في تعلم القرآن والاهتداء به، من خلال وصف آياته بالبصائر، وأنها جاءت من الله تعالى المربي لجميع خلقه مع بيان ثمرة اتباعها، وعاقبة هجرانها.

١٩١٣. تفيد أن القرآن اشتمل على الحجج والبراهين الواضحة التي لا لبس فيها؛ وذلك من خلال وصفه بالبصائر.

١٩١٤. فيها: القرآن بصائر لمعرفة الحق، قال بعض السلف: (لقد تجلى الله في كتابه لكنهم لا يبصرون).

١٩١٥. تفيد مدحا عظيما للقرآن الكريم من خلاله وصف آياته بالبصائر التي هي بينات وهدايات للخلق. قال السعدي: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربى خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات.

١٩١٦. تفيد الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله.

١٩١٧. تفيد أن هدايات القرآن واضحة جلية ولا ينتفع بها إلا من أبصرها وعمل بها.

١٩١٨. فيها أنه ينبغي العناية بهذه البصائر الواصلة من ربنا لاشتمالها على معاني التربية وطرق التزكية؛﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾.

١٩١٩. في قوله: ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ دلالة أن الرب الذي يُربي ويغذّي عباده بنِعَمِه هو كذلك يُهيئ لهم بصائر من البينات والآيات التي تهديهم من الضلالة، وتنقذهم من الغواية، وتبصرهم من العَمَى؛ فالرب سبحانه هو المربّي بنعمه الحسية والمعنوية، الجسدية والروحية؛ وفي دعاء أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

١٩٢٠. تبين أنه من فضل الله تعالى وكرمه أنه يلقن عباده حججهم التي يستدلون بها على الحق.

١٩٢١. فيها: اتباع منهج القرآن الكريم ينير الطريق لسالكه، والمصلحة تعود على الشخص نفسه؛ لأنه ينجيها من الهلاك.

١٩٢٢. فيها: أهمية البصيرة، وأن العمى هو عمى القلب؛ وتصديقه:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣].

١٩٢٣. فيها: إبصار القلب للآيات بتدبر هداياتها والإيمان بها أعظم من إبصار العين بتلاوة ألفاظها ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ والبصر هنا بصر القلب بالإيمان والهدى.

١٩٢٤. تفيد فضل تعلم معاني القرآن الكريم والاهتداء بهداياته، وهي التي تجعل العبد يستبصر الأمور على وجهها الصحيح ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ أي بها.

١٩٢٥. تفيد أن الإنسان عليه أن ينقذ نفسه ويسعى في هدايتها وفكاكها من النار؛ لقوله: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه: "أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئا" متفق عليه، وذلك بالاستبصار بآيات الله تعالى والاهتداء بها.

١٩٢٦. تفيد أن من صدق بالقرآن وآمن به، وفهمه واتبعه سوف يعود ذلك بخير عظيم عليه في الدنيا والآخرة وهو المنتفع الأول بذلك قبل غيره.

١٩٢٧. فيها قيام الحجة وانتفاء جميع الأعذار عن من بلغه القرآن، ولم يؤمن به.

١٩٢٨. تفيد أهمية العمل بالقرآن الكريم لأن ثمرة الإبصار العمل بالأدلة والاهتداء بها.

١٩٢٩. تفيد أنه لا عذر لمن استمر في الضلال بعد نزول هذه البصائر.

١٩٣٠. فيها أن للعبد مشيئة بالإبصار أو العمى.

١٩٣١. فيها رد على الجبرية في قولهم إن الله يكلف بلا قدرة.

١٩٣٢. تفيد التنفير والتقبيح ممن أعرض عن هدى القرآن من خلاله وصفه بالعمى ﴿ وَمَنْ عَمِىَ ﴾.

١٩٣٣. تفيد أن الناس ينقسمون تجاه الحق والهدى إلى قسمين مبصر له وأعمى عنه.

١٩٣٤. تفيد أن المرء بأعراضه عن النظر في القرآن وتدبره يضر نفسه ضررا بليغا.

١٩٣٥. فيها إشارة إلى فضل العلم وقبح الجهل.

١٩٣٦. تفيد كمال غناه جل وعلا عن خلقه: المهتدي والضال منهم وفقر جميع الخلق إليه.

١٩٣٧. فيها: جواز استعمال كلمة {أنا}. بل هذا من لوازم الخطاب؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾ وعليه: فلا يشرع التعوذ عند قول القائل "أنا"؛ كما يقول قائلهم: "أنا، وأعوذ بالله من كلمة أنا". ولما في ذلك من الاستدراك على النصوص، ولما فيه من التكلف؛ وقد تواترت النصوص باستعمالها، في الكتاب والسنة، وعمل السلف.

١٩٣٨. وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين يفيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾.

١٩٣٩. تفيد أن النبي ﷺ ليس بحفيظ على العباد، وفي هذا نهي عن الغلو فيه ﷺ؛ فإذا تقرر هذا، فعدم الغلو في الأولياء وكراماتهم من باب أولى.

١٩٤٠. تفيد أن الانشغال بعيوب الناس وتتبع أحوالهم ليس من هدي الدعاة المصلحين المستبصرين بنور الوحي ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي رقيب متتبع لأعمالكم..

١٩٤١. فيها: منهج دعوي مهم للداعية في بيان فضل الله على عباده واستحضاره، وعدم نسبة الفضل إلى النفس أو استشعاره، وبيان رقابة الله على العباد وأن الداعية ليس برقيب عليهم؛ فلا يعجب بنفسه ولا يستحث الناس على خشيته بل على خشية ربهم.

١٩٤٢. فيها: أدب وهداية دعوية، وتسلية وتوجيه، للداعي إلى الله؛ فينبغي على الداعي أن يعلم أن الواجب عليه البيان وإقامة الحجة فحسب، ولا يحزن لإعراض الناس وعدم قبولهم منه.

١٩٤٣. تفيد أن الحافظ للعباد وأعمالهم هو الله تعالى وحده، ليس كما يعتقد البعض أن هنالك أولياء يحفظونه وذريته وماله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٍ﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]

١٩٤٤. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن حجج القرآن وبيناته وآياته، كثيرة ومتنوعة؛ في العقيدة والأحكام، والرقاق، والدعوة والتخويف والإنذار؛ لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾.

١٩٤٥. فيها هداية دعوية، للناس عامة، ولأئمة المساجد والخطباء خاصة؛ أن يهتدوا بهدي القرآن، ولا يهتموا بجانب دون آخر؛ فإن منهم من ينشغل بالرقاق والقصص فحسب، ويعرض عن العقيدة والتحذير من الشرك، وهكذا.

١٩٤٦. تشير الآية مع ما قبلها أن من أخذ العلم بحقه وزكى نفسه بالإيمان وثبته بالعمل الصالح، قلّما يزيغ أو يعمى أو يصرف عن الهدى في حياته.

١٩٤٧. فيها: أن تنويع الآيات في دلالاتها المختلفة لإقامة الحجة على المنكرين ولبيان أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل وليس من عند غيره.

١٩٤٨. فيها أنه ينبغي تنويع الخطاب الدعوي والإتيان به على أساليب شتى كي يكون سببا في الانقياد إلى الحق.

١٩٤٩. فيها جمع الآيات يدل على كثرتها وتنوعها وعظمها.

١٩٥٠. فيها أن من كرم الله تعالى ولطفه بعباده بيان الحق وتوضيحه لإقامة الحجة على الخلق.

١٩٥١. فيها أنه ينبغي تبيين الحق وإظهار حججه وبراهينه من غير التفات إلى المرجفين والأفاكين وليقولوا هم ما يقولون.

١٩٥٢. فيها: بيان أن لله عز وجل الحكمة البالغة في إضلال المنكرين والجاحدين وفي بيان الحق ومعرفته للمؤمنين الصادقين.

١٩٥٣. فيها تلقين النبي صلى الله عليه وسلم الحجج لإفحام أهل الباطل ودفع شبههم وإبطال أكاذيبهم.

١٩٥٤. فيها البلاغة العجيبة لكتاب الله تعالى فمن خلال هذه القراءات بيّن عددا من افتراءات المشركين؛ دَرَسْت: أي على غيرك. دارست: أي ذاكرت حتى تعلمت. دَرَسَت أي هذه أخبار قديمة تقادمت وانمحت.

١٩٥٥. تفيد قراءة ﴿دارست﴾، أهمية طريقة المدارسة لآيات القرآن لتثبيت العلم وتنمية مهارة المناظرة والمناقشة.

١٩٥٦. جمعت الآية بقراءاتها الثلاث ﴿دَرَسْت، دارسْت، درَسَت﴾ أنواع التعلم النشط: المدارسة والمناقشة والمناظرة والبحث والمطالعة والمقارنة والتحقيق والتلمذة على أيدي المشايخ.

١٩٥٧. فيها: أن الله ﷻ يعلم ما سيكون من العباد من أفعال ومخالفات؛ لقوله: ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾ يريد: وسيصير الأمر أن يقولوا عنك تعلم من غيره؛ فاللام هنا للصيرورة.

١٩٥٨. ففيها رد على القدرية. ولو قلنا إن اللام هنا، لام العلة والغرض؛ لقلنا – أيضا – فيها: رد على القدرية؛ ونظيره: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ ﴾ [الكهف: ١٢] لام الغرض؛ فهو سبحانه يدخل الضلال والكفر في قلب من يشاء عدلا: وتصديقه: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الحجر: ١٢] ندخل التكذيب في قلوبهم. فهو خالق أفعال العباد، والعالم بما سيكون منهم.

١٩٥٩. فيها أن أهل الباطل إذا أعيتهم الحيل وتقطعت بهم الأسباب تركوا موضوع الحجة وأقبلوا على اتهام صاحبها.

١٩٦٠. فيها أن من سنة الله تعالى ابتلاؤه للدعاة بالمكذبين لهم في كل زمان ومكان.

١٩٦١. فيها أن أمر المشركين وحججهم قائمة على الكذب والتلفيق وإلصاق التهم.

١٩٦٢. فيها أن الله تعالى يبتلي أهل الباطل بالاستدراج ليزدادوا كفرا.

١٩٦٣. فيها أن تصريف هذه الآيات المقصد منه الابتلاء والاختبار؛ ليشقى بها قوم ويسعد بها آخرون.

١٩٦٤. فيها أن أخطر شيء اختيار الضلال بعد معرفة الحق وانغلاق سبل الخير على العبد مع جلائها وظهورها.

١٩٦٥. فيها توبيخ ووعيد لأهل الشرك والمفترين على دين الله تعالى.

١٩٦٦. فيها: بيان أن أهل الحق والعلم هم الذين يقبلون الحق ويتبعونه.

١٩٦٧. تفيد: أنه يجب على المرء، أن يعمل بما بُيِّن له، وبما نصح به من الحق؛ لقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ يريد: فيعملون بالبيان. فعلى العبد أن يكون ممن قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣] وعليه: فمن كان متلبسا بمخالفة، ثم بين له حرمتها، فيقلع على الفور؛ تأثرا وعملا بكلام ربه. قال الطبري في تفسيره: ولنبين بتصريفنا الآيات الحقَّ، لقوم يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم به بعدًا.

١٩٦٨. تفيد المزية والمكانة والفضل لأهل العلم ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

١٩٦٩. فيها: تخصيص التبيين بأهل العلم لأنهم هم المنتفعون به؛ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

١٩٧٠. تفيد الآية وصف من بانت له آيات الله بالعالم.

١٩٧١. فيها: العلم الحق بيّن محكم في كتاب الله تعالى.

١٩٧٢. فيها: منقبة وتشريف لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ لقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ يعني الصحابة. فالمشركون يقولون درست، وأما الصحابة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾. ففي هذا رد على الروافض.

١٩٧٣. فيها أن الجهل من موانع معرفة الحق كما أن العلم من الطرق الموصلة إلى كل خير.

١٩٧٤. فيها تعريض بالمشركين ووصف لهم بالجهل والخلو عن العلم بالمرة.

١٩٧٥. تفيد: أن المشركين جهلة؛ ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

١٩٧٦. ترشد إلى الاستمرار في طلب العلم، وهو من أسباب الرسوخ فيه، دل على ذلك صيغة المضارع: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ والله أعلم.

١٩٧٧. تفيد تعظيم الرب جل وعلا؛ لصيغة التعظيم في مواضع من الآية.

١٩٧٨. ففيها أن تعلم الآيات والاستمرار على ذلك يفتح آفاقا من العلم والهدايات.

١٩٧٩. فيها: تسلية للدعاة إلى الله عز وجل، فيما يصيبهم من كذب وادعاء. وعليه: فبضميمة ما بعدها: فليستمر الداعي إلى الله في دعوته إلى دين الله، وليعرض عن هذه الأقاويل، وليمض قدما، ولا يثنيه شيء من هذه الافتراءات؛ لقوله – بعدها –: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ففيها: مناسبة لما بعدها.

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]

١٩٨٠. فيها الأمر باتباع شرع الله تعالى.

١٩٨١. تدل على أن اتباع القرآن واجب لدلالة فعل الأمر.

١٩٨٢. فيها وجوب الخضوع للشرع والاستسلام له؛ لأن اتباعه لا يكون إلا بذلك.

١٩٨٣. فيها ما يدل على ظهور الحق وجلاء الوحي حتى كأنه شيء محسوس سائر ينبغي ارتسام خطاه والسير على هداه.

١٩٨٤. تفيد أهمية الاتباع، والتحذير من الابتداع، فإذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع القرآن، فغيره من باب أولى.

١٩٨٥. فيها: أن النبي ﷺ مأمور ومكلف وقد قال– صلى الله عليه وسلم –: "فقولوا عبدالله ورسوله".

١٩٨٦. فيها قطع شبهة كل مبتدع في دين الله تعالى. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمره تعالى باتباع الوحي في غير ما آية فهل يسع أحد أن يبتدع في دين الله مالم يأذن به الله.

١٩٨٧. فيها أنه ينبغي على القائد أن يكون أول الممتثلين لما يأمر به.﴿ٱتَّبِعۡ﴾.

١٩٨٨. فيها وجوب الاتباع لكل ما جاء به الشرع جملة وتفصيلا وهذا مأخوذ من الاسم الموصول (ما).

١٩٨٩. فيها التأكيد على وحدة مصدر هذا الدين وهو الوحي المعصوم بشقيه الكتاب والسنة.

١٩٩٠. في الآية تقرير توحيد الاتباع. فالاتباع المطلق إنما هو للوحي المعصوم كتابا وسنة.

١٩٩١. فيها تأكيد ركني هذا التوحيد - توحيد الاتباع -وهما الإثبات والنفي. والإثبات في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ﴾ والنفي في قوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ ونحوه: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] وذلك لأن الإثبات وحده لا يعد توحيدا كما أن النفي وحده لا يعد توحيدا؛ ولذا جاء تأكيد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾.

١٩٩٢. فيها تأكيد حقيقة الولاء والبراء؛﴿ٱتَّبِعۡ﴾ و ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾.

١٩٩٣. تفيد كمال هذه الشريعة؛ لقوله:﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ لكماله وشموله، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

١٩٩٤. فيها أنه لا تكليف إلا بعلم ولا تقوم الحجة إلا ببلوغها للمكلف وهذا مأخوذ من الفعل الماضي ﴿أُوحِيَ﴾.

١٩٩٥. تدل على أن القرآن وحي من عند الله تعالى.

١٩٩٦. فيها لطف الله تعالى بعباده حيث يوجههم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية عن طريق وحي يبين لهم المصالح والمفاسد.

١٩٩٧. فيها إثبات نبوة النبي محمد ﷺ.

١٩٩٨. تفيد الآية أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله تعالى، ويتفرع على هذا قبول كل ما جاء به الرسول ﷺ فهو متلقٍ عن الله تعالى.

١٩٩٩. ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ للابتداء ففي هذا إشارة إلى مصدر وأصل هذا الشرع.

٢٠٠٠. فيها التشريف للنبي ﷺ يدل على ذلك قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

٢٠٠١. فيها تسلية للنبي ﷺ على ما كان يلاقيه من تكذيب المشركين وأذاهم.

٢٠٠٢. فيها ربط الأوامر بحكمها وعللها فقوله:﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيها إشارة إلى تعليل هذا الأمر بكونه ربانيا.

٢٠٠٣. فيها إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه المستحق للعبادة.

٢٠٠٤. فيها: توحيد الألوهية، والربوبية.

٢٠٠٥. فيها أن التوحيد من أعظم ما يعين على الاتباع يدل على هذا ذكر كلمة التوحيد بعد الأمر بالاتباع. والتوحيد والاتباع متلازمان كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع؛ فكلما كان الإنسان أعظم توحيدا كان أعظم اتباعا والعكس، ولذا تظهر الشركيات في أهل البدع كلما ابتعدوا عن الاتباع.

٢٠٠٦. تفيد: أن اتباع الوحي، سبب في الثبات على التوحيد، وعصمة من الشرك.

٢٠٠٧. فيها الإشارة إلى أنه ينبغي توحيد جهة إصدار الأوامر؛ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٢٠٠٨. فيها أن تعظيم الله تعالى وإجلاله، وشدة محبة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم والتأدب معه.. يتحققا بالاتباع والامتثال..

٢٠٠٩. فيها أن اتباع غير الوحي من الشرك بالله جل وعلا.

٢٠١٠. فيها أن من سنن الله الكونية الابتلاء لأهل الحق بأهل الباطل﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فيفهم من ذلك أنهم سيعترضون طريقك.

٢٠١١. تفيد: أن طاعة المشركين، سبب في الإعراض عن الوحي.

٢٠١٢. فيها الأمر بالأعراض عن المشركين.

٢٠١٣. فيها أن من لوازم اتباع الوحي: البراءة من الشرك وأهله.

٢٠١٤. تفيد: أن الوحي إنما أنزل لتوحيد الله، والنهي عن الإشراك به.

٢٠١٥. تفيد الحث على الدعوة إلى التوحيد وعدم الالتفات إلى المشركين والمخذلين.

٢٠١٦. تفيد أن النطق بكلمة التوحيد مع محبة المشركين وعدم الاعراض عنهم شرك بالله؛ وهو من نواقض الإسلام.

٢٠١٧. فيها الارشاد إلى أن من كان مراده الله والدار الآخرة فعليه أن يحدد هدفه، ويسير وفق منهج الله، ولا يلتفت إلى المثبطين.

٢٠١٨. فيها أن من ضمن طرق إسكات الباطل تسفيهه وعدم الالتفات إليه.

٢٠١٩. تمثل هذه الآية السلوك الواجب في مواجهة أعداء الدين من أتباع الشهوات والشبهات وهو اتباع ما أوحاه الله.. وهي كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ الزخرف: ٤٣. وأهمية الإعراض عن المشركين تكمن في أن الإعراض عنهم يجمع القلب على الوحي واتباعه والشغل بالمشركين يلفت القلب عن وجهته وغايته.. وهذه من أهم ما يحتاجه المسلم في هذا الزمان وفي كل زمان.

٢٠٢٠. فيها: أن على الداعي إلى الله عز وجل أن يستمر في عمله ودعوته ويسير على نور من الله ويحتمل ما يعترض طريقه من الأذى مع من يخالفه ويعفو ويصفح حتى ينال الظفر والخير والفتح والنصر المبين.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]

٢٠٢١. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أنه لا يقع شيء من مخالفات، وكفر وعصيان، إلا بإذن الله؛ فلا يقع في ملكه وسلطانه إلا بإرادته. وجه ذلك: أن الله تعالى قال في التي قبلها: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فأراد أن يعلم الله نبيه ﷺ ومن بعده، أنه ما أمر بالأعراض عنهم لعدم قدرته سبحانه عليهم، أو أنه عاجز عن هدايتهم - سبحانه -.

٢٠٢٢. تفيد إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى، وله الحكمة فيما يشاء ويختار؛ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٢٠٢٣. تفيد أن مشيئة الله عز وجل نافذة فلا يقع شيء في الكون إلا بمشيئته وإرادته حتى الشرك والمعاصي.

٢٠٢٤. تفيد أن التوفيق والخذلان بيد ربنا المنان فلنتضرع إليه كي لا يحرمنا من طاعته.

٢٠٢٥. تفيد مخافة المؤمن على إيمانه وضرورة اللجأ الى الله تعالى في طلب التثبيت على الحق وألا يزيغ قلبه بعد إذ هدا؛ لأن الهداية والخذلان بيده تعالى. وعليه الاجتهاد في اتخاذ كافة أسباب الثبات على الدين وخاصة أيام الفتن.

٢٠٢٦. فيها رد على القدرية الذين ينكرون خلق أفعال العباد.

٢٠٢٧. تفيد أن القدر لا يحتج به على المعائب وإنما يحتج به على المصائب؛ ولذا رد الله تعالى على أهل الشرك احتجاجهم بالقدر على شركهم؛ قال تعالى:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨ – ١٤٩].

٢٠٢٨. فيها أن قول الإنسان عن الكفار: (ولو شاء الله ما أشركوا) قول صحيح وجائز. لكن قول المشرك: (لو شاء الله ما أشركنا) احتجاجا بالقدر على معصيته قول باطل؛ لأن المشركين يريدون معارضة الأمر بالقدر.

٢٠٢٩. تفيد: أن الهداية بيد الله وحده.

٢٠٣٠. تفيد: أن الذي يعصم من المخالفة، هو الله وحده؛ وفي الحديث: "أعوذ بك من شر نفسي... وأن اقترف على نفسي سوءا ".

٢٠٣١. فيها: تقبيح الشرك، والحذر منه.

٢٠٣٢. فيها بيان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٠٣٣. فيها تَذْكِيرٌ وتَسْلِيَةٌ لِيُزِيحَ عَنْهُ كَرْبَ إعْراضِهِمْ عَنِ الإسْلامِ؛ لِأنَّ ما يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الكَدَرِ لِإعْراضِ قَوْمِهِ عَنِ الإسْلامِ يَجْعَلُ في نَفْسِهِ انْكِسارًا كَأنَّهُ انْكِسارُ مَن عُهِدَ إلَيْهِ بِعَمَلٍ فَلَمْ يَتَسَنَّ لَهُ ما يُرِيدُهُ مِن حُسْنِ القِيامِ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعالى بِأنَّهُ قَدْ أدّى الأمانَةَ وبَلَّغَ الرِّسالَةَ وأنَّهُ لَمْ يَبْعَثْهُ مُكْرِهًا لَهم لِيَأْتِيَ بِهِمْ مُسْلِمِينَ، وإنَّما بَعَثَهُ مُبَلِّغًا لِرِسالَتِهِ فَمَن آمَنَ فَلِنَفْسِهِ ومَن كَفَرَ فَعَلَيْها؛ لقوله:﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾. وكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٖ﴾ تَهْوِينٌ عَلى نَفْسِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِطَرِيقَةِ التَّذْكِيرِ لِيَنْتَفِيَ عَنْهُ الغَمُّ الحاصِلُ لَهُ مِن عَدَمِ إيمانِهِمْ.

٢٠٣٤. تفيد الآية إحاطة الله واطلاعه على عباده من قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ﴾.

٢٠٣٥. تفيد عظمة الرب جل وعلا فهو الحفيظ على عباده ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ الشورى: ٦ وهو الوكيل «حسبنا الله ونعم الوكيل».

٢٠٣٦. فيها: على الداعية أن يشغل نفسه بالتعبد إلى الله –ومنها البلاغ المبين– ولا يجهد نفسه حسرات على المعرضين –فإن الله كره طاعتهم–، ولا أن يحكم عليهم بالضلال المبين –فإن القلوب بيد الله علام الغيوب–.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

٢٠٣٧. فيها الحرص على ما يجعل تعظيم الله جل وعلا راسخا في القلوب ثابتا في الأعماق.

٢٠٣٨. فيها: التأكيد على تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به تعالى ولو ترتب على ذلك ترك عيب آلهة المشركين بحق.

٢٠٣٩. فيها أن سبّ الله تعالى من أشنع الجرائم وأكبر الموبقات الكفرية؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومما يبين أن السب قدر زائد على الكفر قوله تعالى:﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٖۗ﴾ ومن المعلوم أنهم كانوا مشركين مكذبين معادين لرسوله، ثم نهى

المسلمين أن يفعلوا ما يكون ذريعة إلى سبهم لله؛ فعلم أن سب الله أعظم عنده من أن يشرك به ويكذب رسوله ويعادى، فلا بد له من عقوبة تختصه لما انتهكه من حرمة الله كسائر الحرمات التي تنتهكها بالفعل وأولى، فلا يجوز أن يعاقب على ذلك بدون القتل؛ لأن ذلك أعظم الجرائم؛ فلا يقابل إلا بأبلغ العقوبات.. (الصارم المسلول ٥٥٢).

٢٠٤٠. في الآية إشارة إلى حماية تعظيم جناب الله تعالى والبعد عن ما يسبب خدش هذا التعظيم، فتعظيم الله ﷻ مقصد قرآني نبيل، وأصلٌ من أصول الاعتقاد.

٢٠٤١. تفيد ضلال المشركين وغلظ شركهم وكفرهم ومحبتهم للأنداد؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهؤلاء لما سبت الهتهم سبوا الله مقابلة، فجعلوهم مماثلين لله وأعظم في قلوبهم كما تجد كثيرا من المشركين يحب ما اتخذه من دون الله اندادا أكثر مما يحب الله تعالى.. (منهاج السنة ٣٩٥/٥).

٢٠٤٢. فيها أن الشرك له تأثير خطير على العقل والفطرة؛ فمع أن المشرك يؤمن بوجود الله إلا أنه إذا سببت آلهته سب الله.

٢٠٤٣. فيها تهديد وتوبيخ لأولئك المشركين الذين تجاسروا على مقام الله تعالى، وزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا.

٢٠٤٤. فيها أنه فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الله- تعالى- فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدى إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية.

٢٠٤٥. فيها أن الدعاء عبادة. وصرفه لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك من خصال عبادة المشركين لآلهتهم.

٢٠٤٦. فيها دليل على العمل بسد الذرائع المفضية للحرام؛ قال البغوي:(ظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله لأنه سبب لذلك). ويؤيده قوله ﷺ:" إنَّ أكبَرَ الكَبائِرِ أنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ والِدَيْهِ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وكيف يَسُبُّ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قال:

يَسُبُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فيَسُبُّ أباهُ، فيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ، فيَسُبُّ أُمَّهُ". متفق عليه؛ قال القرطبي: في هذه الآية أيضا ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع ؛ حسب ما تقدم في " البقرة ".

٢٠٤٧. فيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين. ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا تبتوا الحكم بين ذوي القرابات مخافة القطيعة. قال ابن العربي: إن كان الحق واجبا فيأخذه بكل حال وإن كان جائزا ففيه يكون هذا القول.

٢٠٤٨. فيها: بيان أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

٢٠٤٩. فيها الإرشاد إلى قاعدة ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاها إذا كان لابد من ارتكاب إحداهما ووجهه أن سب آلهة المشركين مطلوب لكن إذا تضمن سب الله عز وجل صار منهيا عنه. لأن مفسدة سب الله أعظم من مفسدة السكوت عن سب آلهة المشركين.

٢٠٥٠. فيها تربية الله تعالى للدعاة والمؤمنين لإعمال النظر في عواقب الأمور، فالعاقل من وفق ليعلم خير الخيرين وشر الشرين.

٢٠٥١. فيها النهي عن التسبب في وقوع الحرام مطلقا.

٢٠٥٢. فيها دليل على قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد.

٢٠٥٣. فيها أن بعض العمل يصح أن يكون مشروعا أو جائزا من جهة نفسه ويكون منهيا عنه من جهة ما يؤدي إليه من مفاسد أو من جهة مآله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لعائشة: "لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة....". الحديث.

٢٠٥٤. فيها أن المعصية إذا لم تكن بسبب فعل الطاعة بمعنى أنها حاصلة سواء فعلت الطاعة أو لم تفعل فإن هذا لا يسقط وجوب فعل الطاعة؛ يعني إذا كان السب لله تعالى حاصلا منهم ولو لم تسب آلهتهم فيجوز في هذه الحالة سب آلهتهم وما عليه من الشرك بها. ولذا لما حضر

الحسن هو وابن سيرين رحمهما الله جنازة حضرها نساء فأراد ابن سيرين الرجوع لمنكر شهود النساء الجنازة قال الحسن:(لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا) يعني لأن رجوعهما لن يمنع شهود النساء. أما إذا كان سيمنع فهو المتعين والله أعلم.

٢٠٥٥. فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، من خلال النهي عن سب آلهة المشركين حتى لا يقابلهم المشركون بالمثل.

٢٠٥٦. فيها أن الداعية إذا رأى منكرا فلا بد له من تقديره والنظر في مآلات إنكاره فإن كان إنكاره يؤدي إلى منكر أعظم فلا يجوز له الإنكار.

٢٠٥٧. فيها أن الداعية إلى الله جل وعلا لابد أن ينتقي ألفاظه وخطابه كي لا يوقع المخاطبين في فتنة.

٢٠٥٨. فيها: الدعوة إلى الله أدب وكلمة طيبة.

٢٠٥٩. فيها بيان خطورة الشرك وأنه ربما وصل بصاحبه أن يرى محبوبه أعلى قدرا وأعظم شأنا من ربه جل وعلا فلا يتحمل تنقيصا من شيخه ويهون عليه التنقيص من خالقه وبارئه. نعوذ بالله من الشرك وأهله.

٢٠٦٠. فيها إشارة إلى: أن الشرك بالله، رأس كل شر؛ لأنهم لا يسبون الله إلا بسبب شركهم به.

٢٠٦١. فيها أن الشرك بالله جل وعلا من أسباب سوء الأخلاق والجرأة على الخلاق.

٢٠٦٢. فيها أن الجهل بالله جل وعلا وبحقوقه داء خطير وشر مستطير.

٢٠٦٣. فيها بيان سعة حلم الله تعالى بمن عصاه بل تجرأ على سبه وانتقاصه!! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

٢٠٦٤. فيها: مراعاة الواقع في الدعوة والتفهم للعادات والتقاليد وإن كانت خاطئة حتى يعم الوعي ويرفع الجهل.

٢٠٦٥. فيها تعليم للدعاة أن يراعوا ردة فعل المدعو.

٢٠٦٦. فيها تربية الداعية لأخذ الحيطة والحذر من استفزاز أعدائه له حتى لا يخرجوه عن أصل دعوته وغايته.

٢٠٦٧. فيها أن الداعية المناظر إذا تحرك غيظه ليسب المخالف فليمسك.. فهنا ضرره على الدعوة أكثر من نفعه لها.

٢٠٦٨. فيها بدلالة الأولى التأدب مع المخالف لك من إخوانك الدعاة وطلبة العلم بإحسان الخطاب لهم. ومن ذلك المغالاة في التجريح وترك الرفق بين أهل الحق خاصة الدعاة، مما باعد الشقة بين كثير منهم.

٢٠٦٩. تفيد أهمية تعلم فقه إنزال الأحكام في الواقع، من خلال تحسب الآثار.

٢٠٧٠. فيها كما قال الشوكاني رحمه الله: "ما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصدين لبيانها للناس إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف. وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عنادا للحق وبغضا لاتباع المحقين وجراءة على الله سبحانه..".

٢٠٧١. نظم الآية منسجم مع أهداف الآية وهداياتها، فكان اختيار أسلوب النفي مقدماً على أسلوب الإثبات بالنقيض، فقال سبحانه:﴿ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ ولم يقل: بجهل، مع أن سبابهم ما هو إلا محض جهل وافتراء واعتداء، لكن لما كان المقام مقام توجيه المؤمنين إلى حكمة التعامل مع المشركين؛ كان إيثار أسلوب النفي هو الأنسب، وهذا يدل على التلاؤم بين الأسلوب القرآني ومقصود النص وهدايته. ففيها هداية تربوية في تعليم المؤمنين انتقاء الألفاظ والأساليب عند التعامل مع المخالف في المعتقد، فكيف الأمر مع المخالف في الرأي ووجهات النظر؟

٢٠٧٢. فيها: أن السبّ بغير علم عدوان وظلم.

٢٠٧٣. تفيد أن تعظيم الله تعالى أساسه العلم بالله تعالى، والسب منبعه الجهل بعظمته﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ وبهذا تجد السب لله تعالى لا يكون إلا من جاهل بعظمته جل وعلا.

٢٠٧٤. فيها أن آفة الضلال الجهل.

٢٠٧٥. فيها إشارة إلى فضل العلم.

٢٠٧٦. في هذه الآية إبطال السب وإلغاءه من أساسه فإذا نهى الله عن سب شركاء مزعومين بالباطل.. وبضميمة نفي النبي صلى الله عليه وسلم صفة السب عن المؤمن في قوله: " ليس المؤمن بالسباب ولا الفاحش ولا البذيء "؛ فدل ذلك على غاية التهذيب للمؤمن في عباراته مع الناس عموما وفي مقام الدفاع عن الدين والدعوة إليه.. والواقع وللأسف الشديد يحفل بكم هائل من التساب والتشاتم باسم الدين بين المسلمين لمجرد خلاف فقهي فكيف إذا كان بين مسلم وغير مسلم.. والخلاصة طهارة اللسان من السب خصلة محمودة يحبها الله في عبده المؤمن. قال بعض العلماء: ووجه النهى عن سب أصنامهم هو أن السب لا تترتب عليه مصلحة دينية، لأن المقصود من الدعوة هو الاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله- تعالى- فذلك الذي يتميز به المحق من المبطل، فأما السب فإنه مقدور للمحق وللمبطل فيظهر بمظهر التساوي بينهما، وربما استطاع المبطل بوقاحته وفحشه ما لا يستطيعه المحق، فيلوح للناس أنه تغلب على المحق. على أن سب آلهتهم لما كان يحمى غيظهم ويزيد تصلبهم صار منافيا لمراد الله من الدعوة فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: ١٢٥ وأصبح هذا السب متمحضا للمفسدة وليس مشوبا بمصلحة، وليس هذا مثل تغيير المنكر إذا خيف إفضاؤه إلى مفسدة، لأن تغيير المنكر مصلحة بالذات وإفضاؤه إلى المفسدة بالعرض. وذلك مجال تتردد فيه أنظار العلماء المجتهدين بحسب الموازنة بين المصالح والمفاسد قوة وضعفا وتحققا واحتمالا، وكذلك القول في تعارض المصالح والمفاسد كلها.

٢٠٧٧. تفيد أن المؤمن لا يضيره سب وشتم الآخرين له؛ فما دام سلم له معبوده من السب والشتم والإهانة فما سواه هين؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يغضب لنفسه؛ وإنما يغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى.

٢٠٧٨. فيها أن أعظم صور الأذى التي تقع على نفس العبد المؤمن: التطاول والجرأة على الله سبحانه.

٢٠٧٩. تفيد أن سب الخصم لا يؤدي إلى نهاية أو غاية محمودة وملموسة؛ وأن قيم الإسلام تدعو المسلم إلى أن يكون صاحب أهداف وغايات محمودة في جميع شؤون حياته؛ واشغال المسلم نفسه بالسباب ورد السباب بالسباب مما ينبغي أن يترفع ويتجافى عنه.

٢٠٨٠. تفيد سبب تعصب أهل الباطل لباطلهم: ما زين لهم من سوء عملهم فرأوه حسنا.

٢٠٨١. فيها: بيان سنة الله في تزيين الأعمال لأصحابها خيرا كانت أو شرا.

٢٠٨٢. تفيد أهمية كشف حقيقة الباطل للناس حتى يروه على صورته الحقيقية، وليس على ما يزينه لهم شياطين الجن والأنس.

٢٠٨٣. فيها: من سنن الله في الأمم أن يكون فيها خلاف وصراع بين الحق والباطل.

٢٠٨٤. فيها بيان أن لكل نحلة وملة وطريقة وباطل أعوانا يدعون له وينافحون عنه... فلا يكن أهل الشر والضلال يعملون لباطلهم... وأهل الحق يسكتون عن حقهم وصوابهم... هذا من العجز الذي أُمرنا بتركه... ألا ترى أهل الباطل كيف ينافحون عن باطلهم وضلالهم ويستميتون في ذلك فأين أهل الحق؟ قال عمر: عجبت من جلد الفاجر وعجز الثقة.

٢٠٨٥. فيها: رد على القدرية؛ لقوله؛ ﴿ زَيَّنَّا ﴾ ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل: ٤].

٢٠٨٦. فيها: أهمية ربط السامعين بالغيب والدار الآخرة والوعي بالرجوع إلى الله تعالى.

٢٠٨٧. تفيد الآية إثبات البعث والحساب.

٢٠٨٨. تفيد الآية إحاطة الله وعلمه بكل شيء.

٢٠٨٩. تفيد كمال علمه بكل ما يقع في كونه، وأن كل عامل سيجد جزاء ما قدم.

٢٠٩٠. تفيد كمال حلمه جل وعلا على من عصاه وسبه، وأنه لا يعاجلهم بعقوبة.

٢٠٩١. فيها: بيان أن لله عز وجل الحكمة البالغة فيما يختاره ويشاؤه.

٢٠٩٢. فيها: الحث على إخلاص العمل وإتقانه حيث المصير إلى الله عز وجل في يوم المعاد والمجازاة على الأعمال.

٢٠٩٣. ما أجمل خاتمة هذه الآية؛ إن من يسبونه في الدنيا هو ربهم سبحانه وتعالى؛ فكيف سيكون موقفهم أمامه حين يرجعون إليه؛ لم يقل سبحانه وتعالى: (ثم إليه مرجعهم) بل قال: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ ما أكرم هذا الرب؛ يسبونه فيحلم عليهم؛ ويحنو عليهم؛ ويعاملهم معاملة المربي؛ لا معاملة العدو لهم؛ فيا الله ما أجملها من خاتمة؛ إن كانت هذه عاداته مع أعدائه فكيف هي عاداته مع أوليائه.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]

٢٠٩٤. تفيد أن الهوى مانع من الإيمان ولو أقسم صاحبه أنه سيتّبع الحق.

٢٠٩٥. فيها: الوعود المسبقة لاتباع الحق من أصحاب المصالح والأهواء لا يوثق بها ولو أكدت بالقسم.

٢٠٩٦. فيها أن من علق إيمانه بسبب أو شرط فلن يؤمن صدقا إلا أن يريد به الله خيرا.

٢٠٩٧. فيها: أن الهداية بيد الله عز وجل فهو الذي يهدي من يشاء؛ اللهم اهدنا فيمن هديت.

٢٠٩٨. فيها: أن أصحاب القلوب المريضة لا تزيدهم الآيات والمعجزات الا استكبارا وجحودا وإعراضا.

٢٠٩٩. تفيد أن الحلف لا يكون إلا بالله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته؛ أفاده قوله:﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ قال النبي ﷺ: من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

٢١٠٠. تفيد: التحذير، وذم تغليظ الأيمان بالكذب، وكما قال تعالى:﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]: و"حلاف": صيغة مبالغة من حالف.

٢١٠١. فيها أن المشركين يعرفون الله عز وجل ويحلفون به، ولكنهم أشركوا به في العبادة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

٢١٠٢. فيها النهي عن التشبه بالمشركين في التعرض للفتن واقتراح الآيات؛ فإن الإنسان لا يدري حاله حينئذ..

٢١٠٣. تفيد أهمية علم الوقف والابتداء في فهم الهدايات القرآنية؛ حيث إن بعض علماء القراءات يقف عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ ثم يبتدأ بقوله: ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

٢١٠٤. تفيد شفقة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وحبهم الشديد لإيمان أقوامهم كما يفيده سبب نزولها؛ ولهذا قال تعالى:﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ أي: وما يدريكم وأنتم مشفقون عليهم وحريصون على إيمانهم ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

٢١٠٥. تفيد أهمية تقدير الأمور وتقييم المواقف؛ للتعامل معها بالشكل والأسلوب المناسبين؛ وبيانه: أن الله لم يذكر استواء شعور المؤمنين بأيمان هؤلاء وعدم إيمانهم؛ إذ لم يقل: (وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون) بل اكتفى بقوله:﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾؛ وذلك نظرا لمواقف سابقة لامم ماضية فاكتفى بالظاهر والمشتهر في هذا الأمر.

٢١٠٦. تفيد مع ما بعدها أن ثواب الحسنة؛ الحسنة بعدها، وثواب السيئة؛ السيئة بعدها؛ لقوله تعالى بعد هذه الآية:﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي

﴿طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فذكر أن هذا التقليب إنما حصل لقلوبهم لما لم يؤمنوا به أول مرة؛ فاللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

٢١٠٧. تفيد: أن الله سبحانه وتعالى لا يعجل بعجلة الناس.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

٢١٠٨. فيها أن من أعظم العقوبات الإلهية صرف القلوب والأبصار عن موارد الهداية والنور.

٢١٠٩. فيها أن القلوب بين يدي الله يقلبها كيف يشاء.

٢١١٠. فيها التحذير من رد الحق وأن صاحبه يعاقب بتقليب القلب.

٢١١١. تفيد الارتباط الوثيق بين القلب والعين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس من الأعضاء أشد ارتباطا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧] ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ [النازعات: ٨ – ٩] ولأن كليهما له النظر؛ فنظر القلب الظاهر بالعينين والباطن به وحده.. (مجموع الفتاوى ١٦/٢٢٥).

٢١١٢. تفيد تعظيم الرب جل وعلا فهو مقلب القلوب والأبصار، وتفيده أيضا صيغة الجمع التي تدل على التعظيم ﴿وَنُقَلِّبُ﴾.

٢١١٣. تفيد إثبات الأفعال لله سبحانه وتعالى؛ ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

٢١١٤. فيها أن عمى القلب يتبعه عمى البصر مباشرة ولذا قرن بينهما سبحانه وتعالى؛ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٢١١٥. تفيد أهمية القلوب والأبصار في الفهم والإدراك والانتفاع بالآيات.

٢١١٦. فيها: بقدر زيادة الإيمان ونقصانه يكون ثبات الأفئدة وتحقق البصيرة.

٢١١٧. فيها: تقديم الافئدة على الأبصار يشير إلى أنها أهم وأثرها أعظم، وفي الحديث: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". متفق عليه.

٢١١٨. تفيد التعلق بالله تعالى ودعائه بثبات القلب وعدم الزيغ؛﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول من:" يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

٢١١٩. فيها أن الله لا يضل العبد ابتداء.. ودليله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥ – ١٠] فنسب الفعل الأول للعبد والثاني لذاته الجليلة..

٢١٢٠. فيها دليل على أن الله هو الهادي وهو المضل.

٢١٢١. فيها أن الجزاء من جنس العمل.

٢١٢٢. فيها أن الضلال ثمرة للسعي في طريقه والحيدة عن هدى الله.

٢١٢٣. فيها أن من جحد ما أنزل الله لم يثبت قلبه على شيء لأن الكاف في قوله: ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ للتعليل. ومفهوم المخالفة أن العقيدة الصحيحة من عوامل الثبات.

٢١٢٤. فيها بيان خطورة وأثر المبادرة خيرا أو شرا.

٢١٢٥. فيها أن العاقل ما ينبغي له أن يسارع في إنكار ما يسمعه أول مرة بل الواجب هو التروي والتمهل والنظر.

٢١٢٦. فيها أن تفويت الفرص العظيمة نوع من الحرمان وصورة من الخذلان فقد لا تحصل على مثل هذه الفرصة أبدا؛ لقوله:﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

٢١٢٧. تفيد خطورة عدم الإيمان من أول مرة يتبين فيها الحق وأنه يؤدي إلى الضلال البعيد.

٢١٢٨. تفيد: أهمية ذكر تعليل العقاب وأسبابه؛ لقوله:﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

٢١٢٩. فيها دليل على أن الواجب يعاقب تاركه.

٢١٣٠. فيها أن الهدى منزلة عالية ودرجة عظيمة لا تعطى لذوي الهمم الدنية والنفوس الرزية.

٢١٣١. فيها بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين وأنه بسبب ذنوبهم السابقة يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوبتها فعقوبة المعصية معصية بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

٢١٣٢. تفيد أن من عقوبة السيئة السيئة بعدها. كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

٢١٣٣. فيها أن جحد الحق ورده علامة على طغيان العبد.

٢١٣٤. فيها بيان عزة الحق فمن تركه بعد أن علم به وأعرض عنه بعد معرفته له يحرم منه وبصرف عنه.

٢١٣٥. فيها بيان عدل الله تعالى وحكمته بعباده فإنهم الذين جنوا على أنفسهم وفتح لهم الباب فلم يدخلوا وبين لهم الطريق فلم يسلكوا فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق كان مناسبا لأحوالهم. أفاده السعدي.

٢١٣٦. فيها: تعاهد نفسك بالمسارعة إلى الاستجابة لشرع الله، فتباطؤك قد يكون سببا في تخاذلك وضياعك.

٢١٣٧. تفيد أنهم يعاقبون على ترك الإيمان أول مرة بعد وجوبه عليهم إما لكونهم عرفوا الحق وما أقروا به أو تمكنوا من معرفته فلم يطلبوا معرفته.

٢١٣٨. فيها دليل على أنه لا عقوبة إلا بعد البيان وإقامة الحجة وهذا من عدل الله تعالى.

٢١٣٩. فيها: تجاوز الحد والعصيان من أسباب الإضلال، كما أن الطاعة من أسباب الهدي، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

٢١٤٠. فيها رد على المعتزلة الذين يقولون إن الإنسان هو الذي يهدي نفسه ويضلها.

٢١٤١. فيها أن الضلال من أعظم طرق الحيرة وعدم الاهتداء ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

٢١٤٢. تفيد أن رد الحق بعد وضـــوحه وجلائه من الطغيان، وفي الحديث: "الكبر بطر الحق" أي رده. رواه مسلم.

٢١٤٣. فيها: الحذر من خذلان الله للعبد، وإعراضــه عنه، وتركه له في غيه يتمادى؛ لقوله: ﴿ وَنَذَرُهُمْ﴾.

٢١٤٤. ففيها بيان حاجة العبد وافتقاره إلى ربه. وعليه: فعلى العبد أن يسأل ربه السلامة من الخذلان، وأن يدركه برحمته، ولا يكله إلى نفسه؛ وفي الحديث: "لا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]

٢١٤٥. فيها: مناسبة لما سبق؛ ففيها: إشعار للرسول وصحبه، بأن هؤلاء لا يؤمنون ولو نزل عليهم ما طلبوا من الآيات؛ لقوله فيما سبق: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

٢١٤٦. تفيد، وبضـــميمة ما ســـبق: أهمية الاســـتثناء، فإن القوم ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾، ولم يســـتثنوا؛ ولذا نبه على أهمية الاســـتثناء فقال: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ونحوه: ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: ١٨] ولو أنهم اســـتثنوا، لكان له معهم شـــأن آخر؛ أهل الجود والكرم وهو الله – جل ذكره –. وعليه: فلا ينبغي للأحد أن يتألى على الله، وإنما الذل والخضـــوع إليه، ودعاؤه؛ فمن أتاه يمشي أتاه هرولة.

٢١٤٧. تفيد أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه.

٢١٤٨. فيها: تعظيم الله؛ لقوله: ﴿ أَنَّنَا ﴾ فالنون للعظمة، والجمع للتعظيم.

٢١٤٩. تفيد إثبات صفة العلو للعلي العظيم.

٢١٥٠. فيها الإيمان بالملائكة، وأنهم ينزلون من السـماء؛ قال تعال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢].

٢١٥١. فيها أن الملائكة عالم علوي مسكنهم السموات.

٢١٥٢. تفيد: أن أصل تواجد الملائكة، في السماء. والأدلة كثيرة.

٢١٥٣. يفيد مفهوم الآية أن تكليم الموتى للأحياء غير ممكن.

٢١٥٤. تفيد النهي عن الغلو في الموتى فإنهم لا يتكلمون ولا ينفعون ولا يضرون.

٢١٥٥. فيها أن الأسـباب المادية وحدها ليسـت كافية للهداية؛ بل الهداية نور يقذفه الله في القلب، ومن أدعية الرسـول عليه الصـلاة والسـلام. "اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك......".

٢١٥٦. تفيد: أنه ليس كل الناس ينتفعون بالأدلة الظاهرة. فيا عبد الله، إذا ما بينت، وذكرت الأدلة والبراهين على صحة قولك، لا تحزن لمن لم يقنع؛ فقد فعلوا ذلك مع الله؛ ومع أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

٢١٥٧. فيها: بيان قهر الله وسـلطانه وهيمنته على خلقه؛ فلو اجتمع الثقلان وكل ما خلق ومن خلق الله، ليهدوا نفسا ما استطاعوا، والعكس.

٢١٥٨. فيها: أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أبداً، وبهذا تقررت ربوبيته وألوهيته للأولين والآخرين.

٢١٥٩. تفيد قدرة الله تعالى على كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر.

٢١٦٠. تفيد أن الهداية بيد الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده؛ يفيده قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ويؤيده قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

٢١٦١. فيها: رد على القدرية والمعتزلة؛ في قوله إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ حجة واضحة على المعتزلة لدلالته على أن جميع الأشياء بمشيئة الله- تعالى- حتى الإيمان والكفر. وقد اتفق سلف هذه الأمة وحملة شريعتها على أنه «ما شاء الله كان وما لم يشأ لهم يكن». والمعتزلة يقولون «إلا أن يشاء الله مشيئة قسر وإكراه وفي الآية رد واضح على أهل القدر.

٢١٦٢. فيها: بيان علم الله بالغيب المستقبلي، وعلمه ما سيقع من العباد؛ وعليه: فهذا وجه ثان للرد على القدرية.

٢١٦٣. فيها أن الإيمان بالله تعالى والاستسلام لشرعه سبحانه فضل ومنة منه جل وعلا.

٢١٦٤. فيها أن من موانع الهداية وأسباب الحرمان معاندة الشرع والإصرار على الباطل.

٢١٦٥. فيها أنه لا يحاور ويجادل إلا من له رغبة في الوصول إلى الحقيقة أما المعاند فما ينبغي تكليمه وإضاعة الوقت معه.

٢١٦٦. تفيد أسلوب الاحتراز وعدم إطلاق الأوصاف والأحكام العامة على الناس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

٢١٦٧. تفيد: عدم الإغترار بالكثرة؛ فما دمت على الحق فأنت الجماعة ولو كنت وحدك. وما جاءت الكثرة في التنزيل، إلا مذمومة.

٢١٦٨. فيها: من أعظم الجهل بل هو أعظمه أن لا تصل بك الآيات إلى توحيد الله والإيمان به.

٢١٦٩. فيها: الآيات على توحيد الله عظيمة لكن يُحجب كثير من الناس عنها بسبب العناد والاستكبار والجهل.

٢١٧٠. تفيد: أن الكافرين جهلة بالله، وأنه بيده هدايتهم.

٢١٧١. فيها إشارة إلى: سفههم، وعدم توفيق الله لهم؛ فلا يلجؤون إلى الله ليوفقهم للهداية.

٢١٧٢. فيها أن الجهل أساس كل ضلال وغواية.

٢١٧٣. تفيد: ذم الجهل، والحذر منه.

٢١٧٤. فيها: إشارة إلى عظيم جرم الكفار، وقسوة قلوبهم، وعنادهم وتعنتهم؛ لأن ما طلبوه واقترحوه من الآيات، كان استهزاء بالله وآياته؛ فلم يطلبوه استرشادا. وعليه: فالحذر من التعنت عند طلب الحق.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]

٢١٧٥. تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها؛ فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة أن (أكثرهم يجهلون) أشار في هذه الآية أن (الجاهلون لأهل العلم أعداء)؛ فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

٢١٧٦. فيها: تعظيم الله جل وعلا، لقوله: ﴿جَعَلْنَا﴾ فالنون للعظمة والجمع للتعظيم. ففيه: إشعار بقوة الله وسلطانه وهيمنته على هؤلاء الشياطين، ولذا قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

٢١٧٧. تفيد إثبات النبوات وكثرتها وكثرة أعدائها.

٢١٧٨. فيها تسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن سنة الله أن يجعل لكل نبي من يعاديه ويكفر برسالته كما يجعل له من يؤمن به ويناصره. وإعلام له بأن هذه العداوة سنة لله ماضية، حتى أدرك ذلك مثل ورقة بن نوفل – رضي الله عنه –، "لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي". رواه البخاري.

٢١٧٩. تفيد: أن أهل الحق مبتلون، وكما قال الراهب للغلام – في قصة أصحاب الأخدود – : "وإنك ستبتلى،". رواه مسلم.

٢١٨٠. فيها إظهار الاعتناء به وحمايته وتدبير أمره قوله: ﴿رَبُّكَ﴾.

٢١٨١. فيها أن كيد الكائدين للدعاة لخير لهم لا لشر يراد بهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

٢١٨٢. يشعر لفظ الربوبية عظيم الرعاية الربانية لأوليائه وأصفيائه، فكم تجلب هذه الآية في النفس من الطمأنينة والأنس والعزة والثقة؟

٢١٨٣. فيها: إذا ورث العالم من النبي ﷺ رسالته؛ فلابد أن يرث معها خصومها، وإلا ففي رسالته خلل، فليفتش عنه.

٢١٨٤. فيها: إذا كان لكل نبي عدو من شياطين الإنس والجن فلكل داعية من الدعاة إلى الله عدو من شياطين الإنس والجن كذلك.

٢١٨٥. فيها: إذا كان هذا التحذير يقع للأنبياء عليهم السلام فمن دونهم أولى به.

٢١٨٦. تفيد أن العداوات باقية في هذا الكون منذ الأزل سواء كان ذلك بين الناس بعضهم ببعض؛ وبينهم وبين شياطين الجن؛ وذلك تماشيا مع سنة الله تعالى في التدافع بين الحق والباطل.

٢١٨٧. تقديم شياطين الإنس على الجن فيه إشارة إلى أن خطر شياطين الإنس أشد. قال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن؛ وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً. (البغوي:٢ / ٥٦).

٢١٨٨. فيها: جواز إطلاق لفظ الشيطان على بعض الإنس.

٢١٨٩. يفهم من الآية أن جميع من نصب العداوة للأنبياء أو لأحدهم بأي طريق كان، كالتعرّض لهم بالأذية قولا أو فعلا، أو بمخالفة أمرهم والدعوة إلى غير ما يدعون إليه فإنه داخل في مسمى "شياطين الإنس".

٢١٩٠. تفيد إثبات الجن وأن فيهم مردة وأنهم يوحون إلى أوليائهم من الإنس للضلال والإضلال؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٢١٩١. فيها: شيطان الجن له وحي لأوليائه من الإنس قيل لابن عباس رضي الله عنه: (إن فلان يوحى إليه) فقال: (صدق) وتلا هذه الآية.

٢١٩٢. فيها التحذير من التمويه والتغرير فإن أمضى سلاح للشيطان هو التزيين والتغرير.

٢١٩٣. تفيد أن الإنسان ذو الفطرة السوية لا يمكن أن يقبل الباطل كما هو حتى يزخرف ويزين. ومن أخطر ما يواجه الأمة التزييف الإعلامي؛ زخرفة الباطل وخلطه بشيء من الحق حتى تقبله النفوس قال ﷺ: "أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان".

٢١٩٤. فيها: زخرف قول الشياطين والمنافقين ووسائله متنوعة ومتلونة كتلونهم لتحقيق الإغراء والغرور.

٢١٩٥. تفيد أن:

فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ ذَمَمْتَ فقُلْ: قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... حُسْنُ الْبَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّور

٢١٩٦. تفيد عدم الاغترار بزخرفة الباطل وبهجته فإنه لا حقيقة له..

٢١٩٧. فيها تنبيه للدعاة والعلماء أن يوطنوا نفوسهم لعداوة هؤلاء الشياطين وأن يكونوا على حذر ويقظة فلا يغتروا بزخرفتهم للأقوال كما قال عمر: لست بالخب ولا الخب يخدعني.

٢١٩٨. تفيد: أن {الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.

٢١٩٩. تفيد أن البلاء بتعدد طرقه قد وقع على أفضل الخلق وهم الأنبياء فصبروا على ما كُذِبوا فاحذوا حذوهم من الصبر عند البلايا إذا وقعت بك.

٢٢٠٠. فيها: أن على الداعية أن يوطن نفسه على الصبر لإن الأعداء سوف يحاربونه وله في أنبياء الله أسوة.

٢٢٠١. فيها: مهما علت مرتبتك في الإيمان لا تظنن سلامتك من عداوة الشيطان.

٢٢٠٢. فيها إثبات المشيئة لله تعالى.

٢٢٠٣. فيها: قوله:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ كم من اليقين والتثبيت تبثه في النفس.

٢٢٠٤. فيها: أن الأمر كله لله وتحت مشيئته فلو شاء عدم فعل ذلك الإيحاء والوسواس من شياطين الإنس والجن ما فعلوه.

٢٢٠٥. فيها: رد على القدرية.

٢٢٠٦. فيها إرشاد إلى سبيل الخلاص من كيد هؤلاء الشياطين، وهو الإعراض عنهم ومجانبتهم، ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ وقد كان السلف الصالح يتجنبون أهل الأهواء كما روي عن ابن سيرين رحمه الله وغيره.

٢٢٠٧. تفيد تقويه روح المؤمن والداعيه والمفترى عليه دعهم لهواهم وهوان ما فتروه فإنه لا يضرك ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

٢٢٠٨. فيها تهديد ووعيد للمعرضين والمكذبين؛ ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

٢٢٠٩. تفيد: أن الشبهات، وما يلقيه هؤلاء، يتكرر ويتجدد، دل عليه المضارع في قوله: ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ وهو مستمر إلى يوم القيامة.

٢٢١٠. تفيد أن الباطل افتراء وكذب لا خير فيه؛ لقوله: ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾.

٢٢١١. فيها، وبضميمة ما بعدها: أن زخرف القول ينطلي على بعض من شاء الله إضلاله، وأن له من يسمعه ويعتقده ويرضاه. وعليه: ففيها: مناسبة لما بعدها، لقوله: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ [الأنعام:] ١١٣.

قال تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٣]

٢٢١٢. تفيد مع ما قبلها أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان، فمن لم يؤمن بالأخرى أصغى إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل، كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وغيرها.. (ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/٥٦ - ٩/٣٢-٣٣).

٢٢١٣. فيها: مناسبة لما سبق؛ فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعداء الرسل وتشربها وصار مفتونا بها.

٢٢١٤. تفيد مع ما قبلها أن من حكمة جعل أعداء للأنبياء وأنصار للباطل حصول الابتلاء والامتحان ليتميز الصادق من الكاذب والعاقل من الجاهل والبصير من الأعمى.

٢٢١٥. فيها مع ما قبلها: الحَذَرُ مِنَ الشَّيطانِ؛ فإنَّه قد لَزِمَ ثَغْرَ الأُذُنِ، يُدْخِلُ فيها ما يَضُرُّ العبدَ ولا ينفَعُه بطُرُقٍ خفيَّةٍ دقيقةٍ، لا يَفْطِنُ لباطِلِها كلُّ أحدٍ؛ فتُسْرِعُ العقولُ الضَّعيفةُ إلى قَبولِه واستِحْسانِه؛ يُبَيِّنُ ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قَوْلِه: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

٢٢١٦. تفيد أن النفوس تتجاذب إلى ما يشبهها كما قال عليه الصلاة والسلام: "الأرواح جنود مجندة....". فالمعنى: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة لأنه الموافق لأهوائهم إذ يميلون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقوال ومموهات الأباطيل.

٢٢١٧. تفيد ذما عظيما للكفار الذين صغت قلوبهم لكلام الشياطين وأحبوه واتبعوه، ولم تصغ قلوبهم لكلام رب العالمين وتحبه وتعمل به.

٢٢١٨. تفيد: أن قلوب الذين يؤمنون بالآخرة، تصغى وتميل إلى كلام الله الحق، فالمؤْمِنُونَ بِها لا يُتَصَوَّرْ مِنهُمُ المَيْلُ إلى تِلْكَ المزَخْرَفاتِ لِعِلْمِهِمْ بِبُطْلانِها ووَخامَةِ عاقِبَتِها.

٢٢١٩. فيها: إشارة إلى أهمية عمل القلوب، وأن الجوارح تابعة.

٢٢٢٠. فيها أن الفؤاد يسمع وقد يضل وقد يهتدي بسماعه.

٢٢٢١. تفيد أن القلوب المريضة هي التي تميل إلى كلام شياطين الإنس والجن المزخرفة وتصغي لهم ويرضون به ويكتسبوا منه، بعكس قلوب أهل الإيمان فإنها تميل إلى كلام الرحمن وتصغى له وترضى به وتجعل كسبها في الحياة منه.

٢٢٢٢. تفيد أن ما في القلب من إيمان هو الذي يحدد ميول الإنسان وكسبه، فلا تعجب ممن جعل كسبه في الحياة الاصغاء للباطل واللهو والهوى.

٢٢٢٣. فيها: أن القلوب الفارغة من الإيمان بالله ووعده ووعيده في الدار الآخرة أكثر القلوب ميلا إلى الباطل والشر والفساد.

٢٢٢٤. تفيد: أن الشبهة محلها القلب؛ وفي الحديث: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز، مجخيا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه". رواه مسلم.

٢٢٢٥. تفيد: خطر الإصغاء للبدعة والشبهة؛ وعن الحسن: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم. وقيل: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك. ومن ذلك خطر الإصغاء لما يطرحه أهل الكفر من شبهات على المسلمين؛ إلا لعالم يرد عليهم ويدحض حججهم.

٢٢٢٦. تفيد أن الاستماع للباطل يجر لما بعده؛ لأن الاصغاء يكون بمعنى الاستماع الذي يجر بعد ذلك لميل القلب، ولهذا عباد الرحمن والمتقون عن اللغو معرضون.

٢٢٢٧. تفيد أن الضلال يبدأ من ميل القلب للباطل، فإذا مال القلب رضية بالباطل، وإذا رضية بالباطل اكتسب منه ما شاء بجوارحه، فهي تبين كيفية موقوع الناس في مصايد شياطين الإنس والجن.

٢٢٢٨. تفيد أن القلوب الحية لا تميل للباطل مهما زين وزخرف ولا تقبل به.

٢٢٢٩. فيها إثبات الآخرة، وكفر من لا يؤمن بها..

٢٢٣٠. تفيد: أن الإيمان بالآخرة، عصمة من هؤلاء.

٢٢٣١. تفيد بمفهومها أن أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات، ولا تخلبهم تلك التمويهات، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقا قبلوها، وانقادوا لها، ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظا غير وافية، وإن كانت باطلا ردوها على من قالها، كائنا من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من الحرير. ومن حكمة الله تعالى، في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصارا قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى. ومن حكمته أن في ذلك بيانا للحق، وتوضيحا له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه -حينئذ- يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب، التي يتنافس فيها المتنافسون. أفاده السعدي.

٢٢٣٢. تفيد أن تعميق الإيمان بالآخرة في القلوب من أعظم أسباب معالجة ميل النفوس تجاه الباطل والهوى.

٢٢٣٣. تفيد أن زيادة الإيمان في القلوب من موانع وقوع الانحرافات في المجتمعات.

٢٢٣٤. تفيد أن تزين الشياطين للباطل نوع ابتلاء من الله وامتحان يسقط فيه ضعفاء الإيمان بالآخرة.

٢٢٣٥. تفيد أن أعظم ما يواجهه به الباطل كشف التلبيس والتزين والزخرفة التي يعرضون بها الباطل من خلال تبصير الناس بحقيقة دعوتهم وما يريدون الوصول إليه.

٢٢٣٦. فيها أن من يؤمن باليوم الآخر يعلم بطلانها فلا يغره زخرف القول ولا يعجبه الباطل.

٢٢٣٧. فيها حماية الله جل وعلا لأهل العقيدة الصحيحة؛ لأن همة المؤمنين باليوم الآخر مصروفة إلى معرفة الحقائق.

٢٢٣٨. تفيد أن منطلق إصلاح النفوس يبدأ بإصلاح معتقدات القلوب.

٢٢٣٩. تفيد: أن فساد المعتقد، يؤدي إلى فساد العمل.

٢٢٤٠. تفيد: أن الكفر بالآخرة جماع كل شر وكفر.

٢٢٤١. خص عدم إيمانهم بالآخرة بالذكر- مع أنهم لا يؤمنون بأمور أخرى يجب الإيمان بها- لأن من لم يؤمن بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب يمشى دائما وراء شهواته وأهوائه ولا يتبع إلا زخرف القول وباطله. (الوسيط في التفسير).

٢٢٤٢. تفيد أن عدم الإيمان بالآخرة يوقع في الكفر والشرك والمعاصي ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣].

٢٢٤٣. تفيد أن مهمة الداعية البلاغ والبيان وبعد ذلك كل أحد يتحمله مسؤوليته في الآخرة.

٢٢٤٤. تبين أن الرضا بالكفر كفر.

٢٢٤٥. فيها: رد على الجبرية.

٢٢٤٦. تفيد أن الباطل يبدأ بخداع كبير مزين للناس حتى يميلوا إليه، ثم يرضون به ثم يقعون فيه فلينتبه لذلك.

٢٢٤٧. تفيد تهديدا عظيما لمن يفعلون المعاصي اتباعا لتزيين الشياطين﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ بما يرغب في التوبة والانابة.

٢٢٤٨. فيها: ترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لأنه أولا يكون الخداع فيكون الميل ثم الرضا به ثم الفعل أي الاقتراف فكل واحد مسبب عما قبله. قاله أبوحيان.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]

٢٢٤٩. تفيد ضلال من يطلب معبودا غير الله تعالى؛ لأنه قيل في معناها: قُلْ لَهُمْ: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَطْلُبُ مَعْبُودًا؛ لِأَنَّهُ كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى طَوَاغِيتِهِمْ.

٢٢٥٠. في الآية دلالة على عدل الله سبحانه في جميع أحكامه، ولذلك قال: ﴿ حَكَمًا ﴾ ولم يقل "حاكما"، قال القرطبي: الحكم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق، فحَكَمًا أبْلَغُ مِن حاكمٍ ولِذَلِكَ لا يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ العادِلِ

٢٢٥١. تفيد أن الله تعالى هو أعظم من يحكم في عباده وبين عباده.

٢٢٥٢. تفيد حرمة وبطلان التحاكم إلى غير الوحي الإلهي.

٢٢٥٣. تفيد أن الاستفهام الإنكاري من أساليب القرآن البليغة في تقرير الحقائق الإيمانية.

٢٢٥٤. تفيد أن آيات القرآن الكريم واضحة مُبينة لا غموض فيها.

٢٢٥٥. تفيد أن من أسماء القرآن الكريم "الكتاب".

٢٢٥٦. تفيد أهمية شدة العناية بالقرآن وأخذه لأنه منزل للعباد﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ فهو لكم منة ورحمة وهداية.

٢٢٥٧. في قوله:﴿ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ دليل على شمولية القرآن الكريم لجميع الأحكام فلا يعدل إلى غيره، كما قال:﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٨٩] وقال السعدي: أي موضَّحا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه.

٢٢٥٨. تفيد: وجوب التحاكم لشرع الله، وأن الشريعة كاملة مبينة مستوفية ﴿ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ لا تحتاج إلى زيادة مثقال ذرة.

٢٢٥٩. فيها ردٌّ على من يَزْعُم أنَّ نُصوصَ الكتابِ لها معانٍ لا تُفهَم، ولا يُعْلَمُ المرادُ منها، أو أنَّ لها تأويلاتٍ باطنةً خِلافَ ما دلَّت عليه ظواهِرُها﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ أي: إنَّ الكتابَ الحاكِمَ مُفصَّلٌ بَيِّنٌ؛ يُنظر:(الصواعق المرسلة) لابن القيم (٣/١٠٤٣- ١٠٤٤).

٢٢٦٠. تفيد كلمة ﴿ مُفَصَّلاً ﴾ مُبَيَّنًا فِيهِ الحَقُّ والباطِلُ بِحَيْثُ يَنْفِي التَّخْلِيطَ والِالتِباسَ.

٢٢٦١. تفيد كلمة﴿ مُفَصَّلاً ﴾ أنَّ القُرْآنَ بِإعْجازِهِ وتَقْرِيرِهِ مُغْنٍ عَنْ سائِرِ الآياتِ.. ذكره البيضاوي.

٢٢٦٢. تفيد: أن من لم ينزل الكتاب، وجب خلع التحاكم إليه؛ لقوله:﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فمن لم ينزل كتابا، لا يحل التحاكم إليه. ولذا من ضاهى شرع الله بتشريعات من عنده، كان طاغوتا، لأن التشريع خاص بالمنزل، وهو الله – جل ذكره –؛ ألا ترى أنه قال الله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

٢٢٦٣. تفيد: أن القرآن حجة على الناس جميعا عامة، والمشرعين من دون الله خاصة.

٢٢٦٤. تفيد خطورة التحاكم لغير ما شرعه الله، فحكمه كامل وعادل ومحكم، وحكم غيره لا ينفك من عيب وخلل ونقص فكيف يتحاكم إليه فضلا عن استبداله بحكم الله، ومن هنا جاء هذا الاستنكار البليغ في موضعه، العظيم في دلالاته.

٢٢٦٥. فيها أن من تحاكم إلى الكتاب فقد تحاكم إلى الله.

٢٢٦٦. فيها خطورة التفسير بالرأي لأنه نسبة القول إلى الله بغير علم.

٢٢٦٧. فيها خطورة القطع بأن هذا حكم الله لمن أرادك أن تنزله على حكم الله في القضايا الاجتهادية.

٢٢٦٨. فيها: تقرير صحة الدعوة الإسلامية بأمرين، الأول: القرآن الكريم، الثاني: شهادة أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام القرظي وأصحبة النجاشي وغيرهم.

٢٢٦٩. تفيد أن من براهين صدق الرسالة المحمدية ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ لما في كتبهم من دلائل قاطعة عن وصفه وخبره، يرتقي ذلك من درجة الظن إلى العلم واليقين.

٢٢٧٠. تفيد أن التوراة والإنجيل منزلة من عند الله تعالى.

٢٢٧١. تفيد أن علوم الكتاب أي الوحي هبات ربانية ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾.

٢٢٧٢. تفيد أن الأدلة إذا تعضدت في شيء فلا ينبغي أن يكون هنالك مجال للشك أو التشكيك.

٢٢٧٣. تفيد أن من الحكمة أن تخاطب الأمة في قدوتها وقيادتها حتى تعلم أهمية الموضوع وخطورته.

٢٢٧٤. تفيد الإيمان بالكتب، وأنها منزلة ومفصلة، ونزلت لتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وفيها سعادة وهداية من أنزلت عليهم.

٢٢٧٥. تفيد أن الحق والعلم المفصل النافع هو في كتب الله عز وجل وأعظمها القرآن الكريم.

٢٢٧٦. في قوله تعالى:﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ دليل على إثبات صفة العلو لله سبحانه.

٢٢٧٧. تفيد عظمة القرآن الكريم من خلال بيان مصدره ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾، ومن خلال وصفه بالحق.

٢٢٧٨. فيها أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بواسطة جبريل، ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ففيه رد على من قال بأن النزول المنجم كان من بيت العزة في السماء الدنيا، وهو قول محدث استغله أهل الاعتزال ومن وافقهم لتقرير بدعتهم ونفي تكلم الله بالقرآن حقيقة.

٢٢٧٩. تفيد أن النبي عليه السلام مرسل من عند الله تعالى حيث بين أنه منزل إليه هذا الكتاب، وأخبر بأمور غيبية صدقها الواقع كما أخبر القرآن الكريم.

٢٢٨٠. فيها أن الكتاب الكريم لا يعتريه شك.. وإذا كان النهي عن ذلك لسيد الخلق وصاحب الرسالة فغيره من باب أولى.

٢٢٨١. فيها إعلاء شأن القرآن الكريم وبيان مكانته، وأنه فوق ارتياب المرتابين.

٢٢٨٢. في الآية إرشاد الى ضرورة الامتلاء يقينا بما أنزل إليهم من كتاب ربهم بحيث لا تفلح أباطيل المشركين في زعزعته والنيل من ثباته.. لأن الامتراء في حقيقة ما أنزل الله انهزام أمام الباطل وأهله.

٢٢٨٣. تفيد أن كلام أهل الباطل في الحق الذي أنزله الله لا ينبغي أن تدخل شكا في قلوب المؤمنين، بل ينبغي أن تزيدهم ثباتا على الحق.

٢٢٨٤. تفيد أنه لا ينبغي الشك في أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن حق منزل من عند الله تعالى﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ أي في ذلك.

٢٢٨٥. تفيد أن الامتراء في العقيدة من أعظم أسباب فسادها، والنهي عن الامتراء نهي عن كل أسبابها، فلا ينبغي أن يفتح لها مجالا لذلك باسم حرية الرأي وغيرها.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]

٢٢٨٦. تفيد مع ما قبلها تهديدا لأهل الكتاب الذين يعلمون أن القرآن منزل من رب العالمين ولا يؤمنون به ولا بمن جاء به؛ وذلك من خلال التصريح في هذه الآية بأن كل ما فيه من أخبار فهو صدق واقع لا محالة؛ وقد قال تعالى في حق بني إسرائيل في القرآن الكريم كما في سورة الأعراف التي هي بعد هذه السورة: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] وقال أيضا هناك في سياق بيان نعم الله على بني إسرائيل السابقين: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر التناسق الموضوعي بين الآيات والسور القرآنية؛ وصدق الله حين قال في هذه الآية: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

٢٢٨٧. تفيد، وبضميمة ما قبلها: تمام هذه الشريعة، ووجوب التحاكم إليها، ولا عذر لأحد قط في سن تشريعات حولا عنها.

٢٢٨٨. تفيد الثناء على كلمات الله عز وجل ووصفها بالتمام ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أعوذ بكلمات الله التامة اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر...".

٢٢٨٩. فيها: أن كلام الله عز وجل غاية في الصدق فيما أخبر به، وأحكامه كلها عدل.

٢٢٩٠. تفيد أهمية صدق الكلام والعدل في الأحكام؛ وذم الكذب والجور.

٢٢٩١. تفيد فضل العلم والعدل؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أحاديث وآثار في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنها: "إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه": وهذا لكمال نفسه بالعلم والعدل. قال الله تعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل؛ فكل من كان أتم علما وعدلا كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل.. (منهاج السنة النبوية ٦/٥٥-٥٦). وهذا يؤكد أنه يجب عند الكلام في الناس – المخالف والموافق- أن يكون بعلم وعدل لا بجهل وظلم. وكم جرّ انخرام أحد هذين الركنين من بغي وعدوان وظلم وبهتان.

٢٢٩٢. تفيد تشريف القرآن وكماله؛ لإضافته إلى الله عز وجل وبيان صدق أخباره وعدل أحكامه.

٢٢٩٣. فيها أنّ القرآن الكريم محفوظ من التبديل والتغيير؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٢٢٩٤. فيها: أن الله عز وجل حفظ كتابه وأحكمه فلا يمكن تغييره ولا تبديله ولا يضاهيه كتاب ناهيك أن يكون أحسن منه.

٢٢٩٥. فيها بيان خصيصة من خصائص القرآن ومميزاته وهو أن كلماته هي المثل الأعلى في الصدق والعدل فلا يوجد في أحكامها ولا في تكاليفها ما يناقض العدل المطلق.

٢٢٩٦. دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ دَلَالَاتِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِمَا يُنَاقِضُهُ، لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شي من الأمور كله: القرطبي

٢٢٩٧. فيها تعريضٌ بالوعيدِ لِمَن يسعى لتبديلِ كلماتِه. ذكرها ابن عاشور.

٢٢٩٨. تفيد أنه لا راد لأمر الله ولا معقب لحكمه؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾.

٢٢٩٩. قوله:﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ فيه إظهارٌ في مَوْضِع الإضمارِ- حيث قال رَبِّكَ ولم يقل (كَلِمَتُه)؛ لتذكيرِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بما له سبحانه من الإحسانِ، والتَّنبيهِ على ما يريدُ به من التَّشْريفِ والإكرامِ. يُنظر: نظم الدرر للبقاعي (٢٣٨/٧).

٢٣٠٠. فيها تشريف النبي ﷺ بمخاطبته بالربوبية الخاصة (ربك) مع أنه تعالى رب العالمين.

٢٣٠١. فيها: إثبات صفة الكلام لله.

٢٣٠٢. تفيد: جواز إطلاق الكلمة على مجموع الكلام، والواحد على الجميع، لقوله:﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي كلام ربك.

٢٣٠٣. فيها: كلمات الله صدق وعدل فلا يعتريها كذب أو جور أو ظلم، تعالى الله.

٢٣٠٤. فيها: أحكام القرآن كلها عدل، فالمتأمل يجد هذا المعنى ظاهرا (فكلام الله تضمن السعادة في الدارين، وفيه أمر بالأخلاق السامية وسلامة المعتقد...).

٢٣٠٥. تفيد بدلالة السياق مع قبلها ترغيبا عظيما في التحاكم للقرآن الذي العدل وصفه.

٢٣٠٦. فيها: أن من كلمات الله القرآن الكريم.

٢٣٠٧. تفيد أن القرآن خالد محفوظ، ومن يشككون في ذلك كالرافضة يكذبون الله في خبره، ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ وهذا من أعظم الضلال والخسران.

٢٣٠٨. فيها الإشارة إلى بقاء هذه الشريعة وصلاحيتها لكل الأزمان لأن الله جل وعلا قد تكفل بحراستها وحفظها جل وعلا؛ ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾.

٢٣٠٩. تفيد الاية مطلق التمام والصدق والعدل لكلماته عز وجل، فتفيد أربعة أوصاف للقرآن (التمام، الصدق، العدل، الحفظ).. فهذه كافية في بيان عظمته والاقبال على تعلمه واتباعه.

٢٣١٠. فيها: عجز البشر عن تبديل كلمات الله عز وجل، فلا يستطيع أحد أن يبدل عدلها جورا أو صدقها كذبا.

٢٣١١. تفيد ضمان الله عز وجل لكتابه بالحفظ.

٢٣١٢. جملة ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ مستأنفة لبيان فضل هذه الكلمات على غيرها أثر بيان فضلها في ذاتها.

٢٣١٣. فيها الإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم وأنه لا يمكن لكل الخلق تحريفه أو تغييره أو الإتيان بمثله.

٢٣١٤. تفيد عظمة الله تعالى حيث وصف كلامه بالتمام والعدل والحفظ لأنه ممن له صفة الكمال في كل شيء.

٢٣١٥. فيها: أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية فهو السميع لأقوال عباده مهما اختلفت لغاتهم وتباينت حاجاتهم.

٢٣١٦. فيها إثبات صفة السمع وصفة العلم لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢٣١٧. فيها: أن على المسلم أن يخشى الله عز وجل ويعبده كأنه يراه ويلجأ اليه ويقصده دون غيره فهو السميع العليم جل في علاه.

٢٣١٨. فيها: ختم الآية باسمين عظيمين (السميع العليم) دلا على صفتين عظيمتين (السمع والعلم).

٢٣١٩. تفيد: وبضميمة ما بعدها: أن أكثر الخلق، ابتغوا حكما غير الله، وشكوا في هذا القرآن المنزل والمفصل، بدليل ما بعده: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وكأنه يقول: فلا تكونن من الشاكين، ولا تطع أكثر من في الأرض لأنهم تماروا فيه.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]

٢٣٢٠. تفيد مع ما قبلها فيها أنه لما تقرر في الآية السـابقة تمام العلم والعدل في كلمات الله ووحيه المنزل. أكدت هذه الآية أن الكافرين لا علم عندهم ولا عدل﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

٢٣٢١. تفيد مع ما قبلها أن كلام الله الحق المملوء صـدقا وعدلا هو الكلام التام لاكتمال مطابقة الحقائق قولا وفعلا.. بخلاف كلام غير الله فهو وإن بلغ من الفصـاحة والبيان فهو منقوص لاكتمال اللفظ ونقص الحقيقة التي يمتلكها النص الإلهي.

٢٣٢٢. فيها: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لأمته.

٢٣٢٣. تفيد أن النبي ﷺ لا يطيع من يضله عن سبيل الله أبدا بدلالة (إن) الشرطية التي تفيد الشك في الفعل أو عدم وقوعه.

٢٣٢٤. تفيد خطورة طاعة الغير بغير بينة وهدى.

٢٣٢٥. فيها دعوة إلى تجنب الاغترار بما عليه أهل الكفر والبدع والضـلال مهما كانت قوتهم وكثر عددهم.

٢٣٢٦. تفيد النهي عن طاعة الكفار والمنافقين لأنهم أكثر من في الأرض؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

٢٣٢٧. تفيد أن أكثر أهل وغالبهم على الضلال والبعد عن الحق والهدى في كل زمان.

٢٣٢٨. تفيد أن الاغترار بالكثرة من أسباب الضلال.

٢٣٢٩. التقييد بقوله تعالى: ﴿ مَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يفيد أن اتباع من في السماء يهدي.

٢٣٣٠. فيها: في الآية دليل على أن الكفار يحاولون عامدين صرف النبي صلى الله عليه وسلم عن الحق والهدى والصواب والخير لأنهم اتباع شيطان وهوى وضلال وحسد.

٢٣٣١. تفيد: أن أتباع الانبياء، قلة.

٢٣٣٢. التقييد بالأكثرية في طاعته صلى الله عليه وآله وسلم لمن في الأرض يفيد أن طاعة القلة المؤمنة فيها عصمة من الضلال؛ وذلك في صور كثيرة أبرزها في الشورى.

٢٣٣٣. تفيد النهي عن اتباع الظن ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾ النجم: ٢٨.

٢٣٣٤. تفيد أن من سلك سبيل الله فقد امتلك اليقين وسلم من التخرصات.

٢٣٣٥. فيها: العبرة في الهداية والضلال هو سبيل الله تعالى.

٢٣٣٦. فيها: الحق -وهو سبيل الله- له قواعد ثابتة؛ والظن والتخرص..تصورات دون قواعد أو أدلة.

٢٣٣٧. فيها: لا يضر كثرة الهالكين ما دمت على الحق.

٢٣٣٨. من أعظم أسباب انحراف بعض الدعاة عن الطريق المستقيم: جعل كثرة الأتباع مقياس النجاح والفشل؛ فأتباع الشيطان وحده أكثر من أتباع الأنبياء والمرسلين مجتمعين! تدبر: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ فمن اغتر بالكثرة، واعتبرها مقياسه؛ أصبح تابعًا ومطيعًا لها: شاء أم أبى.

٢٣٣٩. فيها: لا يضر المصلح أو الداعية أن يكون وحده في طريق الهدى ولا يضره قلة السالكين.

٢٣٤٠. فيها تسلية عظيمة للدعاة عند ما يجدوا كثرة المخالفين لهم، فإنها سنة ماضية في الأرض.

٢٣٤١. فيها: اتباع أكثر الناس يؤدي إلى الضلال، فلذا لا يتبع إلا أهل العلم الراسخون فيه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩] (أيسر التفاسير للجزائري).

٢٣٤٢. فيها: لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك؛ فإن أهل الحق هم الأقلون عددا، الأعظمون عند الله قدرا وأجرا. السعدي.

٢٣٤٣. فيها الرد على دعاة الديمقراطية والليبرالية الزاعمين أن معيار الحق الواجب الاتباع هو الكثرة وعدد الأصوات. ولو في مخالفة الحق.

٢٣٤٤. تفيد أن الضلال له أسباب كما أن الهدى له أسباب.

٢٣٤٥. تفيد الآية أن مجموع شرع الله تعالى من الكتاب والسنة قطعي الثبوت.

٢٣٤٦. تفيد ذم الظن ونبذه ووجوب التحقق والتوثق والتثبت من المشورة والرأي قبل إتيانه.

٢٣٤٧. فيها: الحق -وهو سبيل الله- يجمع عقل صاحبه، والظنون تشتت قلبه وعقله بين ظن وتخرص.

٢٣٤٨. تفيد أن هنالك سبيل واحد يوصل إلى مرضات الله تعالى وجنته، ومن أعظم النعم الاهتداء إليه ومن أعظم الخسران أن تضل عنه.

٢٣٤٩. تفيد أن المشرك لا علم معه إن هو إلا الظن والخرص. قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

٢٣٥٠. تفيد النهي عن التخرص في أمور الدين بل على الناس الاتباع ولذا أمر الله تعالى باتباع هداه بعد ذم اتباع الظن والهوى قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

٢٣٥١. تفيد أهمية تعلم الهدى الذي يقوم الصدق، ويوصل إلى اليقين، ومحاربة الجهل الذي يقوم على الكذب ويجعل الإنسان يعيش على الظن.

٢٣٥٢. تفيد أن اتباع الظن هو سبب ضلال أكثر من في الأرض فما عبدت الأصنام إلا بالظن، وما تعلقوا بشفاعات الأولياء إلا بالظن، وما انتظروا نصرة آلهتهم إلا بالظن..

٢٣٥٣. تفيد أن الباطل كله قائم على الظن الذي ليس معه يقين وعلى الكذب الذي ليس معه صدق.

٢٣٥٤. تفيد أن اتباع الظن هو سبب ضلال أكثر من في الأرض فما عبدت الأصنام إلا بالظن، وما تعلقوا بشفاعات الأولياء إلا بالظن، وما انتظروا نصرت آلهتهم إلا بالظن..

٢٣٥٥. تفيد كمال علمه تعالى وإحاطته بأحوال عباده في كل زمان.

٢٣٥٦. تفيد أن العلم الحقيقي هو ما جاء عن الله تعالى، وليس اتباع الناس له أو إعراضهم عنه من شواهد صحته أو بطلانه.

٢٣٥٧. تفيد كمال غناه جل وعلا، فهو يعلم حالهم وما يصيرون إليه مع ذلك خلقهم ويرزقهم ويدبر أمرهم.

٢٣٥٨. فيها: أن الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة ونفوس فاضلة، وتأمل في الصالح والضار، وتقديم الحق على الهوى، والرشد على الشهوة، ومحبة الخير للناس، وهذه صفات إذا اختل واحد منها تطرق الضلال إلى النفس بمقدار ما انثلم من هذه الصفات. ابن عاشور.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]

٢٣٥٩. فيها، وبضميمة ما قبلها: رد على القدرية؛ وكأنه يقول: ولو قُدِّر أنك أطعت أكثر من في الأرض من الناس يضلونك عن دين الله، ونحن نعلم ذلك، ونعلم أن أهل الحق قلة؛ لكن لا عليك فنحن بعلمنا نميّز هؤلاء وهؤلاء، ونجازي كلا بما عمل؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

٢٣٦٠. تفيد مع ما قبلها: أن التحذير من الشيء، لا يكون إلا عن علم به وإلمام؛ لقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحذر من طاعتهم، لأن ﴿رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وعليه: فلا ينبغي لأحد أن يحذر من أحد قبل أن يعلم حاله، لا كمن يتجرأ ويضلل هذا ويحكم على ذاك من غير علم وبينة.

٢٣٦١. فيها تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ﴿رَبُّكَ﴾ فأضافه إليه.

٢٣٦٢. تفيد اختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم هؤلاء جميعا وحده؛ دل على ذلك ضمير الفصل؛ فالأعلمية بالضالّين والمهتدين مقصورة على الله تعالى، لا يشاركه فيها غيره، ووجه هذا القصر أنّ النّاس لا يشكّون في أنّ علمهم بالضالّين والمهتدين علم قاصر، لأنّ كلّ أحد إذا علم بعض أحوال الناس تخفى عليهم أحوال كثير من النّاس، وكلّهم يعلم قصور علمه، ويتحقّق أن ثمّة من هو أعلم من العالِم منهم، لكنّ المشركين يحسبون أنّ الأعلمية وصف لله تعالى ولآلهتهم، فنفي بالقصر أن يكون أحد يشارك الله في وصف الأعلميّة المطلقة.

٢٣٦٣. فيها إشارة إلى: أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وفي الحديث: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك".

٢٣٦٤. فيها إثبات صفة العلم لله تعالي وأن هداية التوفيق بيد الله تعالي وأن الله له طريق واحد يوصل إليه.

٢٣٦٥. فيها: سعة علم الله وانه مطلع على كل شيء ويعلم ما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو الذي خلق أفعال العباد، ويعلم ما هم فاعلون قبل فعلهم.

٢٣٦٦. فيها: علم الله بهدايتك هو حسبك ويغنيك إن ساء ظن الخلق بك.

٢٣٦٧. فيها التنبيه إلى أنه وإن كان الهدى والإضلال بيد الله تعالى﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ إلا إن هذا الهدى والإضلال مبني على العلم والحكمه الإلهية وليس خبط عشواء كما يظنه بعض الطوائف؛ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧] ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥ – ١٠] والآيات تؤخذ مجتمعه فيفسر بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وهذا مسلك أهل السنة وبهذا يزول الإشكال الذي يثيره من أخذ بعض الآيات وعارض بها بعضها الآخر وهذا مسلك أهل الأهواء.

٢٣٦٨. تفيد: أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ لقوله:﴿ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ ﴾ وعليه: فينبغي الحذر وعدم العجب، وسؤال الله الهداية والثبات عليها؛ وفي الحديث: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا". رواه مسلم.

٢٣٦٩. فيها قُدم الضالون على المهتدين في الآية؛ تهديداً لهم، ولأنهم الأكثر في الأمة.

٢٣٧٠. فيها: تنكير الضالين لكثرتهم وحقارتهم وتعريف المهتدين لفضلهم وللاحتفاء بهم والله أعلم.

٢٣٧١. تفيد: أن الناس، فريقان "ضال ومهتدي"، وكما قال تعالى:﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

٢٣٧٢. تفيد الآية أن الطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه.

٢٣٧٣. تفيد أن الداعية إلي الله ولا يستعجل النتيجة للهداية.

٢٣٧٤. فيها: عليك- أيها العاقل- أن تكون من فريق المهتدين لتسعد كما سعدوا واحذر أن تركن إلى فريق الضالين، فتشقى كما شقوا.

٢٣٧٥. فيها عظيم رحمة الله بعبادة إذ عبر عن الضلال بالجملة الفعلية وعبر بالهداية بالجملة الاسمية.

قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]

٢٣٧٦. تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها فبعد أن نهت الآيات السابقة عن اتباع المضلين؛ الذين من جملة اضلالهم تحليل الحرام وتحريم الحلال، أشارت هذه الآية الكريمة بعدم اتباع هؤلاء في أهم قضية تمس الحياة اليومية لجميع البشرية وهو الأكل؛ فأمرت بأكل ما ذكر

اسم الله عليه دون غيره؛ وذلك في إشارة واضحة من السياق إلى أن اتباع شرع الله تعالى يشمل جميع تفاصيل الحياة اليومية؛ وأن ذكر الله تعالى يجب أن يلازم المؤمن في كل زمان ومكان.

٢٣٧٧. تفيد بضميمة ما قبلها أن الاهتداء يكون في كل شيء في حياتنا اليومية من مأكلٍ ومطعم ومشرب.

٢٣٧٨. فيها: شمول هذا الدين وعظمته فهو يهتم بكل ما يصلح العباد حتى في مآكلهم.

٢٣٧٩. فيها مراعاة الإسلام للفطرة البشرية وحاجتها إلى الطعام.

٢٣٨٠. تفيد الآية الكريمة أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة وأن ما حرمه تعالى فصله وبينه ووضحه.

٢٣٨١. تهدي الآية الكريمة إلى ذكر اسم على الذبيحة حيث يستلزمه الأمر ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾.

٢٣٨٢. تفيد: وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند تذكيتها.

٢٣٨٣. تفيد: حل الأكل من ذبائح المسلمين.

٢٣٨٤. فيها: قوله: ﴿ذُكِرَ﴾ بناء الفعل لما لم يسم فاعله دلالة على جواز أن يكون الذابح غير مسلم بأن يكون من أهل الكتاب لأن ذبيحتهم حلال.

٢٣٨٥. تهدي إلى إطعام الطعام حيث عبر ب﴿ذُكِرَ﴾.

٢٣٨٦. تفيد وجوب ذكر اسم الله تعالى عند الذبح، وهذا يبين خطورة الاعتماد على ما يذبح في غير البلاد الإسلامية.

٢٣٨٧. تفيد عظم شأن اسم الله تعالى.

٢٣٨٨. فيها: ذكر الله يلازم المؤمن في جميع أحواله، وحياته وتنعمه إنما هو بالله.

٢٣٨٩. تفيد النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه تعمدا، والنهي هنا مضمن ومصرح به مواضع أخرى من القرآن.

٢٣٩٠. فيها إشارة الى فضل اسم الله وبركاته تتنزل بذكره في المأكل والمشرب.

٢٣٩١. تفيد أن الإيمان يلزم العبد بلوازم محددة في حياته في أكله وشرابه ولباسه وسائر تصرفاته..

٢٣٩٢. تفيد أن العمل من ثمرات الإيمان. وأن الإيمان سبب في كل خير. وأن القلب له تأثير على الجوارح، وهو الداعي والحاث للنفس على الامتثال.

٢٣٩٣. تفيد: أهمية التذكير بالإيمان، عند الأمر والنهي.

٢٣٩٤. تهدي إلى أهمية الاقتصار على الطعام الحلال.

٢٣٩٥. تهدي إلى وجوب شكر النعمة بتحقيق التوحيد واستشعار نعمة الله والخلوص من الشرك.

٢٣٩٦. فيها أهمية تحري المسلم للحلال في مأكولاته ومشروباته وأن هذا من علامات الإيمان.

٢٣٩٧. جمعت هذه الآية الإيمان بالقلب واللسان والجوارح.

٢٣٩٨. تفيد أنّ العمل بالأحكام الشرعية من مقتضيات الإيمان.

٢٣٩٩. تهدي إلى التوقي من كل ما يؤثر على الإيمان بالنقص.

٢٤٠٠. في الآية استعمال الدعاة أسلوب التهييج والإثارة والحث على اتباع أوامر الله تعالى؛ ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾.

٢٤٠١. في الآية كذلك وجوب الإيمان بآيات الله؛ لقوله: ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٢٤٠٢. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن المشرك، لا مستند له في عقيدة أو تشريع؛ وإنما هو الافتراء والكذب على الله؛ كما زعموا في الوصيلة والحامي وغيرها.

٢٤٠٣. فيها الأمر باعتقاد حل الحلال؛ قال السعدي: يأمر تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا حلها.

٢٤٠٤. تفيد جواز الإنكار على من استبدل ما هو محرم بما أحل الله بدليل قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾.

٢٤٠٥. فيها تأكيد على إباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره.

٢٤٠٦. تفيد أن ترتيب السور والآيات القرآنية توقيفي؛ ووجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى قدم السورة التي فيها تفصيل لما حرمه على هذه الأمة من الأطعمة في سورة المائدة على هذه السورة المكية؛ ولهذا قال ههنا: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في السورة السابقة؛ وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر التناسق الموضوعي بين سور وآيات القرآن الكريم.

٢٤٠٧. تفيد أن أحكام الله عز وجل ظاهرة وبينة بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ وقرأ عطية العوفي بالتخفيف "فصل" ومثله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ هود: ١؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والتفصيل التبيين، فبيّن أنه بيّن المحرمات، فما لم يبين تحريمه ليس بمحرم. وما ليس بمحرم فهو حلال، إذ ليس إلا حلال أو حرام. (مجموع الفتاوى ٢١/٥٣٦).

٢٤٠٨. تفيد أن التحريم والتحليل لله سبحانه وتعالى وحده؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

٢٤٠٩. فيها أن باب المباحات أوسع من باب المحرمات.

٢٤١٠. فيها أن الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرعُ بتحريم شيء منها فإنه باقٍ على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال؛ لأن الحرام قد فَصَّلَه الله، فما لم يفصله الله فليس بحرام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ عام

في الأعيان والأفعال؛ وإذا لم تكن حراما لم تكن فاسدة، لأن الفساد إنما ينشأ من التحريم، وإذا لم تكن فاسدة كانت صحيحة.. (مجموع الفتاوى ٢٩/١٥٠).

٢٤١١. فيها إباحة المحرمات عند الاضطرار.

٢٤١٢. فيها رحمة الله عز وجل، ويسر شريعته حيث أباح الحرام للمضطر.

٢٤١٣. فيها إرشاد إلى العدالة والإنصاف وعدم تعميم الأحكام على الناس - كما يفعله البعض -.

٢٤١٤. يفيد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ التحذير من التشبه بالمشركين في تحريم بعض الأنعام.

٢٤١٥. فيها أن من صور اتباع الهوى تحريم ما أحل الله.

٢٤١٦. فيها: أن كل من اتبع ذوقا أو وجدا بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض، فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه دينا، وينهى عما يبغضه ويذمه، ويتخذ ذلك دينا، إلا بهدى من الله، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله، ومن اتبع ما يهواه حبا وبغضا بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله. السعدي.

٢٤١٧. فيها بيان خطورة الهوى، وأن اتباعه من الاعتداء، لذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

٢٤١٨. فيها الحرص على مخالفة أصحاب الأهواء والعمل على إماتة بدعهم وباطلهم.

٢٤١٩. فيها تحذير من اتباع طرق أهل الأهواء.

٢٤٢٠. فيها الحث على طلب العلم وفضل أهله، لأن الجهل من أسباب الضلال واتباع الهوى، ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾.

٢٤٢١. دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّ القَوْلَ فِي الدِّينِ بِمُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ حَرامٌ؛ لِأَنَّ القَوْلَ بِالتَّقْلِيدِ قَوْلٌ بِمَحْضِ الهَوى والشَّهْوَةِ، والآيَةُ دَلَّتْ عَلى أنَّ ذَلِكَ حَرامٌ.

٢٤٢٢. فيها أن العلم المعتبر هو ما استند إلى دليل وما عداه نوع من الهوى.

٢٤٢٣. فيها أن اتباع الهوى يؤدي إلى الضلال، فسبب ضلال أكثر الناس الهوى والجهل.

٢٤٢٤. فيها أن من أسباب الضلال الاعتداء على الشرع بالتحليل لما حرم والتحريم لما أحل.

٢٤٢٥. فيها ذم وتقريع لمن خالف الحق عن علم واتبع أهل الأهواء.

٢٤٢٦. فيها بيان جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله.

٢٤٢٧. فيها رد عملي على المشركين الذين كانوا يجادلون المسلمين ويقولون إنكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما قتله الله وكانوا يدعوهم إلى أكل الميتة واستحلالها.

٢٤٢٨. تفيد سعة علم الله سبحانه وتعالى واحاطته بكل شي؛ لقوله:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾.

٢٤٢٩. تفيد أن الله عز وجل وحده هو من يعلم بالمعتدين؛ وجهه: القصر المأخوذ من ضمير الفصل..

٢٤٣٠. فيها تهديد للمعتدين على الشرائع بالتحريف والتبديل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

٢٤٣١. يفيد قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ وعيد للضالين المضلين.

٢٤٣٢. تفيد النهي عن العدوان.

قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾

[الأنعام: ١٢٠]

٢٤٣٣. تفيد مع ما قبلها: إنْ أردتم الزّهد والتقرّب إلى الله فتقرّبوا إليْه بترك الإثم، لا بترك المباح. وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢٤٣٤. فيها: الأمر بترك جميع المعاصي التي توقع العبد في الأثم.

٢٤٣٥. جاء الأمر بلفظ (وذروا) في القرآن الكريم التي تدل على معنى الترك وزيادة، لا مجرد الترك، وهو الترك الكامل في أربعة مواضع: الأول: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨] لتدل على الترك الكامل للربا حتى ما بقى من ربا الجاهلية بعد الإسلام يترك. الثاني: الآية موضوع التدبر جاء الترك ليشمل ظاهر الإثم وباطنه دون الاقتصار على ترك ظاهر الاثم دون باطنه. الثالث: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ليشمل الترك ترك إلحادهم في أسمائه تعالى وصفاته، ولا يبقي الترك لهم شيئا من مودة القلب. الرابع: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩] ليدل الأمر على ترك البيع والاشتغال بذكر الله تعالى لا مجرد الترك.

٢٤٣٦. فيها: بيان أن للإثم ظاهرا وباطنا وهو السر والعلانية.

٢٤٣٧. فيها: بيان أن من الإثم ما يتعلق بالبدن والجوارح وما هو متعلق بالقلب.

٢٤٣٨. فيها: أنه لا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن والعلم بذلك واجبا متعينا على المكلف، وكثير من الناس تخفى عليه كثير من المعاصي خصوصا معاصي القلب، كالكبر، والعجب، والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم وعدم البصيرة. السعدي.

٢٤٣٩. فيها الحث على العناية بالقلب وترك المعاصي الباطنة والتحلي بالعبادات القلبية كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل وغيرها..

٢٤٤٠. فيها الاهتمام بالظاهر والباطن.

٢٤٤١. تفيد: حرمة التفكير في المحرمات. ومن خطر على باله شيء من هذا، فوجب قطعه وعدم الاستطراد.

٢٤٤٢. يفيد تقديم ظاهر الإثم على باطنه إشارة واضحة إلى خطورة الإثم الظاهر على أنظار الناس؛ وإن العبد لا يزال في سلامة وعافية مادام أنه يذنب ويتوب إلى الله، ما لم يُجاهِرْ ويفاخرْ بمعصيته وذنبه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل أمتي مُعافى إلا المجاهرين".

٢٤٤٣. فيها: بيان خطورة كسب الأثم حيث الجزاء عليه في الآخرة.

٢٤٤٤. تفيد الحث على ترك جميع الآثام لخطر الذنوب على دين المرء؛ قال ابن عاشور: والتّعريف في الإثم: تعريف الاستغراق، لأنَّه في المعنى تعريف للظاهر وللباطن منه، والمقصود من هذين الوصفين تعميم أفراد الإثم لانحصارها في هذين الوصفين، كما يقال: المشرق والمغرب والبَرّ والبحر، لقصد استغراق الجهات.

٢٤٤٥. فيها أن الإنسان لا يؤاخذ بجهله وسهوه؛ لقوله:﴿ يَقۡتَرِفُونَ ﴾.

٢٤٤٦. فيها: اختيار لفظ الاقتراف ﴿ يَقۡتَرِفُونَ ﴾ دون غيره مثل يجترحون أو يكسبون مثلاً لأن فيه إيقاع على الأذن وصوت يُشعِر بأمر كريه إلى النفس بخلاف غيره.

٢٤٤٧. فيها رد على الجبرية وإلا كان من التكليف بالمحال.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

٢٤٤٨. فيها: مناسبة لما قبلها، من وجوه:

الأول: أن الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها، من الإثم الظاهر.

الثاني: طاعة المشركين كذلك – إثم ظاهر.

الثالث: التحذير من اتخاذ الشيطان وليا، فيوسوس بالمجادلة، وهذا إثم وكفر باطن.

٢٤٤٩. تفيد: حرمة الأكل من الذبائح، التي لم يسم الله عليها. ويدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي يذبح للأصنام، وآلهتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصا.

٢٤٥٠. تفيد أثر ذكر اسم الله تعالى في حل الذبيحة وفوائد ذلك من طيب الذبيحة وبركتها ونفعها وغير ذلك.

٢٤٥١. فيها: بيان أثر ذكر الله على الذبيحة، وأنها تزكو وتطيب وتطهر بهذه التسمية؛ وعليه: فمن ذكر اسما غير اسم الله، فهي ميتة خبيثة، ولو أنهر الدم. وهي قذر ولو غسلها بماء البحر. وعليه أيضا: تفيد الإيمان بالبركة من الله.

٢٤٥٢. تفيد أهمية التقيد بما شرعه الله تعالى من أذكار وإدراك أهميتها وعظيم أثرها.

٢٤٥٣. تفيد: تحريم الميتة.

٢٤٥٤. تفيد: حرمة الأكل من ذبائح المشركين والمجوس والملاحدة وكل من لم يدين بدين سماوي من الهندوس والبلاشفة والشيوعيين.

٢٤٥٥. تفيد ما ذبح لغير الله، وما تعمد فيه ترك ذكر اسم الله، كل ذلك يدخل في هذا النهي العام.

٢٤٥٦. تفيد أهمية سن القوانين المراقبة لعمليات الذبح التي يأكل منها أهل الإيمان، أن تكون وفق ما شرع الله.

٢٤٥٧. فيها رد على منكري التعليل في أحكام الله؛ لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾.

٢٤٥٨. تفيد التحذير من الفسق ومنه عدم ذكر اسم الله تعالى عند الذبح.

٢٤٥٩. تفيد: أن المعاصي تتفاوت في الإثم، فمنها الفسق والكفر ودون ذلك.

٢٤٦٠. تفيد: أهمية تأكيد النهي؛ لأنه نهى، ثم أكده بكونه فسقا.

٢٤٦١. تفيد رحمة الله تعالى وعنايته بعباده المؤمنين من خلال ما شرعه ونهاهم عنه.

٢٤٦٢. تفيد: أن الكفر والشرك، سبب في تسلط الشياطين﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

٢٤٦٣. تفيد: أن ما يلقيه الكفار من شبه على المسلمين، هي من وحي الشيطان.

٢٤٦٤. تفيد: أن تعمد ترك التسمية عند الذبح، من وحي الشيطان.

٢٤٦٥. تفيد أن الوحي ينقسم في مصطح القرآن إلى وحي الرحمن وهذا كله حق وخير ويجب اتباعه، ووحي شيطان، وهذا كله شر وفساد يجب اجتنابه.

٢٤٦٦. تفيد أن وحي الرحمن لأولياء الرحمن، ووحي الشيطان لأولياء الشيطان، فالسعيد من رزقه الله وحيه وهداه إليه وبه.

٢٤٦٧. تفيد أن ما يقع في القلوبِ من الإِلْهاماتِ والكُشُوف- التي يكثُرُ ادِّعاؤُها عند المنتسبين إلى التصوُّف ونحوِهم- لا تدلُّ بمُجرَّدِها على أنَّها حقٌّ، ولا تُصَدَّقُ حتى تُعْرَضَ على كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه صلَّى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾.

٢٤٦٨. فيها إشارة إلى: أن ولاية الله للمؤمنين، وأنه يوحي إليهم بالخير، على ألسنة رسله.

٢٤٦٩. تفيد: أن للشياطين أولياء؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

٢٤٧٠. تفيد النهي عن ولاية الشيطان؛ قال تعالى:﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

٢٤٧١. فيها قوة التعاون بين قوى الشر من الإنس والجن.

٢٤٧٢. تفيد أن وحي الشيطان له هدف ومقصد خطير ﴿ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾.

٢٤٧٣. تفيد خطورة الجدال بالباطل، وهو من مقاصد وأهداف الشياطين يصدون به الناس عن الهدى.

٢٤٧٤. تفيد: خطر وحرمة الجدال في الدين، أعني: الجدال في الحلال والحرام، لم أحل ولم حرم؟

٢٤٧٥. تفيد أن أهل الشـــرك يجادلون عن باطلهم، فأهل الحق أولى بذلك لكن بالتي هي أحسن؛ قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

٢٤٧٦. تفيد أن حزب الشيطان يتبعون وحي الشيطان ويستميتون في الجدال والدفاع عنه؛ وحزب الله أولى بالدفاع عن وحي الله تعالى والنفح عنه؛ والرد على شبهات وحي الشيطان.

٢٤٧٧. تفيد أن الشك فيما شرعه الله أو الجدال للتشكيك فيه من أسباب الكفر بالله.

٢٤٧٨. تفيد: أن من صور الشرك، طاعة المشركين – طاعة التدين.

٢٤٧٩. تفيد النهي عن طاعة الكفار والمنافقين والمشركين؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٥١].

٢٤٨٠. تفيد أن استحلال الحرام، أو تحريم الحلال يوجب الكفر.

٢٤٨١. فيها: اعتقاد حل طاعة الشياطين شرك بالله.

٢٤٨٢. فيها أن من استحل شيئا مما حرمه الله وهو عالم بذلك صار مشركا.

٢٤٨٣. فيها: التحذير من الشـــرك بالله؛ قال ابن العربي في أحكام القرآن: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركا إذا أطاعه في اعتقاده: الذي هو محل الكفر والإيمان؛ فإذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص. فافهموا ذلك في كل موضع. والله أعلم.

٢٤٨٤. تفيد التحذير والنهي عن الشرك وأنه أعظم ما يريد أن يصل إليه الشيطان.

٢٤٨٥. تفيد أن التساهل في طاعة الشيطان يؤدي إلى الهلاك والخسران.

٢٤٨٦. تفيد أن التحريم والتحليل لله وحده تعالى.

٢٤٨٧. تفيد أهمية التحري في الأكل والشرب، والبعد عن ما حرم الله تعالى.

٢٤٨٨. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن الكافر مثل الميتة، لا خير فيه قط؛ فإذا أسلم بورك فيه؛ وهذا شبيه بحال الذبيحة التي يذكر اسم الله عليها، تزكو وتحل فيها البركة ببركة اسم الله؛ فكذا الكافر يبارك فيه ويحيا بإسلامه؛ لأنه قال بعدها: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:] ١٢٢.وقال الألوسي رحمه الله في الآية التي بعدها: (تَمْثِيلٌ مَسُوقٌ لِتَنْفِيرِ المسْلِمِينَ عَنْ طاعَةِ المشْرِكِينَ إثْرَ تَحْذِيرِهِمْ عَنْها بِالإشارَةِ إلى أنَّهم مُسْتَضِيئُونَ بِأنْوارِ الوَحْيِ الإلَهِيِّ والمشْرِكُونَ غارِقُونَ في ظُلُماتِ الكُفْرِ والطُّغْيانِ فَكَيْفَ يُعْقَلُ طاعَتُهم لَهُ؛ فالآيَةُ كَما قالَ الطَّيِّبِيُّ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾).

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

٢٤٨٩. فيها: مناسبة لما قبلها أنه ذكر ولايته لأهل الإيمان وكيف يهديهم، بعد أن ذكر ولاية الشيطان وكيف يضل أتباعه؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ فالكفر ظلمات بعضها فوق بعض، والإيمان نور على نور.

٢٤٩٠. تفيد مع ما قبلها: أن تجنب الميتات وما لم يذكر اسم الله عليه، وترك المحرمات عموما، من النور، والاقتحام في المآثم من الظلمات.

٢٤٩١. فيها مع ما قبلها: التأكيد على مسألة الأكل مما ذُبح لله واجتناب ماسواه في موضع واحد ثلاث مرات، ثم ما تفيض به في ذات السياق الآيات القادمة في مواضع عدة من السورة، ومع استشعار مقصد سورة الأَنْعَام؛ كل ذلك يدل على ركيزة الذبح في التوحيد، وأنها عبادة لا مجرد عادة يجب أن تكون خالصة لله مائلة عن الشرك ظاهره وباطنه. ولذا جاء في خاتمة سورة

الأنعام نفسـها الأمر لنبيه وخير خلقه محمد ﷺ لما ذكر إمام الحنفاء إبراهيم عليه السـلام قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٢] فهي سـنة الأنبياء من قبلك. ولما امتنَّ الله على صـفوة خلقه بالكوثر أمره بأن يشـكره ويثبت على عبادته وتوحيده من خلال الصـلاة والذبح لله. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١ – ٢]؛ لذا فمن أعظم مظاهر التوحيد هو الذبح لله والقربان له بذكر اسمه جل جلاله عليه مع استشعار ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ [الحج: ٣٧]، وفي المقابل فمن أعظم مظاهر الشـرك تقديم الذبائح والقرابين لغير الله، وهذا ما يشـاهد في أغلب شـعائر معتنقي الديانات الباطلة والفرق الضـالة. فعلى المسـلم أن يُحيي هذه العبادة العظيمة بين فينة وأخرى تحقيقاً للتوحيد وتعظيماً له سواء أراد بلحمها الصدقة أو إكرام الضيف أو إطعام أهله أو ذي رحم.

٢٤٩٢. يستمر سياق السورة في بيان أن طريق النجاة والحياة والنور واحد وهو: توحيد الله وأن طرق الهلاك والموات والظلمات متعددة بتعدد آلهة المشركين؛ ولذا في أول السورة قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وفي وسـطها ﴿ صُمّٞ وَبُكْمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [الأنعام: ٣٩] وهنا ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتٗا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورٗا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٖ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وفي خاتمتها أبان بشكل واضح وصريح: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩ ... قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٩ – ١٦١].

٢٤٩٣. فيها: بيان منة الله وفضـله على العبد، أن هداه للإيمان؛ قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

٢٤٩٤. فيها: أن أعظم منة ونعمة أنعم الله بها على العبد هي نعمة ومنة الهداية إلى الإسلام والإيمان ﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ التي هي الفارق بين الحياة والموت.. لذا كان من أعظم وصايا الله تعالى للمؤمنين أن يثبتوا فلا يلقوه بعد مماتهم إلا وهم على الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٢٤٩٥. فيها: تعظيم الله جل وعلا.

٢٤٩٦. فيها: بيان قدرة الله وسلطانه على القلوب، وأنها بين أصبعين من أصابعه.

٢٤٩٧. تفيد أن الهداية من الله تعالى وحده فلتطلب منه؛ ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾.

٢٤٩٨. يفيد تشبيه الايمان بالحياة والكفر بالموت عظم الفضل والمنة من الله تعالى لمن هداه الله الى الإسلام وأنجاه من الكفر.

٢٤٩٩. فيها: الحياة الحقة حياة القلب والروح بالإيمان لا حياة الأبدان.

٢٥٠٠. فيها: أن الكفار أموات.

٢٥٠١. تفيد: عدم الاغترار بالكفار.

٢٥٠٢. تفيد: التحذير من الزيغ والضلال بعد الهداية؛ دل عليه المضارع في قوله: ﴿ يَمۡشِي ﴾ وتذييلها: يفيد: الحذر من إضلال الله للعبد؛ فوجب اللجوء إليه – سبحانه – وسؤاله العصمة، وكما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ [فاطر: ٨].

٢٥٠٣. تفيد أن القرآن نور وما هدى إليه، والعيش في ظلاله نور، ومن لم يجعل الله له منه نورا فما له من نور.

٢٥٠٤. تفيد أهمية العمل بالقرآن الكريم وهو من أسباب السعادة؛ ﴿ فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾.

٢٥٠٥. فيها: أن المؤمن يمشي بين الناس بنور الإيمان والقرآن الذي يحمله فيظهر ذلكم النور في صدق حديثه، وطيب معشره، ووفائه بوعده، وأمره بالمعروف ونهييه عن المنكر، وتعليم

العلم.. إلخ، وكلما قوي نور الإيمان في قلب المؤمن سارع في الخيرات والصالحات، وأجل هؤلاء المسارعين هم العلماء أهل الخشية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

٢٥٠٦. تفيد حاجة الإنسان إلى البصيرة من ربه سبحانه وتعالى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الآية: فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة والبصيرة. (مجموع الفتاوى ١٥/٦٣)، وقال: فالايمان الذي يهبه الله لعبده سماه نورا. (مجموع الفتاوى ٧/٦٤٩).

٢٥٠٧. تفيد أن الجهل والضلال موت؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان. وجعل له نورا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات. (مجموع الفتاوى ١٩/٩٤). وقال الطاهر بن عاشور: ولقد جاء التشبيه بديعا: إذ جعل حال المسلم، بعد أن صار إلى الإسلام، بحال من كان عديم الخير، عديم الإفادة كالميت".

٢٥٠٨. تفيد نعمة الهداية بعد الضلال والعلم بعد الجهل، والطاعة بعد المعصية... فالأول والثاني حياة لا يعرفها إلا من ذاقها وحاشها والحمد لله على نعمه وفضله.

٢٥٠٩. تفيد الآية فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لقوله:﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾.

٢٥١٠. ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ في الآية إشارة إلى أن الخلطة في الناس هي الأصل وأن الإنسان اجتماعي بطبعه ومن كان له نور فليرى أثر نوره في الناس بدعوته ونشره للخير فيهم.

٢٥١١. تفيد أهمية المشي بين الناس بالحق تميزا به، ودعوة إليه ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾.

٢٥١٢. تفيد أن المهتدي يتميز في حركته بين الناس بعقيدته وعبادته وأخلاقه وأقواله وأفعاله.

٢٥١٣. تفيد أن الأصل لا عزلة بل خلطة وصبر على إظهار الحق والهدى في الناس.

٢٥١٤. تفيد: أن الكافر حيران يتخبط في ظلمات الكفر الشديدة، وتصديقه: قال تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ ﴾ [الأنعام: ٧١].

٢٥١٥. تفيد التنفير من الكفر حيث شبه أهله بأهل ظلمات يترددون حيرك فيها لا يهتدون إلى سبيل.

٢٥١٦. فيها إشارة إلى: أن من حرم نور الله في الدنيا، حرمه في الآخرة؛ فمن جعل له نورا في الدنيا، جعل له الآخرة مثله يجوز به ويدخل به الجنة، ومن فاته ذلك ندم ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور؛ ألا ترى أنه قال: ﴿ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ [الحديد: ١٣].

٢٥١٧. فيها: رد على القدرية والمعتزلة.

٢٥١٨. فيها: فائدة وأهمية ضرب الأمثال؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الهدى الذي بعث الله به رسوله، لما كان فيه معنى الماء الذي يحصل به الحياة، ومعنى النور الذي يحصل به الإشراق، ذكر هذين المثلين، كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ﴾. (مجموع الفتاوى ٣/١٦٨).

٢٥١٩. تفيد: أن طريق الله واحد، لقوله: ﴿ نُورٗا ﴾ بالإفراد، والشيطان طرقه عدة، لقوله: ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ بالجمع؛ وتصديقه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢٥٢٠. في الآية الكريمة إخراجان وإدخالان: الإخراج الأول هو إخراج أصحاب الفطر السليمة الباحثة عن الحق، الراغبة فيه بهدايتهم إلى وإدخالهم في الإيمان وإحيائهم به، وإخراج المؤمنين بعد إيمانهم من ظلمات ما توارثوه من الآباء من ظلمات الجاهلية وإدخالهم في نور الهدى ببيان شرائع الدين. والإخراج الثاني هو: الإخراج من نور الإيمان الفطري الحامل لصاحبه للبحث عن الخالق الفاطر سبحانه، أو إخراج المؤمنين من اتباع شرائع الهدى إلى اتباع شر الهوى وظلمات الجهل بفعل إيحاء شياطين الإنس والجن كما في الآية المتقدمة، وإدخالهم إما في

ظلمات الكفر أو لُجج ظلمات المعاصي ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ والإخراج والإدخال الأول يتولاه الله تعالى، والإخراج والإدخال الثاني يتولاه الطواغيت من شياطين الإنس والجن قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٠٢١. تفيد أن سبب مجادلة الكفار ما زينه للشيطان لهم من سوء عملهم.

٢٠٢٢. فيها تعليم الأدب مع الله تعالى في حال إسناد أفعال العقوبة والجزاء على العصاة بعدم ذكر الفاعل لها، ويُذكر ويُظهر الفاعل لأفعال النعمة والإحسان وهو الله تعالى كما في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فتزيين أعمال الكفر والمعاصي للكافرين عقوبة عظمى من الله تعالى لم يصرح فيها بفاعل التزين تعليما من الله لعباده لسلوك مسالك الأدب والإجلال معه سبحانه وتعالى، ونظيره ما جاء في دعاء الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٢] حيث أسند أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام جميع أفعال الإحسان والنعم إلى الله تعالى فلما جاء ذكر المرض أسنده إلى نفسه وأسند الشفاء إلى ربه تعالى تأدبا مع الله تعالى، ونظيره أيضا: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] صُرح بفاعل النعمة، ولم يصرح به مع أفعال الجزاء، ونظيره أيضا، أيضا قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠] أظهروا الفاعل مع فعل الإحسان وهو الرشد، وأخفوه مع فعل الشر المحض الذي لا يسند إليه سبحانه؛ " والشر ليس إليك".

٢٠٢٣. تفيد أن الكفار زينت لهم أعمالهم فهم يعمهون؛ لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [النمل: ٤].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]

٢٥٢٤. فيها مع ما قبلها: كأن أهل الباطل يُزين لهم باطلهم ولايزال يجري معهم ويستحسنونه حتى لا يفارقوه ويرون الحق باطلاً والباطل حقاً والظلمة نور والطهارة نجاسة والعفاف تخلف ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] فتنقلب الموازين وتختلف الفطر والعقول وهم في كل هذا لا يشعرون ولا يعقلون ولا يدرون أن الله يملي لهم ويمكر بهم؛ فسبحان الذي جعل كتابه مثاني.

٢٥٢٥. فيها: تعظيم الله جل وعلا.

٢٥٢٦. فيها: تولي الأكابر من المجرمين مهمة المكر في القرية رغم أنه كان يلزمهم الإحسان إذ هم أهلها فنسبهم إليها مما يلزم مراعاة تلك النسبة. ثم ذكر أن مكرهم إنما سيحصل وباله بأنفسهم إذ غاية همهم كانت أنفسهم؛ فالمجرمون الماكرون لا يلتفتون إلى أي نسبة أو علاقة إنما همهم أنفسهم.

٢٥٢٧. تفيد أن في المجرمين أكابر وأصاغر، وكلهم أصاغر.

٢٥٢٨. تفيد التحذير من المجرمين وأكابرهم والتعرف عليهم بصفاتهم، والتي منها: التكذيب بآيات الله تعالى، والاستكبار بعدم الإذعان إليها قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]. ومنها: فعل قوم لوط، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]. ومنها: التكذيب بالبعث والنشور قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٨ - ٤٩]. ومنها: كراهية الحق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ

وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ – ٧٨]. ومنها: ترك الصلاة، وعدم إطعام المسكين، والخوض مع الخائضين بالباطل، والتكذيب بيوم الدين قال الله تعالى:﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: ٣٩ – ٤٦]. فكلما أوغل المجرم في تلكم الصفات أو بعضها، أو ممن يمكر بالرسل وأهل الإيمان كان من أكابر المجرمين، والعياذ بالله. ويكتمل التحذير من طريق المجرمين بالوقوف على عاقبتهم ومصيرهم: ومن مآل المجرمين ما تقدم، ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩ – ٥٠] ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٦ – ٨٧]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧ – ٤٨]. والله أعلم.

٢٥٢٩. تفيد: التحذير من أن يكون العبد رأساً في الشر والضلال، وكما قال العنبري: "لأن أكون ذنباً في الحق، أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل".

٢٥٣٠. فيها تقرير سنة الابتلاء الكونية لخاصة الخلق ليعظم قدرهم ويظهر شرفهم.

٢٥٣١. فيها: أن الأكابر من المجرمين والدعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله هم من ابتلي بهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

٢٥٣٢. فيها: من أخص صفات المجرمين (المكر) بالإسلام وأهله، وكلما كبر مكره عظم إجرامه.

٢٥٣٣. فيها أن المكر السيء لا يحيق الا بأهله؛ قال تعالى:﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ فاطر: ٤٣.

٢٥٣٤. فيها: أن أهل الإجرام يدعون إلى الضـلالة بزخرف من المقال والفعال. أفاده ابن كثير رحمه الله.

٢٥٣٥. فيها: رد على القدرية والمعتزلة.

٢٥٣٦. تفيد أن أعظم أسـباب دمار وهلاك الشـعوب والأمم هو اجتماع العقول الاجرامية الماكرة لوضع مخططات الاجرام والمكر لشعوبها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ﴾ إشـارة إلى أنه لا يشـترط أن يعتلي هؤلاء المجرمون الماكرون رأس الهرم في القيادة؛ بل يكفيهم أن يكونوا في القرية والبلدة يضعون ويبثون مخططات المكر والاجرام بين الشعوب، وفي هذا أيضا إشارة لطيفة إلى أن لهؤلاء المجرمين الماكرين قاعدة وشريحة عريضة من المؤيدين؛ (وكما يكونون يولى عليهم).

٢٥٣٧. فيها بيان عظيم قدرة الله على المجرمين مهما بلغ كبرهم وعظمتهم فالله أكبر وأعظم.

٢٥٣٨. تفيد: التحذير من مكر الله، لقوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

٢٥٣٩. فيها: ما أعظم الخسـران حين يجتهد الإنسـان في المكر وهو يمكر بنفسـه ليشـقيها ويهلكها. وهو لا يشعر!

٢٥٤٠. تفيد أن مكر المجرم مهما بلغ فهو هلاك لنفسه وهو لا يشعر.

٢٥٤١. فيها: يقع المجرمون من حيث لا يحتسبون.

٢٥٤٢. فيها بعد المجرمين عن سنن الله في خلقه وقريب من معنى هذه الاية: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النمل: ٤٨ – ٥١].

٢٥٤٣. فيها: الجزاء من جنس العمل فالمجرمين لا شعور ولا أحاسيس لهم ولا يراعون مشاعر الناس؛ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

٢٥٤٤. قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ هو نفي للعلم بالشيء المدرَك بالشعور، والعلم الذي يتحصل بالشعور هو أدنى مراتب العلم؛ لأن الباعث عليه هو الشعور الجبلي الحيواني، فلما نفى عنهم الشعور، نفى عنهم أبسط مراتب الإدراك فجعلهم أخس مرتبة من البهائم بل أضل سبيلاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

٢٥٤٥. فيها مع ما قبلها: يستفاد من قوله: ﴿ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ مع قوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أن الجزاء من جنس العمل.. وأن العبد لا يسعى للزعامة والفخامة وأن يكون من الأكابر؛ فإنها ستكون وبال عليه وعليه بالاجتهاد ليكون إماما في الدين فقط بعلمه وعمله ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٢٥٤٦. فيها: مناسبة لما قبلها، وكأنه يقول: فمهما بلغ إجرام هؤلاء فأنا القادر عليهم، والمذل لهم في الدنيا والآخرة. وهذا واقع ومشاهد ولله الحمد؛ فلا يعلم أن جبارا من هؤلاء الجبابرة إلا قصمه الله وأذله وأخزاه. أي لما كانوا أكابر وقادة في الباطل والإجرام حل بهم الذل والصغار عند الحق تبارك وتعالى جزاء كبرهم ومكرهم وعنادهم وجحودهم.

٢٥٤٧. فيها مع ما قبلها فضل من يجاهد هؤلاء العتاة من المجرمين؛ قال السعدي: وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين.

٢٥٤٨. تفيد الآية رحمة الله بعباده وتيسيره لهم بوضوح الدلائل على وحدانيته وأحقيته بالعبادة دون سواه؛ لقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ﴾ فالعباد لا يتعبون في البحث عن الدلائل، بل الدلائل تبحث عنهم.

٢٥٤٩. تفيد كثرة الآيات؛ لتنكير قوله: ﴿ءَايَةٞ﴾ ولكن «وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون».

٢٥٥٠. تفيد الآية عناد المشركين واستكبارهم عن قبول الحق ﴿لَن نُّؤۡمِنَ﴾.

٢٥٥١. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ﴾.

٢٥٥٢. فيها أن الاشتراط عند الإيمان من صفات المجرمين.

٢٥٥٣. تفيد أن أكابر المجرمين حسدة مستكبرون؛ قال السعدي: وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسدا منهم وبغيا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ من النبوة والرسالة. وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على فضل الله وإحسانه. فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلا أن يكونوا من النبيين والمرسلين، فقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده.

٢٥٥٤. فيها خطر دعوى المساواة المطلقة.

٢٥٥٥. فيها رفعة مقام الرسل، ومزيد تشريف لهم؛ أفاده إضافة الرسل إلى لفظ الجلالة ﴿رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾.

٢٥٥٦. تفيد أنهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنهم رسل الله؛ لقولهم: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ فالأمر كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

٢٥٥٧. تفيد مثالا لنوع من أنواع علوم القرآن؛ وهو ما تكرر من الكلمات مرتين متتاليتين في الآيات القرآنية؛ كقوله ههنا: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ﴾.

٢٥٥٨. تفيد تعظيم الرب جل وعلا، وبيان سعة علمه؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾.

٢٥٥٩. التعبير بقوله: ﴿أَعۡلَمُ﴾ إن كان على بابه من الصنعة النحوية يفيد أن بعض البشر من أهل الكتاب وغيرهم يعلمون بعض ذلك، وإن كانت على غير بابها ففيها اختصاص الله بعلم ذلك وحصر علم ذلك عنده.

٢٥٦٠. فيها إثبات الرسالات والنبوات. واختيار الله تعالى لحملها من هم أهل لها.

٢٥٦١. تفيد الآية حكمة الله باختياره واصطفائه للأنبياء ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

٢٥٦٢. في هذه الآية، دليل على كمال حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيما واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله.

٢٥٦٣. فيها سعة دلالات اللغة العربية وبلاغة القرآن الكريم إذ عبر بكلمة ﴿حَيۡثُ﴾ التي تدل على الزمان والمكان والكيفية والمعنى: الله أعلم متى يجعل رسالته وأين يجعلها وكيف يجعلها بل وفيمن يجعلها.

٢٥٦٤. تفيد: أن النبوة لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب، وعليه: ففيها رد على الفلاسفة – الزنادقة – المجوزين اكتساب النبوة. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ [طه: ١٣] ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال الناظم: "ولا تنال رتبة النبوة... بالكسب والتهذيب والفتوة".

٢٥٦٥. فيها: أن آيات الأنبياء والرسل لن يُعطاها من البشر إلا رسول مرسل، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها. أهـ وعليه: فالأنبياء معصومون من الشرك قبل بعثتهم.

٢٥٦٦. تفيد التحذير من الإجرام، وبيان سرعة الانتقام؛ للسين والفعل المضارع في قوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾.

٢٥٦٧. تفيد الآية عظم ذنب من استكبر عن قبول الحق فقد قال تعالى: ﴿ أَجْرَمُواْ ﴾ ولم يقل (كفروا). فالاستكبار عن الحق أعظم جرم.

٢٥٦٨. فيها أن مخالفة الرسل ذل في الدنيا، وعذاب في الآخرة؛ لقوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ وقال النبي ﷺ: وجعل الذل والصغار على من خالف أمري.

٢٥٦٩. فيها: وعيد شديد من الله عز وجل لمن تكبر عن اتباع رسله بأن يصيبهم يوم القيامة صغار وهو الذلة والمهانة وعذاب اليم.

٢٥٧٠. تفيد أن المعيار هو مكانتك عند الله عز وجل لا عند الناس؛ لقوله: ﴿ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فلا يضرك ما فاتك من جاه الدنيا وزخرفها الفاني.

٢٥٧١. قدم الصغار على العذاب لأنه يصيبهم في الدنيا.

٢٥٧٢. فيها أنه ما من مجرم إلا سيذل ويهان لأن الله وعده بالصغار.

٢٥٧٣. فيها عدم الاغترار بجاه ومكانة العبد أن لم يكن من أهل الإيمان.

٢٥٧٤. فيها: لما كان المكر غالبا إنما يكون خفيا، وهو التلطف في التحيل والخديعة، قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا. وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان" والحكمة في ذلك أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس، فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل. ابن كثير.

٢٥٧٥. فيها: بيان عدل الله سبحانه؛ لقوله في آخر الآية: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ أي: بسبب مكرهم.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥]

٢٥٧٦. تفيد أن الله سبحانه وتعالى موصوف بصفة الإرادة يفعل ما يشاء ولا مكره له سبحانه وتعالى. والإرادة إما كونية وإما شرعية، وهي في هذه الآية إرادة كونية كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة.

٢٥٧٧. فيها أن الهداية منة من الله تعالى.

٢٥٧٨. فيها أن من علامات الهداية انشراح الصدر.

٢٥٧٩. فيها: إنما يبلغ العباد غاية الانشراح بالهداية والضد بالضد.

٢٥٨٠. تشير إلى أن الانشراح والسعة أمر محبوب مطلوب في كل شيء لا سيما في الأمور الإيمانية والمعنوية وأن الضيق مكروه متروك كذلك في كل شيء؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ﴾ [النساء: ١٠٠]، وفي حديث: " أربع من السعادة: وذكر منها: البيت الواسع".

٢٥٨١. فيها فضل الإسلام فبه تنشرح الصدور.

٢٥٨٢. فيها: أن الهداية سبب من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

٢٥٨٣. فيها أن ضيق الصدر من أعظم البؤس والعذاب في الدنيا.

٢٥٨٤. فيها: قوة التعبير القرآني؛ حيث زاد وصف الضيق بالحرج؛ الذي هو أضيق الضيق.

هداية كلية: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من تدبر القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ [الصف: ٥] وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٨ – ١٠].

(مجموع الفتاوى ٨/٢٢٢).

٢٥٨٥. تفيد الآية وتعضد الإعجاز العلمي وهو أنه كلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض قل الأوكسجين.

٢٥٨٦. فيها: استحباب التشبيه وضرب الأمثال.

٢٥٨٧. تشير الآية إلى أن الكافر إذا دعي إلى الإسلام فكأنما قد كلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيعه بحال. ففيها إشارة إلى أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود إلى السماء.

٢٥٨٨. فيها أن من أسباب ضيق الصدر البعد عن الالتزام بالإسلام..

٢٥٨٩. فيها علم نفس الضالين. ومن ذلك: الضال يتصرف بانفعال شديد وعنيف. أهل الضلال ينسون قيمهم وأخلاقياتهم بسبب ضيق الصدر.

٢٥٩٠. فيها تهئية للداعية حتى لا يفاجا برد فعل أهل الضلال.

٢٥٩١. فيها إثبات الأفعال الاختيارية لله سبحانه وتعالى.

٢٥٩٢. فيها: رد على القدرية والمعتزلة.

٢٥٩٣. فيها: أن الإسلام سهل يسير جدا، فمن سأل الله أعطاه؛ وتأمل قوله: ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ وقوله: ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ فانظر كل هذه الألفاظ عند إضلال الله لهؤلاء. وانظر إذا منّ بالهداية فقط ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾ ولذا قال: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩] وفي الحديث القدسي: "قد طلبت منك أهون من ذلك".

٢٥٩٤. فيها: لا يجد أهل الضلالة السعادة فيما هم فيه من الضلالة، لذا فهم يتزايدون فيها مظنة بلوغ السعادة.

٢٥٩٥. فيها: بيان خطر الكفر بالله، وعدم الإيمان، وأنه سبب في العذاب، لقوله:﴿يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ .

٢٥٩٦. فيها: رد على الجبرية – أيضا –. فالآية، جمعت بين الرد على الجبرية والقدرية؛ قال أبو جعفر الطبري: وفي هذه الآية أبينُ البيان لمن وُفّق لفهمهما، عن أن السبب الذي به يُوصل

إلى الإيمان والطاعة، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله.

٢٥٩٧. فيها: متى هدى الله من شاء وأضل من شاء فما هو بظلام للعبيد فإنما يُجعل الرجس على من هو أهله.

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦]

٢٥٩٨. ما أعظمه من بيان وما أروعه من تفصيل مرغب للهدى!! أشار إليه بإشارة القريب ﴿وَهَٰذَا﴾ ونسبه إلى نفسه ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ ووصفه بأنه ﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولا يذكرون!!

٢٥٩٩. فيها تلطف من الرب الرحيم لعباده المؤمنين؛ لقوله:﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾، فإضافة الصراط إلى الرب فيها معنى الربوبية التي تضفي على عباده معاني الخلق والتربية والرحمة والحفظ والعطف واللطف. ثم يزيدها قرباً وتلطفاً بكاف المخاطب ليشعر المؤمن بقرب ربه منه وأنه يختصه برحمته ونعمته وهدايته إلى هذا الصراط المستقيم. ثم يزيد ذلك اللطف بمقتضيات تلك الربوبية ﴿فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ فهو يربّي عبده ويفصّل له ويبين له ويتدرج به لذا جاءت البشرى بعدها بالنتيجة ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧] فما أعظمك وما أجملك من رب رؤوف رحيم.

٢٦٠٠. فيها: ترضية وتشريف للنبي – صلى الله عليه وسلم- .قال ابن عاشور – رحمه الله –: وإضافة الرب إلى ضمير الرسول تشريف للمضاف إليه، وترضية للرسول صلى الله عليه وسلم بما في هذا السنن من بقاء بعض الناس غير متبعين دينه.

٢٦٠١. فيها: بيان أن من أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته فعليه أن يسلك صراط الله المعتدل الذي لا اعوجاج فيه.

٢٦٠٢. في إفراد الصــراط بيان أن طريق الحق واحد وأن طرق الضــلال متعددة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢٦٠٣. تفيد فضل الصراط المستقيم لسعته ووضوحه واستقامته ونسبته إلى الرب العظيم.

٢٦٠٤. فيها: تفخيم وتعظيم وتبجيل لهذا الصـراط، لأنه أضـافه لنفسـه – جل ذكره –؛ قال ابن عاشور: وإضافته إلى الرب لتعظيم شأن المضاف، فيعلم أنه خير صراط..

٢٦٠٥. فيها: تعريض باعوجاج وضلال طريق من سبق ذكرهم من أهل الكفر والإجرام؛ وكما قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] قال ابن كثير في تفسيره: لما ذكر تعالى طريقة الضـالين عن سـبيله، الصـادين عنها، نبه على أشرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾.

٢٦٠٦. تفيد: أنه لا عذر لأحد في عدم الإيمان بالله، والتزام صــراطه المســتقيم، لقوله: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ ﴾ ونحوه قوله تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٢٦٠٧. تفيد أن الآيات في المعنى اللغوي تعني العلامة وهي في غاية الوضوح وغايتها أن ترشد الإنسان الضال والتائه إلى ربه، كما ترشد العلامة الضال في الطريق.

٢٦٠٨. فيها: بيان أنه لا يعرف توضيح الآيات وتفسيرها الا لمن فهم ووعي وعقل عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٢٦٠٩. تفيد أنه لا يعلم تفصيل الآيات كل أحد بل لا يعلمه إلا من انتفع بعلمه وتذكر وعد ربه.

٢٦١٠. تفيد أن الآيات من أعظم أسباب التذكر والذكرى.

٢٦١١. تفيد أنه ليس كل أحد ينتفع ويتذكر بالآيات الباهرة؛ قال الســعدي: ولكن هذا التفصــيل والبيان، ليس لكل أحد، إنما هو ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعد الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل. وقال طنطاوي: أي: جعلناها بينة واضحة

مفصلة لقوم يتذكرون ما فيها من هدايات وإرشادات فيعملون بها لينالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

٢٦١٢. تفيد: وجوب التذكر بآيات الله، والاعتبار والعمل بها، كما أخبر عن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣] لا كالأموات الذين ذكر الله.

٢٦١٣. تفيد: أن العاقل الحقيقي، من يتذكر ويعتبر بآيات الله، وتصديقه: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨] ومثله كثير في القرآن. قال الطبري في تفسيره: وخص بها "الذين يتذكرون"، لأنهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو الحجى والفضل.

٢٦١٤. تفيد: أن تذكرها، سبب في دخول الجنة، بدليل ما بعدها: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢٧] وعليه: ففيها: مناسبة لما بعدها؛ قال مكي في الهداية: وقوله: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: للقوم الذين يذّكّرون دار السلام..

قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]

٢٦١٥. تفيد مع ما قبلها أن من تذكر عمل لهذه الدار؛ لقوله تعالى: ﴿لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

٢٦١٦. تفيد عظيم نعيم المؤمن إذ يشعر كل فرد منهم بأن الجنة ملكه﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

٢٦١٧. تفيد الآية أن الجنة هي دار السلام... وهي اسم على مسمى.. ففيها السلامة من كل آفة ومن كل شر.

٢٦١٨. تفيد أن الجنة سالمة من كل آفة فأهلها لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]. قال السعدي: وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها في

غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

٢٦١٩. فيها فضل التحية بالسلام.

٢٦٢٠. تفيد: أن الجنة محرمة على الكافرين؛ أفاده الحصر في قوله: ﴿لَهُمۡ﴾ يريد: لهم وحدهم، وتصديقه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢٦٢١. في التعبير عن الجنة بأنها دار دلالة على سعتها وسعة نعيمها وعلى طلاقة تلك السعة بحيث لا يقيدها شيء، فالدار هو البيت الواسع الذي تدور في كل مكان فيه فلا يمنعك شيء وتدور حوله من كل جانب أو ناحية فلا يمنعك ولا يعوقك شيء من بناء ونحوه وفي ذلك من النعيم ما لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه ولا يدرك غوره بحال والذي يؤكد هذا أن الله لم يذكر الدار أبدا موصوفة بالدنيا ولا مضافة إليها كما فعل مع الآخرة، إذ كيف تكون دارا مع أنها دنيا أي دنيئة دنية أما الآخرة فقد أضيفت الدار إليها أو وصفت بها ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا﴾ [القصص: ٨٣] ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] وغير ذلك ثم إضافة الدار إلى السلام احتراس من أن ينغص هذا النعيم المشار إليه بذكر مكانه منغص ما أو يمنعه مانع أو يقطعه شيء فمكان هذا النعيم سالم من كل ذلك وغيره ثم إن هذا الاحتراس المشار إليه بإضافة الدار إلى السلام شامل المكان ومن سكنه والزمان ومن عاشه. ثم يأتي هذا النعيم العظيم مكنة ومكانا ومكانة فيزداد ويعظم في ظل هذا الجار الذي له صفات الجمال والكمال والجلال ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فيضفي على هذا النعيم بهذا الجوار من صفاته تلك كمالا وجمالا وجلالا بما تحار فيه البصائر وتتلاشى في إدراكها الأبصار فأكرم به من دار وأعظم به من جار فنعما ذاك.

٢٦٢٢. فيها: هي دار السلام لمن أتى الله بقلب سليم، والله هو الولي بما يعمل العباد فاصدقه واجتهد.

٢٦٢٣. فيها: دار السـلام عند رب لطيف كريم كم تتوق الأنفس لتلك الدار مع اشـتداد المخاوف والفتن. ولتدرك دار السلامة كن من أهلها والله وليّك فيما عملت.

٢٦٢٤. فيها: متى ابتغيت بلوغ السـلامة في دار السـلام، فاجتهد في تحقيق السـلامة في الأعمال؛ فهي دار وسـلام وجوار ومقام ليس للعباد مثل ذلك في الدنيا وإنما هي في دار السلام.

٢٦٢٥. جمعت هذه الكريمة ثلاث فضائل عظيمة نسأل الله الكريم من فضله:

أولا: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ فهي لهم دون غيرهم.

ثانيا:﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ فطابت الدار وطاب الجوار.

ثالثا: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ فاكتمل عقد الفضـائل بولاية الله تعالى لهم وكفايته وحمايته. اللهم لا تحرم فضل ما عندك بسوء ما عندنا.

٢٦٢٦. تفيد الآية إضافة الضمير في ﴿رَبِّهِمۡۖ﴾ وهي إضافة تشريف وتكريم للمؤمنين.

٢٦٢٧. تفيد الآية أهمية الجوار والجار وكما قيل الجار قبل الدار. ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾.

٢٦٢٨. تفيد حصـر ولاية الله لأهل الجنه؛ لقوله تعالى:﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ أي: لا ولي لهم سـواه؛ وفي هذا ما تلذذ به القلوب الطاهرة التي وحدت الله عز وجل وأحبته وعملت للقائه في ذلك اليوم؛ والأنس بجواره في دار السلام.

٢٦٢٩. تفيد أن من أعظم الكرامات وأعلى المقامات والتشـريفات؛ أن تكون قريبا من الله؛ ويكون الله قريبا منك؛ لقوله تعالى:﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ فقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ يدل على قربهم من الله تعالى، وقوله: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ يدل على قرب الله منهم.

٢٦٣٠. تفيد الآية أن الله يتولى المؤمنين بسبب ما قدموا من الأعمال الصالحة.

٢٦٣١. تفيد بمفهوم المخالفة أن المشركين والمجرمين لا ولي لهم.. خابوا وخسروا.

٢٦٣٢. تفيد أن ولاية الله تعالى تتحقق بفعل أوامره واجتباب نواهيه؛ ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٢٦٣٣. تفيد أهمية العمل وأثره في دخول الجنة؛ قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢].

٢٦٣٤. تفيد أن العمل الصالح من أسباب ولاية الله عز وجل للعبد؛ لقوله: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

٢٦٣٥. فيها رد على المرجئة لأنهم يخرجون العمل من الإيمان.

٢٦٣٦. تفيد: أن من عمل بالطاعات تولاه الله بنصره ورعايته والفوز بجنته.

٢٦٣٧. تفيد أهمية الأخذ بالأسباب؛ وأن على العبد ألا ينقطع من العمل؛ فبالرغم من أن العبد لن يدخل دار السلام إلا برحمة السلام؛ فإن عليه أن يسلك صراط السلام لينعم بدار السلام عند ربه السلام؛ "اعملوا فكل ميسر لما خلق له". وهنا قد تظهر للمتأمل والمتدبر سر التناسق والتناسب بين هذه الآية والتي قبلها: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ فمن سلك صراط السلام دخل دار السلام.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]

٢٦٣٨. تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع ما قبلها فبعد أن ذكرت الآية السابقة دار السلام وأهلها وأنهم بجوار معبودهم ومولاهم رب العالمين؛ ذكرت هذه الآية الكريمة دار البوار وأهلها؛ وأنهم بجوار معبوداتهم ومواليهم من الشياطين. وعلى هذا فإن في هذا دليل على أن القرآن الكريم مثاني؛ يثنى فيه الوعد بالوعيد؛ وحال أهل الجنة بحال أهل النار.

٢٦٣٩. فيها مع ما قبلها: الجمع بين الترغيب والترهيب في المواعظ ونحوها.

٢٦٤٠. فيها التخويف من يوم القيامة، وتهويل أمره؛ يؤخذ من تنكير «يوم».

٢٦٤١. فيها إثبات البعث والردّ على منكريه من المشركين وغيرهم.

٢٦٤٢. فيها أن تذكر البعث والنشور والوقوف بين يدي الله تعالى مما ينصلح به حال الإنسان وتزكوا به نفسه وهذا مستفاد من قوله:﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ أي واذكر.

٢٦٤٣. فيها أن الحشر للجميع لا يتخلف أحد؛ لقوله:﴿ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٨] ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ [التكوير: ٥].

٢٦٤٤. فيها: بيان قدرة الله على جمع هؤلاء جميعا.

٢٦٤٥. فيها أنّ الجن مكلفون وسيحشرون ويحاسبون.

٢٦٤٦. تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.

٢٦٤٧. تفيد أن كثيراً من شرور بني آدم بسبب الجن؛ لقوله: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾. وفي الحديث: "إني خلقت عبادي كلهم حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. رواه مسلم.

٢٦٤٨. فيها: وجه الخطاب إلى معشر الجن، لأنهم هم الأصل في إضلال أتباعهم من الإنس، وهم السبب في صدهم عن السبيل القويم. والمقصود من هذا القول لهم توبيخهم وتقريعهم على ما كان يصدر منهم من إغواء الغافلين من الإنس.

٢٦٤٩. تفيد: أهمية التعوذ بالله من الجن؛ ولذا شرع التعوذ منها صباح مساء، كما ورد في المعوذات ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦].

٢٦٥٠. تفيد أن للجن والشياطين أولياء من الإنس؛ لقوله:﴿ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾ وقوله: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

٢٦٥١. تفيد أن هذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني. فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن، وإنما هم من أولياء الشيطان. أطاعوه

في الإشراك، ومعصية الله، والخروج عما بعث به رسله، وأنزل به كتبه. فأطاعهم في أن خدمتهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات، واغتر بهم من قل حظه من العلم والإيمان فوالى أعداء الله، وعادى أولياءه، وحسن الظن بمن خرج عن سبيله وسنته، وأساء الظن بمن اتبع سنة الرسول، وما جاء به، ولم يدعها لأقوال المختلفين، وآراء المتحيرين وشطحات المارقين، وترهات المتصوفين. والبصير الذي نور الله بصيرته بنور الإيمان والمعرفة إذا عرف حقيقة ما عليه أكثر هذا الخلق، وكان ناقدا، لا يروج عليه الزغل، تبين له أنهم داخلون تحت حكم هذه الآية، وهي منطبقة عليهم. فالفاسق يستمتع بالشيطان، بإعانته له على أسباب فسوقه، والشيطان يستمتع به في قبوله منه وطاعته له فيسره ذلك، ويفرح به منه. والمشرك يستمتع به الشيطان بشركه به، وعبادته له. ويستمتع هو بالشيطان في قضاء حوائجه، وإعانته له. ومن لم يحط علما بهذا لم يعلم حقيقة الإيمان والشرك، وسر امتحان الرب سبحانه كلا من الثقلين بالآخر.

٢٦٥٢. فيها دليل على عدم جواز الاستعانة بالجن ولو كانوا مسلمين، وقد استدل بها على ذلك كثير من العلماء؛ لأن هذا يدخل في قوله:﴿ ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ ﴾ وللبسط موضع آخر، والله أعلم.

٢٦٥٣. تفيد أنه لا دليل في الآية على من أجاز التناكح والتزاوج بين الإنس والجن؛ وإنما قصارى ما فيه هو استمتاع بعضهم ببعض؛ ولا يلزم منه التناكح والتزاوج. والله أعلم.

٢٦٥٤. تفيد تعدد المواقف يوم القيامة؛ ففي بعض المواقف تكون المواجهة بين الإنس واوليائهم من الجن؛ وفي بعضها بين الإنس بعضهم ببعض (الأولياء والأتباع).

٢٦٥٥. فيها التزهيد في الدنيا وأن متعها فانية ومحاسب عليها؛ لقوله:﴿ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ ﴾.

٢٦٥٦. فيها إثبات النار والتخويف من دار البوار.

٢٦٥٧. فيها بقاء النار وأن عذاب أهلها دائم؛ لقوله:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾.

٢٦٥٨. تفيد خطأ من يقول على من مات: (انتقل الى مثواه الأخير)؛ فإن المثوى الأخير إما الجنة وإما النار؛ نعوذ بالله من مثوى النار.

٢٦٥٩. فيها: أهمية الاستثناء في الحديث، والعزم على الشيء، والله يستثني ليعلمنا.

٢٦٦٠. فيها: صفتا "الحكمة والعلم" لله - جل ذكره.

٢٦٦١. ولما كان هذا الحكم من مقتضـى حكمته وعلمه، ختم الآية بقوله:﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فكما أن علمه وسـع الأشـياء كلها وعمّها، فحكمته الغائية شملت الأشـياء وعمتها ووسعتها. السعدي.

٢٦٦٢. جملة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ تسلية لبيان ما تقتضيه حكمته وإرادته. أي: إن ربك حكيم في التعذيب والإثابة وفي كل أفعاله. عليم بأحوال الثقلين وأعمالهم وبما يليق بها من جزاء.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

٢٦٦٣. تفيد دقة التناسـب وروعة التناسـق مع ما قبلها فبعد أن بين سـبحانه وتعالى في أهل الجنة أن لهم دار السلام، بين أنه تعالى وليهم بمعنى الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة، فكذلك لما بين حال أهل النار ذكر أن مقرهم ومثواهم النار، ثم بين أن أولياءهم من يشـبههم في الظلم والخزي والنكال.

٢٦٦٤. فيها، وبضـميمة ما قبلها: أن من حكمة الله وعلمه، أن يولي بعض الظالمين بعضـا بسبب ما كانوا يكسبون. والحكمة وضع الشيء في موضعه. كما أنه العليم كيف يسلطهم على بعض.

٢٦٦٥. فيها، وبضميمة ما قبلها: أن في الجن ظلمة وبغاة.

٢٦٦٦. فيها: تعظيم الله جل وعلا.

٢٦٦٧. تفيد معنى الكلمة المشهورة (كما تكونوا يول عليكم) ولا تثبت كحديث.

٢٦٦٨. تفيد أن سبب وجود الولاة الظالمين هو معاصي الناس وما كسبته أيديهم.

٢٦٦٩. تفيد أن صلاح دنيا الناس وآخرتهم هي أعمالهم الصالحة والعكس.

٢٦٧٠. تفيد أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، ومنْعهم الحقوق الواجبة، ولَّى عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين. كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف.

٢٦٧١. تفيد أن الرعية متى ما أرادوا التخلص من الأمير الظالم فعليهم أن يتخلصوا من الظلم الذي يقومون به؛ فإن الجزاء من جنس العمل؛ وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾.

٢٦٧٢. تفيد أن التولية والعزل راجع إلى الله فهو الذي يؤتي الملك وينزعه.

٢٦٧٣. تفيد: التحذير من الظلم.

٢٦٧٤. تفيد: أنه يجب الأخذ على يد الظالم، وأن السكوت سبب في تسلطه.

٢٦٧٥. تفيد: أن الظالمين أولياء بعض.

٢٦٧٦. تفيد: أن من أعان ظالما، سلطه الله عليه.

٢٦٧٧. تفيد أنه إذا لم يقلع الظالم عن ظلمه سلط عليه ظالم آخر؛ وقد قيل: ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم.

٢٦٧٨. تفيد تحريم الظلم وبيان عواقبه الوخيمة.. قال السعدي: كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالما مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيع أثرها، البليغ خطرها. والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

٢٦٧٩. تفيد أن الأرواح الخبيثة تنضم إلى ما يشاكلها في الخبث، وكذا القول في الأرواح الطاهرة، فكل أحد يهتم بشأن من يشاكله في النصرة والمعونة والتقوية.

٢٦٨٠. تفيد: أن الله يولي أولياءه المتقين، بعضهم بعضا بأعمالهم الصالحة، فكلما ازداد العبد في الزلفى إلى الله، أحبه خلق الله وتولوه.

٢٦٨١. تفيد: أن ما يسلط على العبد، هو بسبب ما اكتسبه من الإثم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وسب رجل وكيعا، فقال وكيع: زد وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه.

٢٦٨٢. فيها: رد على القدرية والمعتزلة.

٢٦٨٣. فيها: بيان عدل الله.

٢٦٨٤. تفيد ردا على الجبرية.

٢٦٨٥. تفيد أن السيئة تقود إلى سيئة أخرى؛ لقوله: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]

٢٦٨٦. النداء في قوله: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ يختص بمن بعدوا في الضلال وانغمسوا في الخبال وهذا مستفاد من أداة النداء (يا) فحينئذ يكون التعريف في الإنس والجن هذا من قبيل العام الذي أريد به الخصوص والله أعلم.

٢٦٨٧. تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، والرد على الجهمية.

٢٦٨٨. تفيد إثبات الرسالات.

٢٦٨٩. فيها: بيان مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي إقامة الحجة على البشر.

٢٦٩٠. فيها: بيان رحمة الله عز وجل بالجن والإنس في أرساله الرسل لتحذيرهم من يوم العرض على الله عز وجل يوم القيامة ليستعدوا بالعمل الصالح وإخلاص العمل له جل وعلا.

٢٦٩١. تفيد إثبات الجن وأنهم مكلفون ومحاسبون.

٢٦٩٢. تفيد أن التكليف الذي يقع عليه الجزاء مرتبط بالجن والإنسان.

٢٦٩٣. فيها فضل الله عز وجل ورحمته بالجن والإنس حيث أرسل إليهم الرسل والأنبياء في أماكنهم ولم يكلفهم عناء البحث عنهم؛ لقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.

٢٦٩٤. تقديم الجن يشير إلى تقدمها في الخلقة.

٢٦٩٥. تفيد أن الرسل من الإنس؛ وإنما قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرجان من أحدهما وهو الماء الملح دون العذب. قال أبو السعود: والمعنى: ألم يأتكم رسل من جملتكم: لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معا بل من الإنس خاصة، وإنما جعلوا منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم، والإيذان بتقاربهما ذاتا، واتحادهما تكليفا وخطابا. كأنهما من جنس واحد، ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر، وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل، وقد ثبت أن الجن استمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنذروا بما سمعوه. أقوامهم، إذ حكى القرآن عنهم أنهم وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ وأنهم قالوا لهم: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً.

٢٦٩٦. فيها أن الرسل الذين تقوم بهم الحجة ويقع بهم الإنذار هم من كانوا من جنس المرسل إليهم لقوله: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾.

٢٦٩٧. تفيد رحمة الله تعالى وحكمته إذا جعل الرسول من جنس المرسل إليهم ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾.

٢٦٩٨. تفيد جلالة ومكانة الرسول، وأهمية الإيمان به واتباعه وعدم تكذيبه ومعصيته.

٢٦٩٩. تفيد: أهمية قراءة القرآن على الناس، وبيان أحكامه وحدوده، وما فيه من مواعظ؛ لقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾ .

٢٧٠٠. فيها هداية للناس عامة، والدعاة الذين يشتغلون بذكر القصص الحادثة – بحيث يكون أكبر همهم –، أن يتقوا الله ربهم، ويشغلوا أنفسهم والناس بكتاب الله.

٢٧٠١. فيها أن التكرار في التذكير بالآيات هو أقوى أنواعه وأبلغ صوره للتعبير بالفعل المضارع ﴿ يَقُصُّونَ ﴾.

٢٧٠٢. فيها إشارة إلى موقع القصص في القرآن وإلى أهميتها في الإنذار والتخويف.

٢٧٠٣. فيها: يوم القيامة حق لا ريب فيه؛ ولذا عبر عنه وكأنه حاصل وواقع، ولهذا قال: ﴿ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾.

٢٧٠٤. تسمية الموقف ب ﴿ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ لملاقاة الله تعالى وملاقاة العمل.. ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ [البقرة: ٢٢٣] في لقاء الله.. وفي لقاء العمل قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦] على القول بأن الهاء تعود إلى الكدح.. فيكون حذف الملتقى به لإرادة التعميم.. ويدخل فيه كل ملتقى به غير المذكور سابقا ومنه الذين ظلمهم من البشر.. والتعميم ناسب الآية وموضوعها.. وزاد من الترهيب من اليوم..

٢٧٠٥. فيها: أهمية التذكير بلقاء الله.

٢٧٠٦. تفيد أن من أعظم مهام الدعاة تحذير الناس من عذاب يوم القيامة وشدة ما فيه من عقاب.

٢٧٠٧. تفيد إثبات البعث وأنه كائن لا محالة.

٢٧٠٨. في الإشارة بقوله: ﴿ هَٰذَاۚ ﴾ ما يفيد الحضور والعظمة.

٢٧٠٩. فيها أن التوبيخ والتقريع نوع من الإهانة والتعذيب الذي يغشى الكفار يوم القيامة.

٢٧١٠. فيها أن الاستفهام أحيانا يطلق والقصد منه التوبيخ والإعذار.

٢٧١١. تفيد أن شهادة الإنسان على نفسه من أقوى أنواع الشهادات؛ وهي مقبولة قطعا؛ لأنه إخبار على وجه تنتفي التهمة عنه؛ لأن العاقل لا يكذب على نفسه؛ لقوله تعالى:﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾.

٢٧١٢. تفيد: أهمية إقرار الجاني واعترافه؛ لتنقطع المعاذير؛ ولذا نسمع عن القضاة يقولون للجاني: مذنب أم غير مذنب؟، – وإن كان ليس شرطا في إقامة الحد، فبشهود غيره عليه وجب الحد إذا استوفى النصاب– ، ولذا يحمد الله يوم القيامة على تمام عدله وقسطه: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٧١٣. فيها دلالة على صحة كلام الجمع على ما يتطلب الإجابة الفردية.. وهو اسلوب مستخدم في التعليم.

٢٧١٤. فيها: بيان أن الحياة الدنيا هي دار الغرور.

٢٧١٥. تفيد أن الغرور بالدنيا سبب كفرهم وعدم تصديقهم للآيات المقصوصة أو المتلوة ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، فهي من موانع الاستجابة للأمر والنهي.

٢٧١٦. تفيد: الحذر من فتنة الدنيا، والاغترار بها.

٢٧١٧. فيها أن الزينة لها تأثير عظيم على القلب والفكر وبسببها يخدع كثير من الناس.

٢٧١٨. فيها توبيخ لمن اغتر بالدنيا على دنوها وحقارة شأنها.

٢٧١٩. فيها إشارة لضعف عقولهم لأن الغر هو الذي ينخدع بظواهر الأمور ويغفل عن بواطنها وحقائقها.. وتصديقه قوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

٢٧٢٠. فيها أن الإنسان قصير النظر سطحي الفكر يقدم العاجل على الآجل.

٢٧٢١. وصـف الحياة بالدنيا فيها موعظة للسـامع والتالي، وزيادة توبيخ للمتحدث عنهم إذ كان غرورهم بشيء حقير قليل دنيء.. فأكد على خفة عقولهم، وعلى زيادة تحسيرهم في ذلك الموقف.

٢٧٢٢. فيها: بيان أن الفوز والنجاة يوم القيامة إنما هو بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.

٢٧٢٣. فيها: بيان أنه لا ينفع الكافر يوم القيامة الإقرار ولا الإيمان لفوات زمانه.

٢٧٢٤. فيها شـهادة الكافر على نفسـه يوم القيامة.. وأنها من شـواهد عدل الله تعالى وإقامة الحجة على عباده.. ويفهم منها قاعدة تربوية مهمة قبل إنزال العقوبة على المخطئ ابناً كان أو طالبا حتى لا يتوهم أو يظن أنه عوقب ظلما..

٢٧٢٥. تفيد قيام الحجة عليهم يوم القيامة وأعظم ما قامت به شـهادتهم على أنفسهم واغترارهم بحياتهم الدنيا.

٢٧٢٦. تفيد عظم خسارتهم وحسرتهم عندما شهدوا على أنفسهم؛ وأي خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟!

٢٧٢٧. فيها بلاغة القرآن الكريم وتصويره للأحداث المستقبلية كأنها رأي عين؛ قال طنطاوي: هذا، وإنك لتقرأ هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي تصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة فيخيل إليك أنك أمام مشـهد حاضـر أمام عينيك ترى فيه الظالمين وحسـراتهم، والضـالين والمضلين وهم يتبادلون التهم؛ وذلك من إعجاز القرآن الكريم وأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

٢٧٢٨. تفيد تعدد المواقف يوم القيامة؛ ففي بعض المواقف يشـهد ويقر الكفار على أنفسـهم بالكفر؛ وفي بعض المواقف ينكرون ذلك؛ وقد ورد هذان الموقفان في هذه السورة؛ قال ههنا: ﴿

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ ،وقال قبل ذلك في موضع آخر: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

٢٧٢٩. تفيد: التحذير من الكفر، وأنه الخسارة العظمى؛ قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء:٨٨ – ٨٩] من الكفر والشرك؛ ولأن الذنوب لا يسلم منها موحد.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]

٢٧٣٠. فيها الشهادة من الله تعالى للرسل بالبلاغ وإقامة الحجة على من أرسلوا إليهم ووجه ذلك التعبير باسم الإشارة الدال على الرفعة والظهور والوضوح.

٢٧٣١. فيها بيان عدل الله تعالى وكرمه بعباده.

٢٧٣٢. فيها: تشريف وتودد من الله لنبيه ﷺ.

٢٧٣٣. فيها إثبات صفة فعلية لله تعالى (مهلك القرى).

٢٧٣٤. فيها أنه لا تكليف ولا إعذار إلا بعد البلاغ والعلم.

٢٧٣٥. فيها أن الشرك والظلم والغفلة من أسباب الهلاك والاستئصال.

٢٧٣٦. فيها أن الهلاك للقرى وأهلها يحصل بعد رفضهم للدعوة واتفاق معظمهم على الكفر والظلم.

٢٧٣٧. فيها: بيان بأس الله وقدرته على القرى، وعلى إهلاكها.

٢٧٣٨. تفيد: أن الشرك، ظلم؛ وأنه سبب في إهلاك الأمم.

٢٧٣٩. فيها بيان خطورة الغفلة والظلم المجتمعي.

٢٧٤٠. تفيد بيان خطورة الظلم وعواقب انتشاره.

٢٧٤١. فيها أن الاستجابة للشرع والانقياد الرسل من أسباب الأمان ونزول الرحمات.

٢٧٤٢. فيها بيان قدرة الله تعالى المطلقة وجبروته وقهره للظلمة والمعاندين للرسل.

٢٧٤٣. تفيد: أن الشرع والرسالات، عصمة من الغفلة؛ فعلينا أن نتمسك بما أوحي إلينا.

٢٧٤٤. تفيد أن سنة الله تعالى هي إهلاك الظالمين بعد البلاغ المبين «ولن تجد لسنة الله تبديلا».

٢٧٤٥. فيها إثبات العذر بالجهل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

٢٧٤٦. تفيد أن الهلاك والعذاب لا يكون إلا على من قامت عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

٢٧٤٧. هذه الآيةُ تدلُّ على أنَّه لا وجوبَ ولا تكليفَ قبل وُرودِ الشَّرْعِ.

٢٧٤٨. فيها: شأنٌ عظيمٌ مِن شُؤونِ الله تعالى، وهو شَأْنُ عَدْلِه ورَحْمَتِه، ورضاه لعبادِه الخيرَ والصَّلاحَ، وكراهِيَتِه سوءَ أعمالِهم، وإظهارِه أثَرَ ربوبيَّتِه إيَّاهم؛ بهدايَتِهم إلى سُبُلِ الخيرِ، وعَدَمِ مُباغَتَتِهم بالهلاكِ قبل التقَدُّمِ إليهم بالإِنْذارِ والتَّنبيهِ.

٢٧٤٩. فيها أن القرآن العظيم هو دواء الغفلة.

٢٧٥٠. تفيد: أن الشرك والكفر، سبب الهلاك والعذاب؛ وتصديقه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] وعليه: فيجب الاهتمام بدعوة التوحيد.

٢٧٥١. تفيد أن سنن الإهلاك واحدة وهي سنة ماضية.

٢٧٥٢. فيها: إشارة إلى تمام غناه سبحانه، وأنه لا حاجة له في عذاب الناس، وأنه لا تضره المعصية؛ وبدليل ما جاء بعدها: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣] فلو كانت تضره المعصية أو تنفعه الطاعة، لأنشأ خلقا يطيعونه ولا يعصونه؛ وكما قال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤]..

قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]

٢٧٥٣. فيها: أن الأعمال بحسبها يتم الجزاء فالصالحات تكسب الدرجات، والسيئات تكسب الدركات. تفسير الجزائري.

٢٧٥٤. تفيد أن الخير والشر درجات؛ قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣] ولهذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوا، ودرجات النار تذهب سفولا، فدرجات الجنة كلها فيها النعيم، وبعضها خير من بعض، ودرجات النار كلها فيها العذاب، وبعضها شر من بعض.

٢٧٥٥. فيها: بيان عدل الله؛ حيث جازاهم على قدر أعمالهم؛ فالحساب عنده بمثاقيل الذر.

٢٧٥٦. تفيد: حثا للنفس على الجد والاجتهاد، والإسراع في الخيرات والطاعات؛ فالمسلمون جميعا في الجنة، لكن لا يستوون في المنازل والدرجات. وها هم أصحاب رسول، مرضي عنهم جميعا، لكن لا يستوون في الفضل، وقبلهم الرسل، وكما أشرت في الآية أعلاه.

٢٧٥٧. تفيد الحث على الاجتهاد في العمل الصالح.

٢٧٥٨. فيها: تشريف وتودد، من الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم –.

٢٧٥٩. تفيد شرف ومكانة ومنزلة النبي عليه السلام عند ربه؛ لقوله: ﴿رَبُّكَ﴾.

٢٧٦٠. تفيد: تنزيه الله عن صفات النقص.

٢٧٦١. تفيد: أن لله صفات الكمال.

٢٧٦٢. تفيد: كمال علمه وإحاطته.

٢٧٦٣. تفيد عظمة الله حيث لا يخفى عليه عمل عامل في ليل أو نهار.

٢٧٦٤. تفيد أنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وهو سبحانه عليم بأعمال عباده ومحصيها عليهم.

٢٧٦٥. تفيد أهمية إحسان العمل الذي يراه الله ويطلع عليه.

٢٧٦٦. تفيد: التخويف، والتحذير من المعاصي.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]

٢٧٦٧. تفيد الآية مع ما قبلها أن ما تفضل الله به من إرسال الرسل ليس لنفعه سبحانه، فهو الغني، وإنما لمصلحة ونفع العباد.

٢٧٦٨. فيها: أن من أسماء الله "الغني".

٢٧٦٩. فيها: أن "الرحمة" من صفات الله.

٢٧٧٠. تفيد: أنه ليس كل غني، يكون رحيما، ولا العكس، فينبغي على من أولاه الله وأغناه، أن يرحم المسكين، ويغيث الملهوف، وغيرهم ممن أوصى الله به. وكم من رحيم، لكن لا يوصل لنفسه شيئا ولا لغيره. وعلى هذا، فالجمع بين الغنى والرحمة، فيه من البلاغة ما فيها.

٢٧٧١. تفيد: أن الله يعبد بالخوف والرجاء. فتفيد: الطمع في رحمته، والخوف من عذابه.

٢٧٧٢. فيها: صفة المشيئة لله.

٢٧٧٣. فيها: بيان كمال قدرة الله.

٢٧٧٤. تفيد: أن الله غني عن خلقه، ولا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية.

٢٧٧٥. تفيد الزهد في الدنيا لأنك ذاهب عنها؛ قال السعدي: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من قبلكم وخلوها لكم، فلم اتخذتموها قرارا؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم دارًا، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص؟ وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فثَمَّ

الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافس فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فلله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات" وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون" ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار.

٢٧٧٦. تفيد أن الله تعالى هو الخالق المستخلف لعباده في الأرض.

٢٧٧٧. فيها: إطلاق "ما" على العاقل؛ لأن استخلافه سيكون لمن يعقل ولا ريب؛ فلا يعني الجمادات – مثلا –، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

٢٧٧٨. تفيد عظمة الله تعالى وعظيم قدرته وكمال غناه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]

٢٧٧٩. فيها مناسبة لما قبلها من وجوه: الأول: تصديق لما سبق؛ بأنه الغني، وأنه قادر على أن ، ولكنه لم يفعل لأنه {ذو الرحمة}. الثاني : ليقطع ما يطرئ من توهم؛ فإن قال قائلهم: ها هو لم يذهبهم، فأين قدرته، فالجواب: وما أنتم بمعجزين، وإن خلاكم، وترككم، بدليل: أن ما توعدون يوم القيامة لآتيكم كاملا غير منقوص؛ كما قال: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ [هود: ١٠٩] يعني العذاب. الثالث: تأكيد للتهديد السابق.

٢٧٨٠. تفيد التهويل والتخويف مما هو آت؛ لحذف المعمول في قوله:﴿تُوعَدُونَ﴾.

٢٧٨١. تفيد كلمة آت بدل واقع، تحقق وقوعه بقوة، فهو آتي نحونا كل يوم يقرب منا لا يفوته هارب إلا أدركه.

٢٧٨٢. فيها إثبات كمال قدرة الله عز وجلّ.

٢٧٨٣. فيها إثبات البعث والحساب.

٢٧٨٤. فيها حث على قصر الأمل.

٢٧٨٥. تفيد أن كل موعد من الله تعالى كائن ومن ذلك الساعة.

٢٧٨٦. فيها: رد على الدهريين، والملاحدة الذين يقولون: "الدنيا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وليس وراء ذلك شيء". قال القاسمي في المحاسن: وهذا رد لقولهم: من مات فقد فات. أي: هو قادر على إعادتكم، وإن صرتم رفاتا.

٢٧٨٧. تفيد الآية وعدا ووعيدا وترغيبا وترهيبا في جمل قصيرة.

٢٧٨٨. تفيد قوة الله تعالى وإحاطته بعباده؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ قال ابن عباس: بسابقين.

٢٧٨٩. تفيد ضعف الخلق وهوانهم على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]

٢٧٩٠. تفيد: أن النبي عليه السلام، مأمور ومكلف بالبلاغ؛ لقوله: ﴿قُلۡ﴾ فعل أمر.

٢٧٩١. تفيد الحث على الأسلوب اللطيف في الدعوة والرفق بالمدعوين؛ لقوله: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ﴾.

٢٧٩٢. تفيد: أهمية الفلاح يوم القيامة، فوجب البذل والعمل؛ ولذا قال: ﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾.

٢٧٩٣. تفيد: أن الرسل يعملون، ومكلفون بالعمل؛ لقوله: ﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾؛ وعليه: ففيها رد على غلاة الصوفية.

٢٧٩٤. تفيد الإرشاد إلى العمل وترك التواني والكسل.

٢٧٩٥. فيها: غير المسلمين يبذلون جهودا عظيمة في نصرة باطلهم والكيد لأهل الحق

وكثير من المسلمين غافلون عن قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ ولسان حالهم يقول: إني قاعد. ولا تحدث سنة التدافع على وجهها الصحيح إلا بعمل مقابل عمل وجهد مقابل جهد؛ وبغير ذلك يضعف المسلمون ويتأخرون ويصبحون نهبا لأعدائهم. ومهما كاد المبطلون ومكروا فلا شيء يرد كيدهم ويبطله أعظم من تمسك المسلمين بدينهم على هدى وبصيرة.

٢٧٩٦. فيها: مهما عمل المسلم وقدم فهو لا يلتفت إلى الدني؛ا بل يتطلع دائما إلى الحقيقة القريبة البعيدة ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾.

٢٧٩٧. تفيد: الثبات على الحق، وتفويض أمر المخالف إلى الله.

٢٧٩٨. تفيد أن العاقبة للمتقين.

٢٧٩٩. تفيد: أن هذه الآية علم من أعلام نبوته – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن الله جعل له العاقبة ولصحبه؛ ففي البخاري: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟». قال ابن عطية في المحرر: ويحتمل أن يراد مآل الدنيا بالنصر والظهور ففي الآية إعلام بغيب.

٢٨٠٠. تفيد: أهمية التهديد والوعيد، في خطاب المخالف؛ عساه يرجع.

٢٨٠١. فيها: التحذير من الظلم، والذي أعظمه الإشراك بالله.

٢٨٠٢. تفيد النهي عن الظلم وأنه من أسباب الهلاك وعدم الفلاح، ومفهومه أن العدل والقسط من أسباب الفلاح.

٢٨٠٣. تفيد: أن النبي بلغهم، وأقام عليهم الحجة شـــافية كافية حتى انقطعت أعذارهم؛ لأن مثل هذا لا يقال إلا بعد إقامة الحجة وبيان المحجة؛ وتصـديقه، قال تعالى: ﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾ الشورى: ١٥ قال السـعدي: أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضـلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصـود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشـد، ولتقوم الحجة على الغاوي. وعليه: فينبغي اتخاذ كافة الوسائل الموصلة لبيان الحق، وإقامة الحجة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦]

٢٨٠٤. تفيد: تفيد أن الله عز وجل هو خالق كل شيء؛ لقوله: ﴿ مِمَّا ذَرَأَ ﴾.

٢٨٠٥. فيها: بيان ســـوء أدب المشـــركين مع الله وعدم تعظيمهم له. وعليه: فأهل التوحيد يعظمون الله سبحانه وتعالى.

٢٨٠٦. تفيد وجوب الإخلاص لله سبحانه وتعالى في كل عمل.

٢٨٠٧. تفيد قبح الشرك، وسخف المشركين.

٢٨٠٨. فيها بيان الجهل الشديد الذي وصل له عبّاد الأصنام من دون الله تعالى، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام.

٢٨٠٩. فيها: بيان لجهل المشركين وسخافاتهم وسفه عقولهم.

٢٨١٠. فيها: سذاجة ونقص عقول المشركين بجعل ما في بطون الأنعام للذكور دون الإناث إن كان حيا. ولا شك أن هذا بلا علم ولا معرفة ولا عدل.

٢٨١١. فيها: اتخاذ الآلهة من دون الله أعظم جهلا وأكبر جرما من تحليل حرام أو تحريم حلال.

٢٨١٢. فيها أن عمل المشرك لا يقبل؛ فالله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك.

٢٨١٣. تفيد: أن الكافرين شديدو المحبة لآلهتهم الباطلة. وعليه: فالذين آمنوا شديدو المحبة لمعبودهم الحق الله – جل ذكره –؛ لقوله:﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ ﴾ وتصديقه قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. ألا ترى أن المؤمنين يبذلون النفس لله. وهؤلاء الكفرة الفجرة، يضنون ببعض الحرث الذي هو من صنع الله وخلقه!؛ قال الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أعاذنا الله من الكفر.

٢٨١٤. فيها: أن الاعتداء على حق الله أعظم من الاعتداء على المخلوقين، فالله واحد في ذاته وصفاته ومخلوقاته، وهذا أبين وأوضح من الدليل على أن هذا حلال وهذا حرام.

٢٨١٥. فيها: جمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منَّتهم على الله، في جعلهم له نصيبا، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلا إلى الشركاء، وما كان لشركائهم اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء.. السعدي.

٢٨١٦. تفيد أن الشرك تنقص لرب العالمين سبحانه وتعالى لأن فيه إعطاء حقه للمخلوق، ولذا كان الشرك أعظم الذنوب، ولا يغفر الله تعالى لمن لقيه مشركا به.

٢٨١٧. فيها: عدَّد تبارك وتعالى شيئا من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلا، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحقّ. السعدي.

٢٨١٨. تفيد: أن أحكام الكفار سيئة.

٢٨١٩. فيها: ختمت الآية بتوبيخ وذم للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا بأن جعلوا لله جزءً من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾.

٢٨٢٠. تفيد أن أحكام المشركين جائرة ظالمة كافرة؛ لقوله:﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٢].

٢٨٢١. فيها: قوله:﴿ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ دل على أن هذا حكم سيء، والحكم السيئ هو الظلم الذي لا يجوز، فعلم أن الله تعالى منزه عن هذا. ومن قال إنه يسوي بين المختلفين، فقد نسب إليه الحكم السيئ. وكذلك تفضيل أحد المتماثلين، بل التسوية بين المتماثلين والتفضيل بين المختلفين هو من العدل والحكم الحسن الذي يوصف به الرب سبحانه وتعالى. (شيخ الإسلام ابن تيمية. منهاج السنة ٥/١٠٧).

٢٨٢٢. فيها أن فساد العقيدة يؤثر على القدرات العقلية فيرى حسنا ما ليس بالحسن.

٢٨٢٣. فيها: أن العقل لا يكفي إن لم يصاحبه توفيق من الله، وقد أذهب الله سخافاتهم وجهلهم بالإسلام وبعثة خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

٢٨٢٤. فيها: الحكمة من ذكر هذه الأشياء مع أن الشريعة وبعثته عليه الصلاة والسلام قد أبطلها: أن قضاءه قد سبق وحكمه قد نفذ: بأن الكفر والتخليط لا ينقطعان إلى يوم القيامة.

٢٨٢٥. فيها: أن التشريع الذي حكاه سبحانه عن المشركين يوجد الآن من الطواغيت والشياطين من يشرع في الدين ما لم يأذن به الله. يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء: ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيدين أي الفاطميين، لأن إمامتهم وخلافتهم غير صحيحه- رغم أنهم حكموا مصر والمغرب وأطرافا من بلاد الشام- لأمور: أولا: أنهم غير قرشيين. ثانيا: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

٢٨٢٦. تفيد، وبضـــميمة ما قبلها: أن هذه التشـــريعات والبدع التي أحدثوها، هي من وحي الشـيطان، كما فعلوا في الوصـيلة والحامي، وغيره؛ وعليه: فما يكتبه الكفار من عقائد فاسـدة وتشريعات على مر العصور، هي من وحي الشيطان، وتزيينه.

٢٨٢٧. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن البدعة، سبب في تسلط الشياطين، وتلبيسها على دين المبتدعة؛ ولذا كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ وكلما أوغل المبتدع في البدعة، زادت ولاية الشـــيطان له؛ حتى إن الشـــيطان ليتكلم من جهة الصـــورة أو القبر. وكما يحكي غلاة الصوفية من خرافات عن أشياخهم.

٢٨٢٨. تفيد خطورة التزيين وأثر غواية الشيطان للعبد حتى يصل به لقتل أولاده.

٢٨٢٩. تفيد أن تزيين العمل القبيح للكافر زيادة في غوايته وضلاله.

٢٨٣٠. تفيد: أنما ينذره الجهال اليوم من نذور للأولياء وإعطاؤهم شـيء من الأنعام والشـجر هو من عمل المشركين زينه الشيطان لجهال المسلمين. تفسير الجزائري.

٢٨٣١. تفيد: أن الشرك، سبب في كل شر في الأرض.

٢٨٣٢. فيها: تحريم قتل النفس.

٢٨٣٣. فيها أن الكافر كالإنسان الذي فقد عقله، فلم يدر ما يفعل.

٢٨٣٤. تفيد: أن المشـــرك، يعبد الشـــيطان على الحقيقة، وإن عبد غيره ظاهرا؛ لقوله: ﴿ شُرَكَآؤُهُمۡ ﴾ ، ولقوله: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٦٠].

٢٨٣٥. تفيد أن الشـــرك يحرم العبد ولاية الرحمن فيتولاه الشـــيطان ويورده المهالك في الدنيا والآخرة؛ ﴿ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡ ﴾.

٢٨٣٦. تفيد: أن غاية الشياطين، إهلاك الناس؛ ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ ليهلكوهم. وأعظم هذه الأبواب مهلكة، فساد الدين.

٢٨٣٧. فيها أن فساد العقيدة يفسد الفطرة ويقسي القلب.

٢٨٣٨. فيها: بيان خطر الافتراء على الله، وأن المشركين يفترون على الله الكذب؛ قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٢٨٣٩. في الآية رد على القدرية؛ لقوله: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ والجبرية؛ لقوله: ﴿ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾.

٢٨٤٠. فيها: قوله: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ كم من الرضا والسكينة تُفرغ في النفس وتُربط على القلب حين يوقن المرء بهذه المشيئة؛ ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ ذكرت في موطنين من السورة مرة بلفظ الرب ومرة بلفظ الألوهية، ولكل منهما دلالته في موطنه وسياقه، ثم عقب بقوله: ﴿ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ لتسكن النفس وترضى ومن ثم تكل أمرها إلى الرب المدبر وتحسن في العبودية.

٢٨٤١. قوله: ﴿ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ ترسم منهجا دعويا تحتاجه الأمة عند ازدياد الفتن واشتداد المحن حيث يعلم علم اليقين أنه لن يحدث أمر إلا بمشيئة الله وتحت تدبيره وتصرفه وكامل حكمته فتسكن النفس وترضى.

٢٨٤٢. تفيد أن ترك الله تعالى للعبد وعدم توفيقه للهداية هو غاية الخسران.

٢٨٤٣. فيها التهديد والوعيد لمرتكبي مثل هذه الجهالات من المشركين ﴿ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

٢٨٤٤. فيها: اعترافهم أنها أنعام.

٢٨٤٥. فيها: سبب هلاكهم التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم.

٢٨٤٦. فيها: زعمهم بأن الحرث والأنعام محصورة على آلهتهم زعم باطل وفيه تضييق عليهم.

٢٨٤٧. تفيد: أن من معاني الحجر: الحرام. ولأنه يأتي بمعان أخرى.

٢٨٤٨. تفيد: أن من ذكر قولا باطلا أو فرية عن صاحبها، ينبه على كذبها، وكأن يتبعها بقوله: "زعم"؛ لقوله: ﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ ولو شاء لاكتفى بقولهم مجردا، فذكره للدلالة على أهميته.

٢٨٤٩. تفيد: التحذير من أقوال الكفار، وأعداء الملة، وفضح أقوالهم ليعلم فسادها.

٢٨٥٠. تفيد: أنه ينبغي معرفة الأقوال الباطلة، للتحذير منها. "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني؛ قال السمرقندي في بحر العلوم: وفي الآية دليل أن العالم ينبغي أن يتعلم قول من خالفه وإن لم يأخذ به حتى يعلم فساده.

٢٨٥١. تفيد: عدم تعطيل ما أذن الله فيه، ومفهومه: تحريم إعمال ما منعه الله ولم يأذن فيه؛ لقوله: ﴿ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ يريد: ليس لهم منع ركوبها، لأني خلقتها لتركب وينتفع بها لا لتعطل؛ كما قال متمننا: ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٧٢] وقال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: ٧٩ – ٨٠]. وأما تحريم إعمال ما نهى الله عنه، كإتيان المرأة في الدبر – مثلا –، فهذا إعمال لما منعه الله. وكذلك تعطيل للولد؛ ألا ترى أنه قال: ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] يعني: في موضع الولد، وابتغوا الذرية، وألا ترى أن الله عاتب نبيه، لما حرم على نفسه ما أحل الله له؛ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم: ١]. وعلى ذلك فقس.

٢٨٥٢. فيها أن العقل إذا استغنى عن الشرع أتى بالعجائب من الضلال.

٢٨٥٣. فيها: حجة على هؤلاء المشركين؛ لأنهم قالوا: {أنطعم من لو يشاء الله أطعمه}. وفيها كذلك: رد عليهم لما قالوا: {لو شاء الله ما أشركنا}، وفيها: رد على الجبرية.

٢٨٥٤. تفيد: وجوب ذكر الله عند الذبح.

٢٨٥٥. فيها: أنه ينبغي تسمية الله عند ركوب الأنعام؛ وتصديقه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ

عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٢ – ١٣]. لقوله: ﴿ وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾ لا عند الذبح، ولا عند ركوبها.

٢٨٥٦. تفيد أن من أعظم الافتراء تحريم ما أحل الله تعالى؛ لقوله: ﴿ ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ ﴾.

٢٨٥٧. تفيد تحريم الافتراء على الله عز وجل وعظمه.

٢٨٥٨. تفيد خطر البدع على الدين حيث تؤدي إلى هذه الجهالات الغريبة والقبيحة.

٢٨٥٩. تفيد ما جاء في قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

٢٨٦٠. فيها: كل من حاد عن الصراط المستقيم نالت منه الشياطين.

٢٨٦١. فيها: أن كل قول أو فعل في الدين لم يقم على دليل صحيح فهو افتراء على الله.

٢٨٦٢. فيها: الكذب على الله والتلاعب بشرعه وأحكامه ضلال مبين وخسران بين.

٢٨٦٣. فيها: الوعيد الشديد منه سبحانه لهم بسبب هذا الافتراء وأن العاقبة وخيمة.

٢٨٦٤. إبهام الجزاء يفيد شدته وخطره وهوله.

٢٨٦٥. تفيد: إثبات الجزاء والبعث، والحساب؛ لقوله: ﴿ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾.

٢٨٦٦. فيها: بيان عدل الله؛ ﴿ بِمَا كَانُواْ ﴾ بسبب ما كانوا.

٢٨٦٧. فيها أن الناس لا بد لهم من قوانين وشرائع تحكم حياتهم فإذا كانوا في فترة من الرسل أو ضعفت الدعوة شرعوا لأنفسهم بوحي الشيطان.

٢٨٦٨. فيها: تصديق قوله: ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ ﴾ [الإسراء: ٦٤] لأن الأنعام من جملة المال؛ فكانوا يسيبون الأنعام للشباطين؛ فبذلك قد شاركهم إبليس في الأموال.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٣٩]

٢٨٦٩. فيها: بيان خطر القول والكلام، وأن الله عالم به ويحصيه على العبد؛ لقوله: ﴿ وَقَالُواْ ﴾ ولم يقل: اعتقدوا مثلا – وإن كان في الأصل أنه نابع عن اعتقاد فاسد ولا ريب؛ لكن إيثار القول هنا يفيد ذلك. ومما يدل على أن القول ينبع عن اعتقاد قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٤ – ٨٥].

٢٨٧٠. فيها أن تفضيل الذكور على الإناث وهضم حقوقهن جاهلية قديمة.

٢٨٧١. فيها عدم جواز بيع الغائب.

٢٨٧٢. تفيد أن الإسلام جاء بالعدل وأمر به.

٢٨٧٣. فيها الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه.

٢٨٧٤. تفيد: أن التحريم والتحليل، لله وحده بلا منازع.

٢٨٧٥. فيها: ما خالف الشرع فلا عبرة به.

٢٨٧٦. فيها الجزاء من جنس العمل.

٢٨٧٧. فيها لله الحكمة البالغة في كل قدر وأمر.

٢٨٧٨. تفيد أن الله واسع العلم عليم بخلقه وما يصلحهم.

٢٨٧٩. تفيد: دقة التعبير القرآني وبلاغته؛ حيث قال: ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ ولو شاء لاكتفى بقوله: "وقالوا ما في بطون هذه الأنعام لذكورنا" فقط. أو قال: "خالص"؛ وانما قال: ﴿ خَالِصَةٌ ﴾ لأن الهاء للمبالغة. فهذا تعبير دقيق لحال هؤلاء السفهاء الذين كانوا يبالغون في منع الإناث وحرمانهن. ونظيره قوله تعالى: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأعراف: ٣٢] ولغيرهم ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ للمبالغة في كونها لهم وحدهم. ولذا قال: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأعراف: ٥٠] يريد: ببعض ما رزقكم، و "من" للتبعيض، حتى رشفة الماء لا يعطونها؛ ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

٢٨٨٠. تفيد: أن لفظ "الأزواج"، يطلق على النســـاء. قال تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] كما أنه يطلق على الرجال أيضا.

٢٨٨١. فيها: إشــارة إلى: تكريم المرأة في الإســلام؛ فذكر صــنيع الجاهلية وســخافتها؛ ليذكر بنعمة الإســلام؛ ألا ترى أن النبي ﷺ قال: "إنما هي أربعة أشــهر وعشــر". ثم ذكرهن بأفعال الجاهلية، فقال: "وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول. قال البخاري: قال حميد: فقلت لزينب، وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: "كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها، دخلت حفشا، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة، حمار أو شــاة أو طائر، فتفتض به، فقلما تفتض بشــيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة، فترمي، ثم تراجع بعد ما شــاءت من طيب أو غيره" ســئل مالك ما تفتض به؟ قال: "تمســح به جلدها".

٢٨٨٢. فيها من جهالاتهم استحلال الميتة.

٢٨٨٣. تفيد: أن المشركين، يستحبون الميتة.

٢٨٨٤. فيها تحريم القول على الله بغير علم.

٢٨٨٥. فيها إثبات البعث والجزاء؛ لقوله: ﴿ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ ﴾.

٢٨٨٦. تفيد خطورة الكذب والافتراء على الله تعالى في التحليل والتحريم.

٢٨٨٧. تفيد: قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦] وذلـك لقولـه: ﴿ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾. قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره: وقال أبو العالية، ومجاهد، وقتادة في قوله: ﴿ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾ أي: قولهم الكذب في ذلك، يعني قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

٢٨٨٨. تفيد: التحذير من الكلام السـيء والألفاظ الكفرية، والأمثلة التي تدعو للفاحشة؛ لقوله: ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾.

٢٨٨٩. تفيد: أنه ينبغي على أهل العلم، أن يحصوا كلام المخالفين للإسلام والمبتدعة؛ لتجنبها وعدم الوقوع فيها. وكما فعلوا في الملل والنحل وغيرها؛ لأن الله أحصى كلامهم وأنزله وحذر منه في كتابه.

٢٨٩٠. تفيد: أن تشـريعات الله مبنية على الحكمة والعلم، لا كتشـريعات الجاهلية المبنية على السـفة والجهالة؛ ولذا ذييلها بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ومن جملة حكمته – سـبحانه –، أنه أذن في هذه المنكرات، وهو العليم بأفعال العباد وما سيكون من إيمان وكفر.

٢٨٩١. تفيد إثبات كمال الحكمة والعلم لله تعالى.

٢٨٩٢. فيها ما كان عليه المشركون من ظلم وجهل، وهي أعظم أسباب الشر؛ قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٢٨٩٣. تفيد: أن المشـركين، لا أثارة لهم من علم في التحليل والتحريم، ولا حجة ولا برهان؛ سوى وحي الشيطان والعقل الفاسد؛ ولئن سألتهم ما علة هذا التحريم والتحليل، لما استطاعوا الجواب؛ وتصـديقه قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

٢٨٩٤. في الآيات ما كان عليه المشـركون من جهالة جهلاء وضـلالة عمياء؛ قال طنطاوي: وإلى هنا تكون الآيات الأربعة التي بدأت بقوله– تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ إلخ. قد قصـت علينا أربع رذائل من أفعال المشـركين وأقوالهم. وإن العاقل ليعجب وهو يسـتعرض هذه الضـلالات– التي حكتها الآيات. يعجب لما تحملوه في سـبيل ضلالاتهم من أعباء مادية وخسائر وتضحيات، يعجب للعقيدة الفاسدة وكيف تكلف أصحابها الكثير ومع ذلك فهم مصـرون على اعتناقها، وعلى التقيد بأغلالها، وأوهامها، وتبعاتها. لكأن

القرآن وهو يحكى تلك الرذائل وما تحمله أصحابها في سبيلها يقول لأتباعه- من بين ما يقول- إذا كان أصحاب العقائد الفاسدة قد ضحوا حتى بفلذات أكبادهم إرضاء لشركائهم. فأولى بكم ثم أولى أن تضحوا في سبيل عقيدتكم الصحيحة، وملتكم الحنيفة السمحاء بالأنفس والأموال.

٢٨٩٥. تفيد: أن الله يريد التوسعة على عباده، وأن الناس هم الذين يضيقون على أنفسهم.

٢٨٩٦. تفيد، وبضميمة ما بعدها: أن الانتفاع برزق الله من السعادة، وتحريم شيء منه على النفس من الشقوة؛ لقوله بعدها: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٤٠] وخسروا لما ضيقوا على أنفسهم وامتنعوا من رزق الله الذي أحل لهم؛ وكما قال: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[القصص: ٧٧] ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]

٢٨٩٧. في الآية وما قبلها دليل على بطلان التشريع الوضعي وضلاله. وخسران أهله.

٢٨٩٨. تفيد: أهمية التأكيد على شناعة الخطأ والجرم المكتسب؛ لقوله: ﴿ قَدۡ ﴾ للتأكيد. كما أنها للتحقيق، وهذا ظاهر.

٢٨٩٩. فيها: دقة التعبير القرآني، لقوله: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ ﴾ لأنه ليس كل المشركين كانوا يفعلونه. وكأنه يقول: قد خسر من فعل ذلك، ولو شاء لقال: "قد خسروا لأنهم قتلوا أولادهم". قال ابن عطية في المحرر: وكان جمهور العرب لا يفعله، ثم إن فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والإقتار، وكان منهم من يفعله غيرة؛ مخافة السباء.

٢٩٠٠. فيها اشتمال على ثلاثة أحكام وجرمين:

الجرم الأول: قتل الأولاد سفها بغير علم.

الجرم الثاني: تحريم ما رزق الله افتراء على الله.

فترتب على ذلك:

الحكم الكلي الأول: وهو الخسران المؤكد ب(قد).

ثم الحكم الثاني: وهو الضلال المؤكد ب(قد).

ثم الحكم الثالث: وهو نفي الهداية عنهم.

لنعلم شناعة الجرم وعِظم العقوبة.

كذلك الجمع في نهاية الآية بين تأكيد الضلال، ونفي الهداية عنهم فيه دليل على إحكام إطباق الخسران المؤكد عليهم في أول الآية.

٢٩٠١. فيها بطلان دعوة تحديد النسل.

٢٩٠٢. فيها: حرمة قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٢٩٠٣. تفيد تحريم قتل الأولاد، وأنه من كبائر الذنوب ومن أفعال المشركين؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ – ٩].

٢٩٠٤. تفيد: أن لفظ "الأولاد"، أعم من الذكور؛ فيشمل الإناث والذكور؛ لا كما اشتهر اليوم؛ ونظيره: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ﴾ [النساء: ١١] يريد: يوصيكم في الذكور والإناث، وبدليل: ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

٢٩٠٥. تفيد أن الشرك والجهل من أسباب الخسران في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

٢٩٠٦. تفيد أن الشرك من أسباب سفه العقل وضلال الرأي، وبمفهوم المخالفة فإن التوحيد والإيمان يقوي العقل والإدراك.

٢٩٠٧. تفيد أن الجاهل عدو نفسه، وغيره.

٢٩٠٨. تفيد أن داء السـفاهة دواؤه العلم؛ لقوله تعالى: ﴿ سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ولهذا أخطأ من قال:

لكل شيء دواء يستطب به إلا السفاهة أعيت من يداويها

وسبب هذه السـفاهة: انتفاء علمهم... وجهلهم بأن الله هو الرازق لهم ولأولادهم، وأن مكارم الأخلاق تحمى من الزلل. فلو نشأت البنت على الفضيلة، لما زلت في كبرها.

٢٩٠٩. قوله تعالى: ﴿ سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الباء للملابسـة، فما من سـفيه إلا وفيه جهالة تنافي العلم والحكمة، تبرز تلكم الجهالة في التقليد الأعمى للغير الذي لا يبنى على العلم والحكمة. والله أعلم.

٢٩١٠. فيها: إشارة إلى وجوب تربية الأولاد، والعناية بهم.

٢٩١١. فيها أن تحريم ما أحل الله لا يقل جريمة عن تحليل ما حرم الله، وأن التشـريع الوضـعي شـرك وافتراء على الله؛ قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

٢٩١٢. تفيد: أن التحريم، بيد الله وحده. وكذا التحليل.

٢٩١٣. تفيد: أن {الله هو الرزاق}. وأن ما بحوزة الإنسان هو رزق الله.

٢٩١٤. تفيد: حرمة الكذب على الله.

٢٩١٥. تفيد: أهمية الهداية، وطلبها من الله، والثبات عليها. والتعوذ من الضلال.

٢٩١٦. في قوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ بعد قوله: ﴿ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ أنَّهم بعدما ضلُّوا، لم يهتدوا مرَّة أُخرى، وهذا نهايةُ المبالغةِ في الذَّمِّ.

٢٩١٧. تفيد: أن الهداية، تشمل مصالح الدين والدنيا.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]

٢٩١٨. فيها مناسبة لما قبلها؛ فإنه تعالى ذكره - لما حكى عن جهلهم وسفههم من قتلهم الأولاد مخافة الفقر، زاد في البيان ونبه أنه الذي أنشأ هذه المنافع، فهو رازقهم؛ بل إنه أمر بالزكاة والتصدق منه على الغريب، فكيف بالقريب؟! قال أبو حيان في البحر: "مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر عنهم أنه حرموا أشياء مما رزقهم الله، أخذ يذكر تعالى ما امتن به عليهم من الرزق الذي تصرفوا فيه بغير إذنه تعالى افتراء منهم عليه".

٢٩١٩. فيها: رد على المشركين، لما حرموا ﴿مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾. وعليه: ففيها: مناسبة أخرى لما قبلها.

٢٩٢٠. فيها بيان دلائل وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وامتنانه على خلقه بتلك النعم التي تستوجب الشكر.

٢٩٢١. تفيد كثرة نعم الله تعالى التي أخرجها لعباده بما يستوجب شكره ومحبته وعبادته.

٢٩٢٢. فيها: تعريض بمعبودات المشركين، وأنها عاجزة عن فعل شيء من ذلك؛ قال تعالى: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

٢٩٢٣. فيها إشارة إلى: تكريم الله لبني آدم وعنايته بهم - سبحانه -، فوجب شكره وأفراده بالعبادة.

٢٩٢٤. تفيد عظمة الرب جل وعلا وكمال قدرته وعظيم فضله في خلق هذه الزروع والثمار والأشجار؛ لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾.

٢٩٢٥. تفيد: أن الذي خلق، هو المتصرف في خلقه وصنعته؛ فالذي أنشأ هذه الثمار، هو الذي يحدد مصارفها كيفما شاء. وعليه: فالذي خلق العبد، هو الذي يتحكم فيه، ويحد له ما يجوز وما لا يجوز له.

٢٩٢٦. تفيد أن الجنان والبساتين المثمرة من أعظم النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده مما يستوجب الشكر.

٢٩٢٧. فيها: إشارة إلى فوائد الثمار المذكورة؛ قال السعدي: خص تعالى النخل والزرع على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق.

٢٩٢٨. تقديم النخل وتخصيصه يدل على عظيم الامتنان به ويشير إلى كثرة منافعه وفوائده، وذكر النخل دون ثمره يشير إلى أن النخل كله فوائد ومنافع وهو الواقع. فينتفع بثمره ونواه وجريده وجذوعه وليفه وطلعه وغير ذلك.

٢٩٢٩. تفيد: أن أول الحقوق، حق النفس، وعليه ترتب النفقات؛ فيبدأ بنفسه ثم بمن أولاه الله.

٢٩٣٠. فيها: مراعاة الشريعة للنفس البشرية، فكأنه يقول: كل منها أولا، ولا تنس حقه. وذلك أدعى لقبولها.

٢٩٣١. تفيد: جواز عطف الوجوب على الإباحة؛ لأنه عطف إيتاء الحق الواجب على الأكل المباح، وإذا جاز ذلك جاز عكسه؛ نحو: {وآتوا حقه} و {كلوا}.

٢٩٣٢. تفيد: أن الحرص على فعل الخير وحده لا يكفي، بل لا بد أن يكون موافقا للشرع؛ لقوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ وفي الحديث: زادك الله حرصا، ولا تعد.

٢٩٣٣. فيها بيان وجوب زكاة الحبوب والثمار؛ لقوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾.

٢٩٣٤. تفيد: أن الزكاة حق الله.

٢٩٣٥. فيها سماحة الشريعة وواقعيتها ومراعاتها لمصالح المسلمين فلم توجب الشريعة زكاة الحبوب والثمار الا بعد استوائها وعند حصادها.

٢٩٣٦. فيها أن زكاة الحبوب والثمار ليس لها حول بل تخرج عند الحصاد؛ لقوله:﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾؛ قال السعدي: وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج.

٢٩٣٧. في هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يبعث خارصا، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم. السعدي.

٢٩٣٨. تفيد: جواز الخطاب بالمجمل؛ لأن الحق المذكور مجمل؛ وبينته السنة بنصف العشر أو كماله من خمسة أوسق فصاعدا، ونحو ذلك من أحكامه. (أفاده الطوفي في الإشارات الإلهية).

٢٩٣٩. فيها إشارة إلى: أهمية الرجوع إلى السنة؛ للعلم بأنصبة الزكاة؛ لقوله:﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ ولم يذكر المقدار.

٢٩٤٠. تفيد: منع حصد الثمر قبل نضجه؛ ولأنه تضييع للمال، ولقوله: قال: "لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحه، وتذهب عنه الآفة". رواه مسلم.

٢٩٤١. تفيد: المبادرة إلى فعل الواجب، وخشية التفريط؛ لقوله: ﴿ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾.

٢٩٤٢. فيها وسطية هذا الدين في عقائده وعباداته ومعاملاته؛ لقوله: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ والإسراف مجاوزة الحد إفراطا أو تفريطا.

٢٩٤٣. فيها إثبات صفة المحبة لله تعالى فالله تعالى يُحِب ويحَب، وهناك أفعال وخصال وفئام من الناس لا يحبهم الله تعالى ومنهم المسرفون.

٢٩٤٤. تفيد: البعد والحذر مما يكرهه الله؛ وإيثار نفي المحبة: للدلالة على عظم شأنها، ومخافة الوقوع فيما يسلبها؛ ولو شاء لقال: "يكره المسرفين".

٢٩٤٥. فيها النهي عن تجاوز حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك؛ لقوله: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾؛ قال السعدي: وقوله: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه.

٢٩٤٦. تفيد: تحريم إنفاق المال في غير وجهه.

٢٩٤٧. فيها: بيان وسطية هذه الشريعة، وأنها لا تنظر لمصلحة طرف دون آخر؛ فهي تأمر بالزكاة لمصلحة الفقير من غير إجحاف بحق صاحب المال. وعليه: فنقول: للبائع بع سمحا، ليس فقط لمصلحة غيرك، بل ولمصلحتك أنت أيضا؛ لتدور عجلة بيعك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأنعام: ١٤٢]

٢٩٤٨. فيها مناسبة لما قبلها؛ فلما ذكر ما تمنن عليهم به من الثمار والزروع، ذكر هنا ما تمنن عليهم مما لا تقوم وتصح أجسادهم إلا به؛ وهو اللحم. ومناسبة أخرى، أنهم كانوا يسيبون الأنعام ويحرمونها، ويحرمون أنفسهم وذويهم؛ فذكر ما يخالفهم؛ وهو الأكل والانتفاع برزق الله.

٢٩٤٩. فإذا استقر هذا: ففيها: وجوب مخالفة المشركين.

٢٩٥٠. فيها عظيم فضل الله على خلقه فهو الذي رزقهم وسخر لهم بهيمة الأنعام.

٢٩٥١. تفيد تحبب الله تعالى إلى عباده بالنعم.

٢٩٥٢. تفيد منافع بهيمة الأنعام من أكل وحمل وركوب.

٢٩٥٣. تفيد نعمة الله تعالى على عباده في حمل أثقالهم بالأنعام وغيرها؛ قال تعالى: ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ٧].

٢٩٥٤. تفيد: دقة التعبير القرآني؛ لأنه ليس كل الأنعام صالحة للحمولة؛ وفي الحديث: "بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه، فقالت: لم أخلق لهذا". رواه البخاري.

٢٩٥٥. تفيد: أن الانتفاع بالأنعام، أعم من أكلها؛ لقوله: ﴿ حَمُولَةٗ ﴾ ففيها: تعريض بالمشركين الذين كانوا لا يركبون ظهورها؛ ﴿ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

٢٩٥٦. تفيد كثرة منافع الأنعام؛ ولذلك خصت بهذه السورة الطويلة وذكرت في آيات كثيرة في غيرها؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ ﴾ [الزمر: ٦].

٢٩٥٧. فيها أن من فضل الله وكرمه تنويع نعمه على عباده.

٢٩٥٨. فيها التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاوزة الحد في الأكل والإنفاق.

٢٩٥٩. فيها ربط الرزق بالله تعالى وليس بالكسب فقط.

٢٩٦٠. تفيد أن الرزق من الله عز وجل وتشير إلى شكره وعبادته وحمده؛ لأنه الرزاق ذو القوة المتين؛ قال تعالى: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

٢٩٦١. فيها: خطوات جمع خطوة وهي المسافة الصغيرة وهذا ما يريده الشيطان ابتداءً فإن خطاها نقله ودرجه للثانية ولهذا قال خطوات. فإنه لن يكتف بخطوة بل خطوات. فأعظم خطوة الكفر والشرك فإن اعتصم العبد بالتوحيد زين الخطوة الثانية في البدعة فإن اعتصم بالسنة زين له الثالثة في ارتكاب الكبائر فإن اعتصم زين له الرابعة في الصغائر فإن اعتصم زين له في

الخامسة في الانشغال بالمباحات فإن نجا زين له المفضول عن الفاضل فإن نجا حرّش عليه جنده بالسب والأذية ووو. وهذه لم يسلم منها حتى الأنبياء.

٢٩٦٢. فيها إشارة إلى: تطييب المطعم، فليس فقط ﴿كُلُوا۟﴾ ولكن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بألا يكون من حرام، أو شبهة.

٢٩٦٣. فيها: كم هي طرق الشيطان وأهله عديدة وكثيرة في إغواء الناس ودفعهم لأكل الحرام، ولو علموا أنه إنما هو رزق الله ما كانوا سيدركونه من رزق فإنما هو رزقه، لما سعوا إليه بالحرام.

٢٩٦٤. فيها: القرآن الكريم بيّن النعم الظاهرة والدعوة إلى الهداية بترك خطوات الشيطان.

٢٩٦٥. تفيد: أن تحريم أكل هذه اللحوم، من خطوات الشيطان ومما يأمر به؛ كحال مشركي العرب قديما، والهندوس حديثا؛ لأنهم لما عبدوا الشيطان (في صورة عبادة البقر) أمرهم بتحريم أكلها فامتنعوا عن أكلها والانتفاع بها.

٢٩٦٦. فيها: عناية الله بخلقه؛ حيث جعل لهم ما يأكلون وينتفعون به، وحذرهم من عدوهم؛ لقوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ومفاده: وجوب محبته وإفراده بالعبادة؛ وتصديقه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ – ٦١].

٢٩٦٧. تفيد منة الله تعالى العظيمة على عباده من خلال ما رزقهم بما يستوجب شكره ومحبته، وبغض عدوه الذي يحول دون تحقق مقاصد النعم.

٢٩٦٨. تفيد حرص الشيطان الدائم على جلب ما يضر بني آدم وسعيه لما يفسد عليهم دينهم ودنياهم.

٢٩٦٩. تفيد أن اتباع خطوات الشيطان نوع من الغفلة والغباء فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تنبيه عظيم للغافلين والجاهلين.

٢٩٧٠. فيها: قال: ﴿ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ ولم يقل إبليس ففيها تحذير من اتباع هذا الذي شطن وابتعد عن رحمة ربه.

٢٩٧١. قوله: ﴿ خُطُوَٰتِ ﴾.. نكرة في سياق النهي للعموم.. فلا تتبعوا أدنى خطوة له.

٢٩٧٢. تفيد أن للشيطان مداخل ومساعٍ لابد للعبد من معرفتها ليحذر من اتباعها، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن هنا ألف العلماء في هذا الباب مثل كتاب: تلبيس إبليس لابن الجوزي، وكتاب: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، والعمل على تنبيه الناس وتوعيتهم عن ذلك من مقاصد القرآن وهداياته.

٢٩٧٣. تفيد التحذير من أصدقاء السوء، فهو من اتباع خطوات الشيطان بلا شك، وكذلك الاختلاط والخلوة بالنساء، وغيرها مما يطول تفصيله.

٢٩٧٤. فيها تعليل الأحكام وتبيان حِكمها وعللها ليسهل على السامعين اتباعها.

٢٩٧٥. تفيد وجوب اتباع طريق الرحمن الموصل للجنان، والبعد عن طريق الشيطان الموصل للنيران.

٢٩٧٦. تفيد: أن العدو الحقيقي للإنسان، "الشيطان"، قال أحد السلف: "من ضربني فليس بعدوي، ومن شتمني فليس بعدوي؛ عدوي: الذي إذا كنت في طاعة الله باعدني عنها، وإذا كنت في معصية الله آيسني من رحمته" –أو نحو ذلك –، يعني: الشيطان.

٢٩٧٧. تفيد مناسبة أول الآية بآخرها: حرص الشيطان على إطعام بني آدم الأكل الحرام.

قال تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣]

٢٩٧٨. فيها: رد مفحم على المشركين لما قالوا: {ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا}. وعليه: ففيها: مناسبة لما سبق.

٢٩٧٩. تفيد، وبضميمة ما سبق: أن الكلام في دين الله بلا علم، اتباع لخطوات الشيطان؛ وتصديقه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨ – ١٦٩] فليحذر هؤلاء الذين يتصدرون في القنوات، ويتكلمون في دين الله بغير علم، أن يكونوا ممن اتبع خطوات الشيطان. ففي هذا تحذير للناس كافة، أن يتكلموا في دين الله إلا بعلم وللذين يتصدرون في هذه القنوات خاصة.

٢٩٨٠. فيها تنوع الأنعام مما يدل على كثرة نعم الله عز وجل على العباد بها «ثمانية أزواج».

٢٩٨١. فيها: بيان إنكار الله عز وجل على أهل الجاهلية في تحريمهم ما أحل الله عز وجل.

٢٩٨٢. تفيد: أن النبي مأمور ومكلف، ومبلغ عن الله؛ لقوله: ﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر. وعليه: فالقرآن كلام الله. وأنه لا يجوز الغلو في حقه – صلى الله عليه وسلم –.

٢٩٨٣. تفيد: أن الله وحده يعلم ما في الأرحام؛ لأنه احتج عليهم لما {قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا}؛ فاحتج عليهم لأنهم يجهلون ما في أرحام الأنعام؛ وتصديقه: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ ﴾ [لقمان: ٣٤] و"ما" لفظ عام، فيشمل كل ما يسمى رحما من الإنسان والحيوان؛ لقوله: ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ ﴾.

٢٩٨٤. فيها خطورة التقول على الله بغير علم ولا هدى.

٢٩٨٥. فيها التنبيه على فضيلة العلم.

٢٩٨٦. فيها تحريم القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك. فمن أراد أن ينبئ بشيء فليكن متحققا من صدقه وصوابه؛ وانظر إلى قوله تعالى في سورة الاعراف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٢٩٨٧. تفيد: بأن {لله الحجة البالغة}، وأن الشرك لا حجة له.

٢٩٨٨. تفيد أهمية أسلوب الاستفهام في المناظرة والإفحام.

٢٩٨٩. تفيد منزلة ومكانة العلم وأهميته وأثره ودوره.

٢٩٩٠. فيها ارتباط العلم بالصدق؛ لأن العلم إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.

٢٩٩١. تفيد: كذب المشركين، وأنهم أهل افتراء على الله؛ لقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ولو كنتم كذلك ما حرمتم وأحللتم {افتراء على الله}؛ {ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب}.

٢٩٩٢. تفيد ذم الكذب على الله تعالى والتحذير منه وبيان عواقبه.

٢٩٩٣. تفيد جهل وكذب المشركين فيما يقولونه ويقررونه من أحكام.

٢٩٩٤. تفيد: طلب الدليل، على الدعوى.

٢٩٩٥. تفيد: أن الأصل في التحريم، أنه "سماعي"؛ فالأصل فيه التوقف؛ لقوله: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾ فإن قلت: وأين دليل السماع؟، قلت: دل عليه ما بعده: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٤٤] فذكر هنا المشاهدة (الرؤية)؛ ليعلم أنه لا طريق لهم من سمع أو مشاهدة، يشهد لصحة ما قالوا كذبا. فالسمع والبصر مصدر العلم؛ وليس لهم شاهد من سمع أو مشاهدة، فدل على أنه هوى ومحض افتراء الله.

٢٩٩٦. تفيد: أن هذه الشريعة مبنية على العلم والحجة والبرهان.

٢٩٩٧. تفيد أن الحق في الشرع ما قامت الأدلة على صحته.

٢٩٩٨. تفيد: وجوب رد الشبهة والفرية.

٢٩٩٩. فيها: إشارة إلى ذم التقليد في الباطل؛ لأنهم حرموا وتحللوا تقليدا، لا بعلم من الله.

٣٠٠٠. تفيد بيان أهمية الصدق ومنزلته ومكانته.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤]

٣٠٠١. تفيد: أن النبي مأمور ومكلف، ومبلغ عن الله؛ لقوله: ﴿قُلۡ﴾ فعل أمر. وعليه: فلا يجوز الغلو في حقه ﷺ.

٣٠٠٢. تفيد: اعتبار الرؤية في الشهادة.

٣٠٠٣. تفيد: بأن الأصل في شهادة الأعمى، لا تجوز.

٣٠٠٤. تفيد: تجنب الخوض في الأمر الذي لا يعلم إلا بالمشاهدة، بلا مشاهدة؛ وتصديقه: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] ويا ليت الناس ينتهجون هذا النهج، سيما في زمان التواصل وسرعة انتشار الكلمة.

٣٠٠٥. فيها: أن الله يوصي عباده. وأن التحليل والتحريم، بيده هو وحده.

٣٠٠٦. اشتملت الآيات على أسلوب من أساليب الجدل وهو أسلوب السبر والتقسيم؛ إذ استغرقت الآية بيان أسباب التحريم فهو إما أن يعود للأنوثة فتحرم كل أنثى، أو يعود للذكورة فيحرم كل ذكر، أو لاشتمال الرحم عليه فيحرم الجنسان وهم لا يقولون بهذا كله، أو الاحتمال الرابع والأخير أن يكون بتوصية من الله شهدوها، وهذا أيضا لا يملكون ادعاءه فلم يبق إلا أنه محض افتراء وكذب ولهذا سماه افتراء.

٣٠٠٧. تفيد أن الله تعالى يوصي عباده، وهذا من فضله وكرمه وجوده سبحانه وتعالى؛ ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥١] وغيرها.

٣٠٠٨. تفيد: أن من صور الإقرار في الخصومات والجنايات، "السكوت"؛ بعد إقامة الحجة والبيان. وهو ما يسمى "الإقرار الضمني". وجه ذلك: أنه أقام الحجة على المشركين وأبان سبيل التحريم والتحليل، ولم يذكر لهم كلاما. ولا يسعهم إلا السكوت أصلا لأنهم أفحموا. وعليه:

فعدم ذكر القرآن لمقالة الخصم بعد إقامة الحجة، دلالة على إفحامه وإقراره؛ ونظيره: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] يريد: يا جماعة الجن.. فسكتوا وأفحموا، ولم يتكلموا، وأقروا أنهم أكثروا من إضلال الإنس. وهذا يدلك على أن {لله الحجة البالغة}، ولو شاء لجمع الناس على هذه الحجة، ولكنه {حكيم عليم}.

٣٠٠٩. تفيد أيضا عظيم إثم الافتراء على الله في التحليل والتحريم.

٣٠١٠. فيها: وعيد للمشرع من دون الله، وبيان جرمه وظلمه. وجه ذلك: أن الله توعد من افترى عليه، ورد على هؤلاء الذين ادعوا أن الله حرم هذه المحرمات، فما بالك بالذي نحى جانب الله أصلا؛ فنحى الحلال والحرام، ونازع الله أمره ولم ينسب له حراما ولا حلالا؟!، ولذا من تعاطى هذا كان طاغوتا.

٣٠١١. تفيد: أن تشريعات المشركين والضالين لا تتفق مع العقل؛ وعليه: فشريعة الإسلام لا تخالف عقلا سليما أبدا. وجه ذلك: أنهم لم يقدروا على إثبات التحريم بالعقل، وطلب منهم علة التحريم - فأعجزهم وأقام عليهم الحجة - فأفحموا وما استطاعوا الجواب، فانتقل بهم إلى الشرع؛ ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ وتصديقه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] والشاهد: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فانظر كيف ذيّلها بالعقل. وكأنه يقول: وأكثرهم لا يعقلون لتشريعهم هذه التشريعات، التي ما أنزل بها من سلطان، والتي لا تتفق مع عقل أبدا. فإذا استقر هذا، فإن الذي شرع لهم هو إبليس بوحيه؛ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾.

٣٠١٢. تفيد: أن التقول على الله، "ظلم".

٣٠١٣. تفيد أن إضلال الناس من أعظم الذنوب ومن أعظم الظلم.

٣٠١٤. تفيد: أن من لم يقنع بحجة الشرع، كان ظالما.

٣٠١٥. تفيد تحريم الفتوى بغير علم وهي من الافتراء على الله.

٣٠١٦. فيها: رد على القدرية والمعتزلة، كما أن فيها: رد على الجبرية كذلك.

٣٠١٧. تفيد أن الظلم من أسباب الضلال والزيغ؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٤٥]

٣٠١٨. تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرموا من الحلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبين للناس ما حرمه الله عليهم، ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال، مَنْ نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل، لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله ﷺ.

٣٠١٩. فيها: رد على المشركين، الذين حرموا من عند أنفسهم {افتراء على الله}. وعليه: ففيها مناسبة لما سبق. قال ابن كثير – رحمه الله –: والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه، من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك، فأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية.

٣٠٢٠. تفيد: إذا ذكر كلام الخصم، وجب ذكر ما يخالف كلامه وتقرر في الشرع. قال السعدي – رحمه الله –: لما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرموا من الحلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبين للناس ما حرمه الله عليهم.

٣٠٢١. تفيد: أن النبي ﷺ، لا اجتهاد له أبدا في التحريم والتحليل؛ ألا ترى أن الله عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم؟، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١] فكيف بتحريمه

على هذه الأمة. وفي هذا دليل على نبوته، وأنه عبدالله ورســوله. وعليه: فلا إفراط في حقه ولا تفريط "لا تطروني...، وانما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله".

٣٠٢٢. تفيد: أن التحليل والتحريم، مصــدره وحي الرحمن فحســب، وما ســواه فهو وحي الشيطان.

٣٠٢٣. تفيد: أن الأصل في الأشياء الحل، وأن المباحات كثيرة لا تحصى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١٨].

٣٠٢٤. تفيد سعة الشريعة الإسلامية ويسرها وكمالها.

٣٠٢٥. تفيد أن المشرع هو الله تعالى وحده وأن النبي عليه السلام متبع لما يوحى إليه.

٣٠٢٦. تفيد: حاجة البشرية للطعام.

٣٠٢٧. تفيد خطورة تناول الأطعمة المحرمة؛ ولذا خصــصــت لها الكثير من التشــريعات وهي تحتاج أن تفرد بدراسة خاصة.

٣٠٢٨. تفيد: حرمة الأشياء المذكورة، مما أحله للمضطر فحسب.

٣٠٢٩. تفيد خطورة أكل الميتة؛ حيث بدأ بها تعالى في ذكر المحرمات.

٣٠٣٠. تفيد أن المحرم من الدم هو المسفوح أما ما كان جامدا كالكبد والطحال فلا يدخل في التحريم والله أعلم وفيها تقييد للدم الذي ورد مطلقا في آيات أخرى.

٣٠٣١. تفيد بالمفهوم أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، حلال طاهر؛ لقوله: ﴿ أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾. قال الســـعدي – رحمه الله: ومفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر.

٣٠٣٢. تفيد القاعدة الأصولية: "لا تكليف إلا بمقدور".

٣٠٣٣. تفيد: دقة التعبير القرآني؛ لقوله: ﴿ أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾ ولولا ذلك لتكلفنا نزع الدم من اللحم؛ مما لا ينفك عنه من آثار الدم.

٣٠٣٤. تفيد: جواز الصلاة بالثوب الذي عليه آثار دم الذبيحة، لأنه ليس مسفوحا كذلك.

٣٠٣٥. تفيد – والله أعلم –: جواز الانتفاع من الميتة، عدا الأكل؛ لقوله: ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾. قال السعدي – رحمه الله –: أي: محرما أكله، بقطع النظر عن تحريم الانتفاع بغير الأكل وعدمه. وعليه أيضا: تفيد دقة التعبير. ولم لا وهو الذي علم البيان – جل ذكره –.

٣٠٣٦. يفيد التنصيص بلحم الخنزير، وهو من اللحوم التي لا تُشتهر به الجزيرة العربية التي أنزل على الناس فيها هذه الآية.. وفي هذا إشارة إلى عالمية الرسالة وستصل إلى أقوام يكثر عندهم هذا الحيوان ويأكلونه. والله أعلم.

٣٠٣٧. تفيد تحريم لحم الخنزير، والرد على النصارى في اباحته فإن اليهود لا زالوا يحرمون الخنزير، ولذلك عندما ينزل المسيح ابن مريم عليه السلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير كما في الحديث المتفق عليه.

٣٠٣٨. تحريم الذبح لغير الله تعالى.

٣٠٣٩. تفيد أن الذبح لغير الله فسق، وفي الحديث: "لعن الله من ذبح لغير الله" رواه مسلم.

٣٠٤٠. تفيد تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه؛ لقوله: ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

٣٠٤١. تفيد: أن الذبيحة لا تحل لمجرد ذكاتها وإراقة دمها؛ وإنما يشترط أيضا، أن تذبح لله وحده.

٣٠٤٢. تفيد: دقة التعبير القرآني وبلاغته؛ إذ لو اكتفى بذكر الميتة فحسب، لأوهم حلها إذا ذبح لغير الله؛ ولذا قال: ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ .

٣٠٤٣. فيها: تحريم الذبح لغير الله، وأنه الفسق بعينه، أي الكفر؛ فحسبه شركا وكفرا أن يذبح لغير الله.

٣٠٤٤. تفيد: أن "الفسق" يطلق على الكفر والشرك. قال الزجاج – رحمه الله – في معاني القرآن: فسمي ما ذكر عليه غير اسم الله فسقا، أي خروجا من الدين.

٣٠٤٥. فيها: على المسلم اجتناب الفسق والرجس بكل أشكاله وأنواعه.

٣٠٤٦. تفيد قاعدة فقهية عظيمة وهي الضرورات تبيح المحظورات.

٣٠٤٧. تفيد أن الضرورات تقدر بقدرها ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾.

٣٠٤٨. تفيد النهي عن البغي والعدوان؛ لقوله: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾.

٣٠٤٩. تفيد أن تقدير الضرورة ترجع للعبد الذي يحكمه فيه دينه وتقواه.

٣٠٥٠. تفيد خطورة التعدي على ما حرم الله تعالى.

٣٠٥١. تفيد أن تحليل المحرمات عند الضرورة هو من كمال ربوبيته تعالى لعباده وتدبيره لمصالحهم.

٣٠٥٢. تفيد أن بيان هذه المحرمات للناس وتحذيرهم منها، مع ما ظهر من ضررها البليغ تدل على سعة رحمة الله وكمال علمه ببواطن الأمور.

٣٠٥٣. في الآية دليل على توافق العقل الصريح مع النقل الصحيح. فما حرم الشرع شيئا فقال العقل لم حرمه ولا أحل شيئا فقال لم أحله. ولا لشيء حرمه قال ليته أحله ولا لشيء أحله قال ليته حرمه.

٣٠٥٤. حصر المحظورات في أمور معدودات وإباحتها في الضرورات دليل على كمال رحمة الله في شرعه بما يوافق حاجاتهم وظروفهم، مما يوجب عليهم التمسك به والتزامه.

٣٠٥٥. تفيد: أن وحي الرحمن، يدعو إلى الطهر والطيبات من الطعام، بخلاف المشركين المتمسكين بوحي الشيطان الذين يستحلون الميتات والخبائث، وكذا النصارى الذين يستحلون لحم الخنزير؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣٠٥٦. تفيد آية من آيات النبوة في تحريم هذه الأشياء؛ فقد ثبت ضررها البليغ على الناس وكثرة ما فيها من أمراض وجراثيم وغيرها من أنواع الضرر، فسبحان الله رب العالمين.

٣٠٥٧. تفيد مكانة وقدر النبي عليه السلام حيث أضافه إلى ربوبيته تشريفا له.

٣٠٥٨. فيها: صفتا المغفرة والرحمة لله – جل ذكره –.

٣٠٥٩. تفيد: أن الضرورة تبيح، وليست رافع؛ لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للدلالة على بقاء الحكم، وهو التحريم.

٣٠٦٠. تفيد رحمة الله عز وجل بعباده وكمال لطفه بهم.

في الآية عناية الله للمؤمنين في تعليمهم واستفادتهم من شُبه المشركين والرد عليها.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]

٣٠٦١. فيها مناسبة مع ما قبلها إذ لما حرم على أمة محمد ما حرم. عقب بذكر ما حرم على بني إسرائيل.

٣٠٦٢. فيها: مناسبة لما قبلها؛ فإن قلت ذكر في التي قبلها أهل الاشراك ورد عليهم، وعرض بجهلة النصارى الضالين، فأين اليهود؟، فالجواب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ فذكر تحريمه على اليهود وهم أهل علم بسبب بغيهم؛ ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٦ – ١٧].

٣٠٦٣. فيها نموذج لبعض الشرائع الخاصة بالأمم السابقة؛ قال القرطبي – رحمه الله –: ثم نسخ الله ذلك كله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم. وأباح لهم ما كان محرما عليهم من الحيوان، وأزال الحرج بمحمد عليه السلام، وألزم الخليقة دين الإسلام بحله وحرامه وأمره ونهيه.

٣٠٦٤. تفيد: منافع وأهمية الأطعمة المذكورة لبني البشر.

٣٠٦٥. فيها فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث حرمت المحرمات لدرء المفاسد وتقليلها وليست عقوبة.

٣٠٦٦. فيها فضل هذه الأمة على الأمم السابقة التي حرم الله عليها بعض الطيبات لحكم يعلمها تعالى أما هذه الأمة فأكرمها الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾.

٣٠٦٧. تفيد: أن اتباع اليهود للنبي، رحمة لهم - لو كانوا يعلمون -، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣٠٦٨. فيها: إشارة إلى أن شريعة النبي ﷺ نسخت ما عداها.

٣٠٦٩. فيها أن التحليل والتحريم حق خاص لله تعالى. (حرمنا عليهم)؛ فصرفه لغيره شرك كما في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى: ٢١] وكما في حديث عدي بن حاتم عند قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

٣٠٧٠. فيها: أن التحريم والتحليل، بيد الله، لم يأذن فيه لأحد حتى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -، لقوله: ﴿ حَرَّمۡنَا ﴾ وبدليل ما قبلها: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾.

٣٠٧١. فيها إشارة إلى أن هذه الأشياء المحرمة على اليهود طيبة ومفيدة؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٦٠] .

٣٠٧٢. فيها بيان لخطأ ما يشاع على نطاق واسع من ضرر مبالغ فيه للشحوم والدهون وما يسمى بالكوليسترول، وقد ذكر بعض الباحثين أن اليهود وراء هذه الدعايات بما لهم من نفوذ

في الغرب يريدون حرمان البشـــر مما حرم عليهم، وليس لما ذكروه من أضـــرار مســـتند علمي صحيح.

٣٠٧٣. فيها: بيان عدل الله ﷻ.

٣٠٧٤. تفيد بغي اليهود وظلمهم فبسببه حرمت عليهم هذه الطيبات؛ قال تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ١٦٠].

٣٠٧٥. فيها: بعض المحرمات حرمت الامم الســـابقة بســـبب ظلمها؛ قال القرطبي: وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا يَكُونُ بِذَنْبٍ، لِأَنَّهُ ضِيقٌ فَلَا يُعْدَلُ عَنِ السَّعَةِ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الْمُؤَاخَذَةِ.

٣٠٧٦. فيها: البغي ســبب في حرمان الرزق وبالمقابل البركة مع الطاعة والعدل وله شــواهد في القرآن كثيرة.

٣٠٧٧. فيها شــؤم البغي والتحذير منه ففي الآية الســـابقة أبيحت للمضـــطر من هذه الأمة المحرمات بشرط أن يكون (غير باغ ولاعاد). وفي هذه الآية حرمت عليهم بعض الطيبات جزاءا (ببغيهم).

٣٠٧٨. تفيد أن التحريم قد يكون بسبب الذنوب وإن كان أصل الشيء مباحا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرّم من أجل مسألته". متفق عليه.

٣٠٧٩. فيها: التحذير من الذنوب والمعاصي؛ فهي سبب نزع البركات، وضيق الأرزاق؛ لقوله: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ ﴾ وفي الحديث قال رســـول الله ﷺ: "وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

٣٠٨٠. تفيد: أن من أوقع جزاء على أحد بحق وصـــدق، أن يخبر عن ســـبب ذلك، فيقول: عاقبته بسبب كذا وكذا.

٣٠٨١.

٣٠٨٢. ففيها: هداية للناس عامة، وللأولياء خاصة؛ وجه ذلك: لم يكتف بإخباره عن تحريمه عليهم هذه المذكورات، ولكنه ذكر سبب تحريمه عليهم.

٣٠٨٣. فيها: مشروعية أن يقال: "وأنا صادق"؛ إن جازى أحدا بجريرة.

٣٠٨٤. فيها إثبات صفة الصدق لله تعالى؛ لقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] وهي من صفات الكمال لله تعالى.

٣٠٨٥. تفيد: أهمية "الصدق".

٣٠٨٦. فيها: تعريض بكذب اليهود وأنهم ادعوا شيئا ما كذبا؛ لقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

٣٠٨٧. فيها: تعريض بالمشركين، الذين يحرمون كذبا وافتراء.

٣٠٨٨. تفيد تعظيم الباري جل وعلا؛ لما فيها من ألفاظ التعظيم.

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]

٣٠٨٩. فيها توطين النفس على إعداد الحجة للرد على الشبه ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾.

٣٠٩٠. في قوله تعالى: ﴿فَإِن﴾ دلالة على أنه مهما وجد التكذيب أو كثر فإنه لا وجود له في الحقيقة ولا في اعتقاد المكذب نفسه وإن كثر جمعهم ﴿كَذَّبُوكَ﴾ إنما وجوده على لسانه مخالفا لما في قلبه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤] فجاء الخطاب ﴿رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾ ليمس شغاف قلوبهم وليكون موافقا للحقيقة التي يعتقدونها؛ فتفيد أن الكفر أكثره جحود وعناد والتكذيب قليل كما قال تعالى في نفس السورة: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٣٠٩١. ما ألطفها!! في مواساة الحبيب المصطفى ﷺ لئلا يحزن على تكذيبه ويضيق صدره؛ فاختيار صفتي الرحمة والسعة فيها التطمين والانشراح وأن الهداية ليست منحصرة عليهم؛ بل هي واسعة ليدخل الناس في دين الله أفواجاً، وأما المكذبون فسيحل بهم البأس والعقاب.

٣٠٩٢. فيها التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على التكذيب والإعراض.

٣٠٩٣. تفيد: وجوب الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى، وإن خالفه الناس واتهموه بالتهم؛ لأن الترغيب والترهيب عين الدعوة إلى الله.

٣٠٩٤. فيها أسلوب تربوي وهو الجمع بين الترغيب ﴿رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ﴾ والترهيب ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

٣٠٩٥. فيها الجمع في الدعوة بين الترغيب والترهيب من أنفع وأنجع الأساليب.

٣٠٩٦. تقديم الرحمة ووصفها بالسعة على البأس مجردا فيه تغليب الرجاء على الخوف. فالحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه.

٣٠٩٧. فيها: جملة (ذو رحمة) إسمية وجملة (ولا يرد بأسه) فعلية والأولى أبلغ في الثبوت والتأكيد.

٣٠٩٨. فيها: حث على سؤال الله "الرحمة"، والسعي في جلبها، "أسألك موجبات رحمتك".

٣٠٩٩. فيها: من أسمائه تعالى الودود. يكذبون ويقول لهم: ﴿رَّبُّكُمۡ﴾.

٣١٠٠. في قوله: ﴿رَّبُّكُمۡ﴾ ولم يقل ربي. فيها من اللطف والعناية والتذكير بالذي رباهم أن تعودوا له.

٣١٠١. فيها إثبات حقيقة الصفات على ما يليق بالله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ﴾.

٣١٠٢. فيها رد صريح على المعتزلة الذين يزعمون أن أسماء الله جامدة لا تدل على المعاني فلا يشتق له منها صفات فيقولون: سميع بلا سمع رحيم بلا رحمة. فجاءت هذه الآية الصريحة بالمنطوق على إثبات الصفة: ﴿رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ﴾ ونحوها قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: ٥٨] فاللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

٣١٠٣. فيها بيان سعة رحمة الله عز وجل وعظيم حلمه في إمهاله للعصاة والمكذبين وعدم تعجيل العقوبة لهم.

٣١٠٤. تفيد أن رحمة الله سبحانه وتعالى واسعة؛ قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]... الآيات.

٣١٠٥. فيها: ما أعظم لطفه ومدافعته فمتى حاصرتك الهموم والشدائد، وغلبك الأعداء بالجرائم والمكائد، فأنت ما بين لطف الرب ومدافعته عنك ما كنت معه.

٣١٠٦. فيها بيان أن بأس الله عز وجل وبطشه شديد وعقوبته عظيمة لا ترد عن القوم المجرمين.

٣١٠٧. قوله:﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ ﴾ نكرة في سياق النفي؛ فلا يمكن لأحد مهما كان أن يرد بأسه سبحانه إن أنزله.

٣١٠٨. تفيد أن بأس الله تعالى نازل بالمجرمين مستمر كلما حصل منهم إجرام؛ لقوله: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ ﴾ بصيغة المضارع التي تفيد الاستمرار؛ « وإن عدتم عدنا».

٣١٠٩. فيها ما يفعله المجرمون من تكذيب وأذى على اختلاف صوره هو من الجرائم ولا يرد بأس الله عن المجرمين وهو ليس خارج عن رحمته، فتيقن وتصبر وتوكل عليه؛ وإن كانوا قومًا وأنت واحد فالله معك ما كنت معه؛ وأنت بالله ولست بنفسك.

٣١١٠. فيها: من أعظم صفات المجرمين التكذيب، فهو يقطع كل الصلات التي تُقرب إلى الله تبارك وتعالى.

٣١١١. فيها بيان ما جبل عليه أولئك القوم من اليهود والمشركين من تكذيب الرسل والأعراض عن دعوتهم والصد عنها.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

٣١١٢. تفيد تعليما وتهيئة للمؤمنين بما سيقال حتى من أعدائهم حتى لا يتأثروا بقولهم ويتعلموا كيف الرد عليهم.

٣١١٣. تفيد أهمية حصر كلام وشبهات أهل الباطل وتعلم كيفية الرد عليها.

٣١١٤. تفيد أن الشبهات في القدر مستمرة؛ ولذلك عبر بالفعل المضارع، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في القدر. فالقدر سر الله في خلقه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أصل كل شبهة في العالم من الخوض في القدر.

٣١١٥. تفيد ذم الشرك والمشركين وأنه ليس لمشرك حجة عند الله.

٣١١٦. فيها إثبات علم الله للغيب ورد على القدرية وجاءت بسين المستقبل القريب.

٣١١٧. فيها أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ ؛ لأنه ما حدث به غيب لا يعلمه إلا الله ثم لمن شاء من عباده أعلمه.

٣١١٨. تفيد سوء أدب المشركين مع الله، وأنهم لو عرفوا الله حق معرفته ما قالوا قولهم هذا العظيم القبيح.

٣١١٩. فيها جواز إيراد شبه أهل الباطل للرد عليها.

٣١٢٠. فيها: القرآن لا يذكر أسماء أهل الباطل في الغالب حتى يبقوا نكرة على عكس ما يفعله البعض اليوم من إظهارهم وإشهارهم ولو بنية حسنة. مثال قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١]. فأسلوب القرآن يعلمنا الرد على الشبهة بغض النظر عن اسم قائلها.

٣١٢١. فيها: أسلوب السبر والتقسيم في المناظرة والتعليم.

٣١٢٢. فيها أن مجرد الإصرار على شيء ليس فضيلة بذاته.. وإنما المرجع في ذلك إلى العلم لا إلى الظن والخرص.

٣١٢٣. فيها: "وَلَمْ يَقُلْ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا، لأن قول "وَلا" قَامَ مَقَامَ تَوْكِيدِ الْمُضْمَرِ، وَلِهَذَا حَسُنَ أن يقال: ما قمت ولا زيد". القرطبي.

٣١٢٤. تفيد: أن أهل الباطل يجادلون عن أسلافهم، ومقرون بباطلهم. ونحو ذلك: أن الله وجه قتل الأنبياء لليهود زمان النبي - محمد صلى الله عليه وسلم -، مع أن الذي باشر القتل هم أسلافهم.

٣١٢٥. تفيد: أن الكفار يعلمون صحة التوحيد وأنه حق؛ لكنهم يستكبرون عنه.

٣١٢٦. تفيد أن المشركين جمعوا بين الشرك والتحريم؛ لقوله:﴿ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾.

٣١٢٧. تفيد أن المشركين استدلوا بالقدر على نفي الأمر والنهي، والمحبوب والمكروه، والطاعة والمعصية. ومن سلك هذا المسلك فهو في نوع من الكفر البين. (شيخ الإسلام ابن تيمية. الرد على البكري ٢/٣٠).

٣١٢٨. تفيد: أن بأس الله {لا يرد عن القوم المجرمين}.

٣١٢٩. تفيد: أن الله {لا يرضى لعباده الكفر}.

٣١٣٠. فيها طلب الدليل في النقاش مع المشركين والكفار.

٣١٣١. تفيد: أن حجج الكفار {داحضة}، ولا برهان لهم فيما قالوا، وإنما هو الكذب على الله.

٣١٣٢. فيها دحض حجة المشركين الباطلة الفاسدة المحتجين فيها بمشيئة الله وقدره على صحة أشراكهم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم احتجوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ الآية. وقد ظن طائفة من المثبتين للقدر

أنهم قالوا هذا على سبيل التكذيب بالقدر والاستهزاء به لقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ وبهذا أجاب القدرية لما احتججت عليهم بهذه الآية، وهذا غلط، فإن العرب كلهم كانوا يثبتون القدر ويقرون أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، فلم يكونوا مكذبين بذلك ولا ذمهم الله سبحانه على التكذيب بالقدر. بل على الاحتجاج به على إبطال الأمر والنهي وقوله:﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي كذبوا بالأمر والنهي الذي جاءت به الرسل، فإن هذا هو تكذيب الذين من قبلهم الذي ذكر الله في القرآن، ولهذا قال: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ أي فإن المحتج بالقدر لا يحتج به إلا إذا لم يكن عنده علم، بل يتبع هواه فإنها حجة متناقضة، إذ لو احتج عليه بالقدر لما قبل هو ذلك منه، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع. (الاستقامة ١٧٨-١٧٩).

٣١٣٣. تفيد: أن حجج الكفار، لا تتفق مع عقل.

٣١٣٤. تفيد: أن لله {الحجة البالغة}، وأن القوم قد أفحموا؛ ولكنهم أهل جدال بالباطل؛ قال السعدي في تفسيره: ومنها: "أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة..."

٣١٣٥. فيها إشارة إلى: وجوب الرجوع للحق بعد بيانه وإقامة الحجة.

٣١٣٦. فيها بيان أن من بنى حججه على الظن والوهم والخيال فهو مبطل خاسر حيث لا يغني هذا الظن من الحق شيئا.

٣١٣٧. تفيد أن الإنسان أكثر شيء جدلا.

٣١٣٨. تفيد أن سلوك المجرمين المكذبين عبر التاريخ واحد؛ لقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾.

٣١٣٩. تفيد أن كل قول مخالف للحق هو من الكذب على الله.

٣١٤٠. تفيد: أن المبتدع إذا استدل بدليل، كان الدليل حجة عليه لا له؛ لأن القدرية المجبرة لما احتجوا بمطلع الآية، جاء الرد عليهم في ثنايا الآية؛ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ لما زعموا ما زعم هؤلاء الكفار، فجعلوا يستمرون على الشرك وكأنهم يقولون (ربك لا يريد أن يهدينا) حتى نزل بهم العذاب، ولو كانت حجة محققة لما عذبهم، والله {لا يظلم مثقال ذرة}.

٣١٤١. تفيد أن الباطل لا يستطيع الصمود في وجه من يمتلك حجج وأدلة الوحي.

٣١٤٢. فيها: كفى الجبرية ذلاً أن قولهم في الإرادة ذُكر في معرض الذم والقبح.

٣١٤٣. فيها النهي عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي؛ قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: قوله: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به، من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه، كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة.

٣١٤٤. فيها: فساد الاحتجاج بالقدر على المعايب؛ ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

٣١٤٥. تفيد خطورة الكذب على الله وأنه من صفات المشركين.

٣١٤٦. تفيد أن ما حل بالكفار في الدنيا من عذاب لا يساوى شيئا في مقابل ما ينتظرهم في الآخرة من سوء العذاب؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾ فهذا مجرد ذوق.

٣١٤٧. فيها: تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم –، بأن التكذيب سنة قديمة، وأن الله لا يدع أهل التكذيب، بل يحل بهم عذابه الذي لا يرد.

٣١٤٨. فيها مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم، وكذلك قوله: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ، وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ [الأنعام: ١١٩] وأمثال ذلك، ذلك لمن عمل بغير علم، وعمل بالظن. (مجموع الفتاوى ١٣/١١٠-١١١).

٣١٤٩. تفيد وهن الباطل وضعفه فهو لا يستند على علم وحجة وإنما هو ظنون وتخرصات.

قال تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]

٣١٥٠. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن القوم بهتوا وأفحموا ولم يقدروا على الجواب؛ فليس لهم حجة على ربهم بل له الحجة عليهم؛ ولقوله: ﴿هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ﴾، فانقطعوا ولم يأتوا بشيء من العلم. وهكذا، لا حجة لأحد قط على الله.

٣١٥١. يفيد التخصيص والحصر إضافة إلى لام الاختصاص. وعليه فالحجة البالغة المطلقة لله وحده جل جلاله، وأما بعض أفراد خلقه فقد يبلغ في أحوال أن تكون لهم مطلق حجة بالغة لكنها نسبية تناسب قليل العلم الذي أوتوه.

٣١٥٢. تفيد تفنيد حجج المشركين على شركهم؛ قال السعدي: هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم. وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه:

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ فلو كان لهم علم - وهم خصوم ألداء- لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا

علم عندهم. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ومَنْ بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟

ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق، قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فيا عجبا كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟"

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ. وقال ابن القيم: فأخبر أن له الحجة البالغة، وهي التي بلغت إلى صميم القلب وخالطت العقل واتحدت به فلا يمكن العقل دفعها ولا جحدها، ثم أخبر أنه سبحانه قادر على هداية خلقه كلهم، ولو شاءَ ذلك لفعله لكمال قدرته ونفوذ مشيئته، ولكن حكمته

تأْبى ذلك وعدله يأْبى تعذيب أحد وأخذه بلا حجة، فأقام الحجة وصـــرّفَ الآيات وضـــرب الأمثال ونوَّع الأدلة، ولو كان الخلق كلهم على طريقة واحدة من الهداية لما حصلت هذه الأُمور ولا تنوعت هذه الأدلة والأمثال، ولا ظهرت عزته سـبحانه في انتقامه من أعدائه ونصـر أوليائه عليهم، ولا حججه التي أقامها على صـدق أنبيائه ورسـله ولا كان للناس آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سـبيل الله، وأُخرى كافرة يرونهم مثليهم رأْى العين، ولا كان للخلق آية باقية ما بقيت الدنيا في شـأْن موسـى وقومه وفرعون وقومه وفلق البحر لهم ودخولهم جميعًا فيه ثم إنجاءَ موسـى وقومه ولم يغرق أحد منهم، وأغرق فرعون وقومه لم ينج منهم أحد، فهذا التعرف إلى عباده وهذه الآيات وهذه العزة والحكمة لا سبيل إلى تعطيلها ألبتة ولا توجد بدون لوازمها.

٣١٥٣. فيها قوة الرد على المخالفين والاسـلوب المنهجي في تقرير العلم فَلَمَّا تحججوا بمشـيئة الله وبالقدر وأنه لو شاء ما أشركوا وآباءهم ولا اهتدوا؛ بدأ أولاً بأن ذلك ليس بحجة لهم ليقطع أي تصـور لظهورهم أو أدنى حجة لهم وأن لله الحجة على خلقه، ثم قرر الرد على ذات الشـبهة ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾[يونس: ٩٩].. وغيرهـا وهـذا مـا يســـميه العلماء بالتخلية قبل التحلية وهذا الأنفع في الدعوة إلى التوحيد والســـنة ورد الباطل والبدعة.

٣١٥٤. فيها تقديم الخبر (لله) على المبتدأ (الحجة) أنّ تمام الحجة لله وزاد تأكيد ذلك بوصـفها بالبالغة.

٣١٥٥. تفيـد: أن الموفق للحجة والملهم لهـا، هو الله وحـده؛ كمـا قـال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. وعليه: فينبغي أن يســـأل العبد ربه أن يلهمه الحجة، في بيان الحق وإثباته والدفاع عنه؛ فكم من صـاحب حق هضـم حقه، لأنه لا يحسـن أن يدلي بحجته. وكم من قاض اختلط عليه كلام الخصوم، فرأى الحق باطلا. فصاحب الحق، والذي يقضي بين الخصوم، أحوج الناس

إلى معونة الله وتوفيقه وإلهامه الحجة وإلزامها الخصم. وكذا المجادل والمنافح عن دين الله والمناظر للكفرة أعداء الدين.

٣١٥٦. تفيد: جواز استعمال كلمة "لو"؛ في مثل هذا الموضع.

٣١٥٧. فيها: إثبات صفة المشيئة لله – جل ذكره –.

٣١٥٨. تفيد أن وجود الضلال والكفر لحكمة بالغة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

٣١٥٩. فيها: رد على القدرية.

٣١٦٠. فيها: أن الهداية من الله تعالى وحده، وهو الموفق لها، وهذه هي هداية التوفيق ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٧٢]، وأما هداية المرسلين المصلحين من الدعاة هي هداية الدلالة والإرشاد ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]

٣١٦١. تفيد: أهمية استدعاء الشهود في إثبات الحق؛ فهم من جملة البينة؛ لقوله: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾، وكما قال: "لو يعطى الناس بدعواهم، لذهب دماء قوم وأموالهم". رواه البخاري.

٣١٦٢. تفيد: أن الشاهد بينة، إلا أن شهادته ليست ملزمة. ليست ملزمة لقوله: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾.

٣١٦٣. تفيد: أهمية الشهادة، والشهود في إثبات الدعوى؛ ولذا أوجب على الشاهد أن يدلي بشهادته، وبين أن كتمانها ضرر كبير في الثبوت والإلغاء؛ كما قال: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي لا يضار. وكما قال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣].

٣١٦٤. تفيد: وجوب التحري عند الحديث عن الله، وعن حرامه وحلاله.

٣١٦٥. تفيد غلظ تحريم ما أحل الله تعالى، وفيه مع تحريمه تضـــييق على العباد؛ «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق».

٣١٦٦. تفيد: توقع شهادة الزور وجرأة بعض الناس عليها، وعدم مشاركتهم في هذه الشهادة؛ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

٣١٦٧. تشير: إلى قوة الحق وسلطانه.

٣١٦٨. تفيد: النهي عن اتباع الهوى في الحكم، والشـــهادة؛ وكما قال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. وفي الشـــهادة قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٥].

٣١٦٩. فيها: اثنان لا تتبعهما ولا تصاحبهما. فاقد إيمان ومتبع هواه.

٣١٧٠. تفيد: وجوب الإيمان بالآخرة.

٣١٧١. فيها: النهي عن اتباع المشركين.

٣١٧٢. تفيد النهي عن اتباع أهواء المشركين والمكذبين.

٣١٧٣. تفيد قبح الشرك عقلا؛ لأنهم بربهم يعدلون؛ وهذا من أقبح الظلم والاجحاف.

قال تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

٣١٧٤. فيها: تعريض بتشـريعات المشـركين الباطلة والتي لا تتفق مع عقل؛ فكأنه يقول: اتركوا كل هذا، وتعالوا إلى الأمر والنهي الحق ﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ...﴾. فهذه الآية نسفت ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام؛ من تشريعات وعقائد.

٣١٧٥. فيها: أن هذه الآية من الآيات المحكمات العظيمة آيات الوصايا العشر. فقد حوت هذه الآية على خمس وصايا اجتماعية.

٣١٧٦. فيها: أن هذه الآية من الآيات التي لم تنسخ في شريعة من الشرائع. وهذه الآية والآيتان بعدها تسمى الوصايا العشر. لأن خاتمتها وصاكم وصاكم وصاكم. وهي مفتتح التوراة كما يقول كعب الأحبار. وقيل: إن هذه الوصايا أنزلها الله في كل كتاب وعلى كل رسول، فهي مما اتفقت عليها الشرائع.

٣١٧٧. تفيد: أن هذه الآية لا يعتريها نسخ، لأنها مقاصد هذه الشريعة المباركة. ولأنه لا ينسخ ما يوصي به، ولأنه خرج مخرج الوصية، لا مجرد الأمر. والوصية لا تبدل.

٣١٧٨. فيها: قوله: تعالوا: أصله من التكلف للاعتلاء ثم عمم، فالأصل أنه خطاب لمن هم في سفل أن يتخلصوا منه لعلوٍ يُراد لهم. وتأملت فعل الامر هذا فوجدته يُخاطب به أهل الكتاب والمشركين والمنافقين على الغالب. وفي الحديث: "إن الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها".

٣١٧٩. فيها: قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ دعوة منه صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس من أجل الاستماع له والانتباه لدعوته وامتثال أمره، وأن ما بلغهم به إنما هو وحي من الله سبحانه.

٣١٨٠. تفيد منزلة وفضل الدعوة إلى الله وبيان الحق والهدى للناس ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾.

٣١٨١. قوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ فيه توجيه للدعاة لتحقيق القرب من المدعوين ليفهموا دعوتهم عن كثب.

٣١٨٢. تفيد أهمية الإقبال على تعلم أحكام الشرع.

٣١٨٣. قوله: أتل.. فيها لطف بالمخاطبين وكأنهم لا يحتاجون سوى أن يتلوا عليهم فيفهموا ويطبقوا.

٣١٨٤. تدل على ظهور آيات القرآن ووضوح دلالتها؛ لأنه بمجرد تلاوتها يفهم المقصود منها.

٣١٨٥. تفيد أن من الأساليب الدعوية تلاوة القرآن فقط على الناس وقد استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة.

٣١٨٦. تفيد أهمية دعوة الناس للاستماع للقرآن الكريم والانتفاع بهديه.

٣١٨٧. تفيد أن في تلاوة القرآن الكريم لفظا؛ ومعنى من خلال اتباع ما فيه؛ والاهتداء بهديه؛ العلو والرفعة؛ وأن البعد عن تلاوته وعدم الاهتداء بهديه: السفل والوضع والخفض؛ ويشهد لهذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ".

٣١٨٨. تفيد: قوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النحل: ٩١-٩٢].

٣١٨٩. تفيد أن القرآن كلام الله تعالى تلاه نبيه ﷺ على عباده.

٣١٩٠. تفيد: أن النبي مأمور ومكلف ومبلغ؛ وكما قال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [يونس: ١٥].

٣١٩١. تفيد: أن الخالق، هو الذي بيده التحليل والتحريم؛ لقوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾؛ ولقوله: {ألا له الخلق والأمر}.

٣١٩٢. فيها: توبيخ للمشركين الذين يحرمون من تلقاء أنفسهم، ويطيعون الشيطان في هذا.

٣١٩٣. قوله: ﴿رَبُّكُمۡ﴾ فيها تذكير الدعاة للمدعوين بربهم ونعمه ورحمته، وتحبيبهم فيه ليقبلوا على شرعه ووصاياه.

٣١٩٤. تفيد أن بيان المحرمات والتحذير منها رعاية ووقاية للعباد وهذا داخل في قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾.

٣١٩٥. لم يقل أتل ما أحل؛ لأن الحلال كثير والحرام قليل، فعده وفي الحديث: ماذا يلبس المحرم فقال لا يلبس المخيط... فسألوا عما يحل فأجاب عما لا يحل.

٣١٩٦. فيها فضل الله ورحمته على هذه الأمة في بيان المحرمات حتى يجتنبوها لإن في اجتنابها قوام الدين وقوام الحياة وسعادة الدارين.

٣١٩٧. تفيد أن التحليل والتحريم من خصائص الربوبية.

٣١٩٨. تفيد أن من رحمة الله تعالى بعباده بيان هذه المحرمات ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾.

٣١٩٩. فيها: الوقف على قوله تعالى: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثم البدء بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ فيه معنى لطيف من جهتين، الأولى: تفيد كلمة عليكم هنا معنى الإلزام والحتم في الحكم لأنها هنا اسم فعل أمر بمعنى: الزموا، فقوة الإلزام جاءت من الجمع بين لفظي حرم والزموا أي الزموا البعد التام عما حرمه ربكم. الثانية: أن تحريم هذه الأمور هنا يكون عاما لكل الأمم وليس على هذه الأمة فقط.

٣٢٠٠. فيها عظم الإشراك بالله عز وجل ولهذا قدمه في أول المحرمات. فهذه الوصية الأولى لأن الشرك أصل المصائب ورأس المعاصي وبداية الهلاك والدمار والخسران. فهذه هداية كلية، فإن الله عز وجل إذا ذكر الكبائر والمنهيات بدأ بالشرك كما في قوله تعالى في أول نهي في القرآن الكريم: «فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون» «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا» «يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» وغيرها، وهو كذلك منهج نبوي كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن قال: الإشراك بالله.. الحديث، وقوله: "ألا انبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله..» وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك...، وغيره كثير.

٣٢٠١. تفيد خطورة الشرك بكل أنواعه وهو أول وأعظم المحرمات (به شيئا).

٣٢٠٢. فيها: أنها تضمنت تحريم الشرك بأنواعه.

٣٢٠٣. تفيد: أن التوحيد، سبب في كل خير وإنماءه.

٣٢٠٤. تفيد: أن التوحيد، فاتحة دعوة الرسل.

٣٢٠٥. تفيد منزلة ومكانة وأهمية الإخلاص في جميع الأعمال والعبادات، فمن ترك الشرك حقق الإخلاص.

٣٢٠٦. فيها أسلوب تربوي أن نبدأ في وصايانا وتربيتنا بالأهم فالأهم. كما قال لقمان لابنه في أول وصاياه: لا تشرك بالله. وكذلك هنا.

٣٢٠٧. تفيد عظم حق الوالدين ووجوب الإحسان إليهما.

٣٢٠٨. تفيد: النهي عن عقوق الوالدين.

٣٢٠٩. تفيد: جواز حذف ما دل الظاهر عليه؛ قال الطبري في تفسيره: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، يقول: وأوصى بالوالدين إحسانًا. وحذف " أوصى " و " أمر "، لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه.

٣٢١٠. تفيد الأمر بجميع أنواع الإحسان إلى الوالدين؛ لتنكير «إحسانا» فيشمل الإحسان القولي والفعلي والمالي وغيره.

٣٢١١. تفيد أن حق الوالدين يلي حق الله تعالى.

٣٢١٢. تفيد أن حق الوالدين مقدم على سائر حقوق الخلق عدا النبي عليه السلام.

٣٢١٣. تفيد أن من عامل والدين بالعدل لم يحقق برهما حتى يبلغ درجة الإحسان.

٣٢١٤. تفيد: أنه إذا وجد الإحسان انتفى العقوق.

٣٢١٥. تفيد النهي عن العقوق بأبلغ أسلوب، لأن الإحسان لا يتحقق إلا بعد تجاوز كل صور العقوق.

٣٢١٦. تفيد عظم حق الوالدين حيث لم ينه تعالى عن عقوقهما؛ فإن ذلك مستقر في الفطر السليمة؛ بل أمر بالإحسان إليهما في سائر صحبة الحياة.

٣٢١٧. فيها: الإحسان لكلا الوالدين، ليس لواحد منها دون الآخر. اللهم إلا ما ورد في من أحق الناس بالصحبة، على ترتيب الحديث. لأن من الناس من يحسن إلى أحدهما دون الآخر. وهذا مشاهد. سيما إذا وقع شقاق بين الوالدين.

٣٢١٨. تفيد أن الإحسان يجب أن يقابل بالإحسان، فلما أحسن الآباء على الأبناء يجب على الأبناء الإحسان إلى الآباء وهكذا.

٣٢١٩. تفيد الآيتان أن الآباء يرزقون بالأبناء والأبناء يرزقون بالآباء، في آية أخرى قال: "نحن نرزقهم وإياكم".

٣٢٢٠. لما كان حامل الآباء على إرادة قتل أولادهم هو الفقر والحاجة الواقعة حالاً، طمّنهم بأن رزقهم ورزق أولادهم عليه ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، ولما كان حامل الآباء على إرادة قتل أولادهم هو خشية الفقر وحاجة الأولاد مستقبلا، طمّنهم بأن قدّم رزق أولادهم ورزقهم عليه سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]؛ فدفع المخوف أولاً في كلا الحالتين ثم التابع.

٣٢٢١. فيها: دلالة قوية وظاهرة، على أن الأولاد سبب في سعة الرزق؛ لقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ من عدم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. وفي الحديث: إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤنة.

٣٢٢٢. فيها بشارة لمن أصابه الفقر بأن الله عز وجل سيرزقه هو وأولاده فعليه أن يتحلى بالصبر حتى يأتي الله برزقه.

٣٢٢٣. فيها الأمر بالصبر عند الفقر وعدم ارتكاب المعاصي بسببه؛ لقوله: « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » قال تعالى: «والصابرين في البأساء » وهي الفقر.

٣٢٢٤. تفيد أن كل مولود يأتي برزقه ولا يأخذ من رزق والديه شيئا.

٣٢٢٥. تفيد كمال ربوبية الله تعالى لخلقه حيث تولى رزقهم جميعا، وهذا يستلزم كمال علمه وقدرته وغناه وفقر العالمين إليه جل وعلا.

٣٢٢٦. تفيد رحمة الله بعباده حيث أوصى الوالد بولده مع أن عاطفة الأبوة تمنع ذلك في العادة والفطر المستقيمة.

٣٢٢٧. تفيد: بأن الذرية نعمة من الله، وقتلها حجود وكفران لنعمته. وقد قيل: "الإنسان هدية الله إلى الأرض، ملعون من رفضها". وخير منه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾[الأعراف: ٨٦]. وعليه: ففيها: رد مفحم على المنادين بتحديد النسل.

٣٢٢٨. تفيد أن نعمة الأولاد شكر الله تعالى عليها يكون بالحفاظ عليهم وحسن تربيتهم.

٣٢٢٩. تفيد أن كثرة الأولاد من أسباب سعة الرزق؛ لقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الإسراء: ٣١].

٣٢٣٠. فيها: رد مفحم على الذين يزعمون بأن كثرة الشعوب سبب في انتشار الفقر، والسبب الحقيقي للفقر هو: الإشراك بالله وانتهاك المحارم وترك الاستغفار ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[المنافقين:٨].

٣٢٣١. فيها أن الزواج وطلب الولد من أسباب سعة الرزق ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ فبكثرة الولد يكثر الرزق بخلاف ما عليه أهل الجاهلية القديمة والحديثة.

٣٢٣٢. لما أوصى بالآباء وبالوالدين عقب بالوصية بالأبناء ولا تقتلوا.

٣٢٣٣. تفيد أثر الفقر على أخلاق البشر إذا فقدوا الإيمان ونور الوحي.

٣٢٣٤. تفيد أنه لا عبرة بمفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾. إذ لا يجوز قتل الاولاد من إملاق ومن غير إملاق؛ ولكن النص القرآني نزل على وفق الواقع المعروف في ذلك الزمن.

٣٢٣٥. تفيد أن كل رزق من الله تعالى، هو الذي يقدره ويوصله لعباده.

٣٢٣٦. تفيد تحريم قتل الولد بسبب أو بغير سبب وما أكثره اليوم بعد تطور وسائل الاجهاض.

٣٢٣٧. فيها: جواز إطلاق لفظ الولد على الأنثى، وأن الولد يشمل الذكور والإناث؛ ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم﴾، وقد كانوا يقتلون الإناث كما هو معروف.

٣٢٣٨. تفيد: وصية الشرع بالأبناء والحفاظ عليهم؛ فإذا كان الشرع أوصى بالوالدين إحسانا، فحذر الآباء من قتل الأولاد؛ فالشريعة تنظر إلى مصلحة جميع الأطراف.

٣٢٣٩. تفيد: أن الشريعة لا تنظر لمصلحة طرف دون آخر، لأنه نهى عن قتل الأولاد، ثم نهى عن قتل غيرهم من الأنفس المعصومة؛ وإن كان خص النهي عن قتل الأولاد لانتشاره، فأيضا كان القتل فيهم كثيرا لعرض دنيوي؛ كما قال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا*حنانيك بعض الشر أهون من بعض.

٣٢٤٠. فيها تحريم الفاحشة ما ظهر منها وما بطن.

٣٢٤١. فيها: اعتناء الشرع بظاهر العبد وباطنه.

٣٢٤٢. فيها: النهي عن الجهر بالمعصية، والنهي عن إتيانها سرا كذلك.

٣٢٤٣. فيها: إشارة إلى الاختلاء بالجوالات وغيرها لمطالعة ما حرم الله؛ لأن ما يبث فيها من خبث من جملة الفواحش التي نهى أن نقربها سرا؛ ولعموم قوله: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾.

٣٢٤٤. فيها بيان أن النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة اليها.

٣٢٤٥. تفيد: التحذير من الاقتراب من المحرم، ووجوب بذل الأسباب المعينة على ذلك؛ فما لا يتم الواجب إلى به فهو واجب.

٣٢٤٦. فيها أن النهي عن قرب الفواحش أبلغ من النهي عن اتيانها، ليعم القرب الأسباب المفضية إلى الفواحش أيضاً.

٣٢٤٧. تفيد: قاعدة: سد الذرائع؛ لقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾، وكم ممن تطلع وقارب فعطب ووقع.

٣٢٤٨. تفيد: أن من الحرام ما هو محرم لذاته؛ ومنه ما هو محرم لغيره لقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾.

٣٢٤٩. فيها: رد على المشركين، الذين زعموا أن الله لا يعلم ما يسرون.

٣٢٥٠. فيها المحافظة على طهارة المجتمع بالبعد عن قربان الفواحش الظاهرة والباطنة.

٣٢٥١. تفيد أن كمال ترك المعاصي أن يترك العبد المعصية في الظاهر والباطن، وتركه لها في الباطن دليل عبودية.

٣٢٥٢. تفيد: الحديث الذي فيه: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني حليلة جارك». رواه مسلم.

٣٢٥٣. تفيد أهمية ترتيب الأولويات في الأمر والنهي، فبدأ الله تعالى الوصية بحقه فهو أجل الحقوق لأنه الخالق، ثم بالإحسان لمن كانا سببا في الوجود، ثم النهي عن قتل أقرب النفوس إلى الوالدين وهم الأولاد، ثم نهى عن الفواحش التي يفسد بها الفراش وقد ينتج عنها قتل أولاد السفاح، ثم النهي عن قتل الأنفس الأخرى. فحثت الوصية على الحياة الكريمة للإنسان القائمة على حياة الإيمان والإحسان للإنسان.

٣٢٥٤. تفيد أن التحلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل.

٣٢٥٥. تفيد خطورة قتل النفس وهي من كبائر الذنوب.

٣٢٥٦. إعادة ذكر تحريم قتل النفس بغير الحق ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ مع دخوله في التحريم العام في أول السورة.

٣٢٥٧. ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ فيه دلالة على تعظيم حرمة الدماء التي تساهل فيها كثير من الناس.

٣٢٥٨. تفيد: دقة التعبير القرآني، حيث نهى عن قتل النفس إلا بالحق؛ لعلمه سبحانه أن ثم أنفس لا يليق بها الإفناء والعدم ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾.

٣٢٥٩. فيها: رد على دعاة حقوق الإنسان – زعموا –، الذين لا يقتلون النفس بالنفس. فبحق كما قال ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، فهؤلاء لا يعقلون.

٣٢٦٠. دل اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الذي يشار به للبعيد مع قرب ذكر التوجيهات على علو قدر تلكم التوجيهات في الشرع.

٣٢٦١. فيها: عناية الله بخلقه، وأنه لم يتركهم سدى؛ وأنه يوصيهم بالخير وما فيه سعادتهم في الدارين، وينهاهم عن ضد ذلك؛ ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾.

٣٢٦٢. تفيد رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بعباده حيث يوصيهم بما ينفعهم.

٣٢٦٣. فيها أهمية الوصايا في التربية.

٣٢٦٤. فيها أن كمال العقل باجتناب هذه المحرمات الخمس.

٣٢٦٥. تفيد: أن أهل العقول الصحيحة، هم الذي عملوا بوصايا الله، وأن الكافرين لا يعقلون.

٣٢٦٦. فيها: أن من كمال العقل فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

٣٢٦٧. تفيد دور ومكانة العقل في قيام العبد بما أمر الله به.

٣٢٦٨. فيها إشارة إلى: نعمة العقل؛ ولأن المجنون يخرج من هذا الخطاب. فلله الحمد على ما أنعم.

٣٢٦٩. دل ختم الآية الكريمة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ على معيار من معايير القرآن التي يعرف بها عقل الإنسان من عدمه. فمن التزم بتوجيهات الوصية فهو عاقل، ومن خالف ينقص من عقله بحسب ما أنقص من تلكم التوجيهات. والله أعلم.

٣٢٧٠. دل ختم الآية على أن التعقل يمكن أن يكتسب﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

٣٢٧١. دل ختم الآية على أن القرآن يرشد المؤمنين أن يتحلوا بسلوك العقلاء، ويحثهم ويشوقهم لذلك.

٣٢٧٢. دل الفعل المضارع ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ على التزام العقل في الحاضر والمستقبل، والديمومة على ذلك.

٣٢٧٣. دل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ على منزلة العقل في الدلالة على اتباع الهدى، وأن آيات الوحي جاءت لحفزه وإثارته للاتباع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

٣٢٧٤. تفيد دقة المناسبة بين آيات الوصايا العشر فلما كانت الآيات السابقة في صيانة الدين وصيانة الدماء وصيانة الأعراض جاءت هذه الآية في صيانة الأموال ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

٣٢٧٥. فيها حرص الإسلام على تكوين مجتمع مثالي بتطبيقه لهذه التوجيهات الإلهية في تعامله فلا تعدي على مال اليتيم، ولا تطفيف في الكيل والوزن، ولا جور في الأقوال والأحكام، ولا نكث في العهود.

٣٢٧٦. تفيد الآية أربعة أمور مهمة:

الأول: التشديد في مال اليتيم.

الثاني: الأمر بالعدل في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء وترك البخس أي في الأفعال والمعاملات.

الثالث: الأمر بالعدل في الحكم والشهادة أي بالعدل في القول.

الرابع: الأمر بالوفاء بكل ما عهده الله إلى عباده من أمر ونهي.

٣٢٧٧. في الآية عناية واضحة بحقوق الناس لا سيما الضعفاء منهم كاليتامى.

٣٢٧٨. فيها: الاهتمام بشأن اليتيم وماله.

٣٢٧٩. فيها: في قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ﴾ تحذير الأولياء من أكل مال اليتيم بما يضره.

٣٢٨٠. تفيد تحريم مقاربة مال اليتيم وإتيانه والأشد حرمة أخذه، فإن المولى عز وجل إذا نهى عن مقاربة الشيء فالنهي عن إتيانه أشد وأعظم عند الله.

٣٢٨١. فيها: خطورة الاعتداء على مال اليتيم.

٣٢٨٢. فيها: وجوب التصرف بمال اليتيم بما ينفعه ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: كل ولي على شيء يجب عليه ألا يتصرف إلا بما هو أحسن.

٣٢٨٣. تفيد النهي عن التصرف في مال اليتيم بوجه يضره.

٣٢٨٤. فيها: المقصود بـ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ أي: رشده، فإذا أحسن اليتيم التصرف وجب دفع ماله إليه.

٣٢٨٥. فيها لا يتم بعد البلوغ؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وثبت في الحديث: " لا يتم بعد احتلام".

٣٢٨٦. تفيد الحجر على الصغير في ماله بإقامة ولي عليه يتصرف فيه بالأحسن.

٣٢٨٧. تفيد ثبوت الولاية على أموال اليتامى حتى يبلغوا ويرشدوا.

٣٢٨٨. تفيد منع تسليم اليتيم ماله لأن تسليمه ليس بالأحسن، لأنه لا يحسن التصرف.

٣٢٨٩. يفيد عدم اشتراط البلوغ دلالة على أنه بعد البلوغ يجوز أن يحفظ عليه ماله إذا لم يكن مأنوس الرشد ولا يدفعه إليه.

٣٢٩٠. تفيد وجوب وفاء الكيل والوزن.

٣٢٩١. تفيد أن كل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم.

٣٢٩٢. في الآية ما يشير لفهم الحديث: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" وكأنه يقول: فبروا الآباء، ولا تنسوا اليتيم الذي حرم الأب وقد يبتلى بفقد أمه كذلك. فلعل هذا من بعض أسرار ذكر اليتيم عقب المذكور سلفا، فإن قيل: نهى الآباء عن قتل الأبناء فأين من ليس له أب أصلا؟، فقد ذكر الله بأمور عظام وجسام، وكأنه يقول: ونخص هذا الضعيف بالذكر والوصية به، فجعل الوصية بماله الذي هو عصب حياته وجبرانه، فاتحة الآية فالكل تحت رعايته وربوبيته، فهي مربيهم – جل ذكره –، ألا ترى أنه عاتب نبيا على قتل أمة من النمل!، فلن يشغله شيء عن شيء.

٣٢٩٣. تفيد كمال رحمة الله بعنايته بذوي القصور والنقص والضعف.

٣٢٩٤. فيها التوجيه إلى تنمية مال اليتيم وتثميره.

٣٢٩٥. فيها فضل الشريعة الإسلامية في حثها على الإحسان إلى الضعفاء كاليتيم.

٣٢٩٦. فيها عظم حرمة مال اليتيم لقوله: «ولا تقربوا مال اليتيم» «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا».

٣٢٩٧. تفيد: دقة التعبير القرآني، لقوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ لأنه قد يقترب منه ويباشره لينمي له المال؛ كي لا تأكله الصدقة؛ ولأنه قد يحتاج إلى الطعام ولا يجد إلا هذا المال، فله الاقتراب منه ومباشرته بالمعروف، ولأنه الساعي والقائم على اليتيم، فأشبه بالناظر على الوقف.

٣٢٩٨. فيها: أن الأصل في مال الناس، الحرمة والمشاحة.

٣٢٩٩. تفيد كلمة القسط وهو عين الوفاء بالكيل والميزان أن الله لما أمر المعطي بإيفاء ذي الحق حقه من غير نقصان، أمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة.

٣٣٠٠. فيها رحمة الله عزوجل وكريم لطفه بعباده حيث لا يكلف فوق الطاقة والوسع ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾.

٣٣٠١. تفيد: قاعدة: لا تكليف إلا بمقدور.

٣٣٠٢. فيها: رد على الجبرية، لنهيه عن الاقتراب، ونفى التكليف بما هو فوق الطاقة.

٣٣٠٣. تفيد أن ما يخرج عن طاقة العبد لا يؤاخذ به.

٣٣٠٤. فيها: بيان خطر الكلام والشهادة؛ فقد يحق بكلامه لمن ليس له حق، والعكس.

٣٣٠٥. تفيد: وجوب العدل، حتى في الكلام.

٣٣٠٦. تفيد: أنه لا يخشى في الحق لومة لائم.

٣٣٠٧. يفيد التعليق بأداة الشرط ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ فيه إشارة إلى أن المرء في سعة من السكوت إن خشي قول العدل، وأما أن يقول الجور والظلم والباطل فليس له سبيل إلى ذلك، والكذب كله من القول بغير العدل.

٣٣٠٨. تفيد وجوب العدل في كل قول؛ والقول أحق أن يحفظ فيه العدالة من الفعل؛ لأنه به تظهر الحكمة من السفه، والحق من الباطل.

٣٣٠٩. تفيد: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ التنبيه على ما يُنقل في وسائل الإعلام وقنوات التواصل من تهويل للإخبار ونقلها بغير حقيقتها لغرض من الأغراض.

٣٣١٠. فيها: وجوب الوفاء بالعهد، ولأمره: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.

٣٣١١. تفيد وجوب الوفاء بعهد الله تعالى، سواءٌ فيما بين العبد وربّه كالنذر، أو فيما بينه وبين الناس.

٣٣١٢. يفيد الأمر بالإيفاء إشارة واهتماما به لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء لا إلى جانب ترك التنقيص، وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتمادحون به.

٣٣١٣. فيها: عناية الله بعباده، وأنه لم يتركهم سدى وهملا.

٣٣١٤. تفيد: أن تعليم الأحكام، وفقه الحلال والحرام، من أجل المواعظ؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون. وعليه: فليحرص الدعاة إلى الله، أن يفقهوا الناس ويعلموهم الحلال والحرام.

٣٣١٥. تفيد أن الله لما ختم هذه الوصايا بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إشارة إلى أن هذه الأمور الأربعة خفية غامضة لا بد فيها من الاجتهاد والذكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال فختمت بذلك.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

٣٣١٦. فيها مع ما قبلها أن من عمل بهذه الوصايا الإلهية صار من المتقين.

٣٣١٧. تفيد التحذير من البدع وأهلها، وقد صوّر النبي ﷺ معنى هذه الآية أجمل تصوير حين خط خطا بيده، ثم قال: " هذا صراط الله مستقيما " وخط على يمينه وشماله، ثم قال: " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. يشير الصراط المستقيم إلى أنّ الإسلام دين الوسطية والاعتدال وأنّ ما عداه فهي سبل منحرفة بين إفراط وتفريط..

٣٣١٨. فيها بيان أن صراط الله الموصل إليه وإلى دار كرامته واحد.

٣٣١٩. فيها الإشارة إلى أن من ثبت على هذا الصراط واتبعه ثبته الله على صراط يوم القيامة وأنجاه، ومن تخطفته عنه سبل الهلاك هنا تخطفته كلاليب النار هناك.

٣٣٢٠. فيها شرف الصراط؛ لأن الله عز وجل نسبه إليه «صراطي». والإشارة إليه ب «هذا» تدل على قربه وسهولته وإيصاله إلى المطلوب بسرعة ويسر.

٣٣٢١. تفيد أهمية بيان حقيقة الشيء وتوصيفه قبل الأمر به، أو النهي عن ضده، فإن الله عز وجل بين ماهية الصراط ووصفه، فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ ثم بعد ذلك أمر باتباعه، فقال: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ ثم نهى عن ضده فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾.

٣٣٢٢. فيها الإجابة على سؤال ما هو صراط الله المستقيم؟

٣٣٢٣. تفيد فضل الصراط وأنه مستقيم لا اعوجاج فيه، أما طرق الضلال فهي معوجة قصيرة تؤدي إلى الهلاك..

٣٣٢٤. تفيد أهمية استخدام استراتيجية أسلوب "افعل ولا تفعل"، وهو من أنفع الأساليب في التحصيل والتربية، وتنمية الفاعلية الذاتية للفرد، ولهذا ينبغي للعلماء والدعاة والمربين والمصلحين استخدام هذا الأسلوب، وخصوصا في سياق بيان الأمور التي قد يحصل فيها تهاون وتكاسل من الفرد، فإن الله عز وجل عندما أمر باتباع الصراط المستقيم كان مفهوما أنه نهى عن اتباع السبل الأخرى، إلا أنه استخدم في خطابه أسلوب "افعل ولا تفعل"، ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾، مما يدل على أهمية هذا الأسلوب في الخطاب.

٣٣٢٥. تفيد وجوب الاتباع وترك الابتداع؛ لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

٣٣٢٦. تدل على أن الاتباع وترك الابتداع من علامات التقوى.

٣٣٢٧. تفيد أن من تقوى الله عز وجل ترك البدع واتباع السنة.

٣٣٢٨. تفيد: أن التقوى الحق والصلاح، في الإتباع؛ فلذا لا يقبل من أهل البدع بدعتهم، ولو كانوا من أعبد الناس؛ وما الخوارج عنا ببعيد. وكذا المتصوفة، نقول لهم: لا خير في صلاحكم إذا كان ناتجا عن بدعة. وهذا من أسرار تذييلها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

٣٣٢٩. فيها ذم الفرقة والاختلاف والسبل المؤدية الى ذلك.

٣٣٣٠. فيها بيان أن الطرق المخالفة لصراط الله كثيرة ومتشعبة توصل إلى التفرق والضلال والهلاك.

٣٣٣١. فيها أن المناهج الفكرية والعقائدية متعددة، وأن الصراع بين الخير والشر باق.

٣٣٣٢. فيها أن المسلم عليه أن يحذر طرق الشيطان.

٣٣٣٣. تفيد أن من مفاسد البدع التفرق والاختلاف؛ لقوله: «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم». وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرق بسبب البدع والأهواء تصل إلى ثلاث وسبعين فرقة

كلها في النار إلا واحدة وهي التي تمسكت بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح؛ لقوله لما سئل عن الفرقة الناجية: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي.

٣٣٣٤. تفيد أن اجتماع الأمة ليتم ويتحقق لابد من جمعهم على الكتاب والسنة، وأن محاولة جمع الناس على غير المنهج الحق سوف يؤدي إلى مزيد من التفرق والاختلاف.

٣٣٣٥. فيها بيان أن من عمل بأمر واتبع صراطه المستقيم صار من المتقين.

٣٣٣٦. فيها بيان أن التوفيق بيد الله عز وجل وأنه سبحانه هو المعين لمن سلك صراطه المستقيم.

٣٣٣٧. فيها بيان أن التمسك بدين الله والثبات عليه حتى الموت فيه النجاة من عذاب الله والأمن من الخزي في الدنيا والآخرة.

٣٣٣٨. في ختام السورة: أفرد الصراط وعدّد السبل، وفي أولها وحّد النور وجمع الظلمات في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام: ١] فناسب آخرها أولها، وفيها إشارة إلى أن الحق واحد والباطل متعدد، والمؤمنون يتوجهون لإله واحد، ويسلكون منهجا واحدا، وأهل الشرك يتبعون بواطل متعددة على طرق متخالفة.

٣٣٣٩. فيها دقة المناسبة بين خاتمة هذه الآيات الثلاث (تعقلون... تذكرون... تتقون):(لأنهم إذا عقلوا تذكروا فإذا تذكروا خافوا واتقوا) ذكره ابن عطية في تفسيره.

٣٣٤٠. تفيد: خاتمة الوصايا - العشر - بالتقوى، ليبين أن الغاية من الأمر والنهي هي: تقوى الله عز وجل؛ بتوحيده وترك المحرمات، ونظيره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣].

٣٣٤١. فيها إشارة إلى: عظم شأن "التقوى وأهميتها. ومما يدلك على ذلك، أن الميت يتمنى الرجوع إلى الدنيا ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[الزمر: ٥٧]، يتمنى أن يرد ليكون من

المتقين. ومما يدلك أيضا، أن الله ما أمر بالتزود من شيء إلا منها، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧].

٣٣٤٢. جمعت هذه الوصايا الضروريات الخمس التي جاء الدين بحفظها.. الدين والنفس والعقل والمال والعرض، وجمعت وصايا شملت جوانب الإيمان والعبادات والمعاملات بخمس أوامر وخمس نواه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]

٣٣٤٣. تفيد: أن الكتب المنزلة كلها تدل وتأمر باتباع صراط الله المستقيم. وعليه: ففيها مناسبة لما قبلها.

٣٣٤٤. تفيد تعظيم الله عز وجل؛ لقوله: «آتينا» بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والكبرياء.

٣٣٤٥. تفيد أن إيتاء الكتاب من أعظم النعم على العباد وهو من رحمة الله سبحانه وتعالى وإحسانه لعباده.

٣٣٤٦. تفيد الآية بطريق الإشارة إلى عظيم مكانة النبي ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام إذ لم يناديه باسمه.

٣٣٤٧. فيها: أن النبوة محض فضل وإعطاء من الله، لقوله: ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ولم يذكر ما سبب إعطائه الكتاب.

٣٣٤٨. فيها: الايمان بنبوة – موسى عليه السلام –، وبالتوراة.

٣٣٤٩. تفيد فضل التوراة وأنها من أعظم كتب الله عز وجل؛ لقوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً﴾ وتذكر مع القرآن في كتاب الله عز وجل، وقد جاء بعد هذه الآية: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ١٥٥].

٣٣٥٠. تفيد أن كلام الله وسائر فعله مبناه على التمام لا على النقص.

٣٣٥١. فيها رحمه الله بعباده فأنزل لهم كتبا تامة ترسم لهم طريق الهداية.

٣٣٥٢. تفيد: أن أعظم النعم التي ينعم الله بها على عباده، إنزال الكتب؛ التي تدل عليه وتعلم أوامره ونواهيه.

٣٣٥٣. فيها: رد وذكرى وموعظة وعبرة للناس كافة، والمشرعين من دون الله خاصة؛ نقول لهم: أنتم سبب شقاء الأمم؛ فالعمل بالكتاب رحمة وهدى ونعمة؛ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾[المائدة: ٦٦]، فما بالكم بالعمل بالقرآن الذي هو مهيمن عليهما؟ فما أحوج العالم لكتاب الله والعمل به.

٣٣٥٤. تفيد فضل الإحسان والمحسنين.

٣٣٥٥. فيها أن كتب الله عز وجل مفصلة مبينة، وقد قال تعالى عن القرآن: «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير».

٣٣٥٦. تفيد: أن كتب الله، مبنية على التفصيل والبيان، بخلاف الكتب المحرفة؛ كما قال: ﴿وَكُلَّ شَىۡءٍ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلًا﴾[الإسراء: ١٢] في القرآن وسائر الكتب. كما قال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[يونس: ٣٧].

٣٣٥٧. في تقديم التفصيل على الهدى والرحمة إشارة إلى أنه سبب في تحقق كل منهما.

٣٣٥٨. تفيد أن الرحمة تكون بعد الهداية، إذ الرحمة هي نتيجة الهداية ومحصلتها.

٣٣٥٩. منهاج الله تعالى وشرعه فيه الهدى والخير والرحمة للناس؛ لأنه من الله تعالى العليم بجميع شؤونهم وما به صلاحهم وفلاحهم.

٣٣٦٠. تفيد: أن الإعراض عن كتب الله، شقاء وضلال وسبب في العذاب؛ لقوله: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾، ونظيره: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[القصص: ٨٦]. وتصديقه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٤].

٣٣٦١. فيها إثبات لقاء الله عز وجل، وفي ضمن ذلك التنبيه على الاستعداد لهذا اللقاء؛ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ؛ قال السعدي: ﴿لَّعَلَّهُم﴾ بسبب إنزالنا الكتاب والبينات عليهم ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ فإنه اشتمل من الأدلة القاطعة على البعث والجزاء بالأعمال، ما يوجب لهم الإيمان بلقاء ربهم والاستعداد له.

٣٣٦٢. تفيد: أن الأمور الغيبية، لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الكتب؛ لقوله: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

٣٣٦٣. تفيد: الاستعداد للقاء الله، بالعمل بالتنزيل. قال ابن القيم: ومن أبلغ ما تحصل به الاستقامة صدق التأهب للقاء الله. (طريق الهجرتين). وما أجمل كلام ابن القيم هذا لإن المسلم الصادق إذا قوي يقينه بلقاء الله عزوجل أصلح حاله وأخلص وأتقن العمل وجد في السير وحث الخطى فتحصل له بهذه الأمور جميعا حسن الاستقامة رزقنا الله جميعا حسنها.

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

٣٣٦٤. فيها: تشريف للنبي ﷺ وأمته؛ وكأنه يقول: وإن كنت أعطيت الكتاب موسى مفصلا، فقد أعطيتك وأمتك كتابا مباركا؛ فيه ما ليس في غيره من الكتب. وعليه ففيها: مناسبة لما قبلها.

٣٣٦٥. الإشارة إليه بإشارة القريب «هذا» تفيد قرب بركاته وخيراته ممن اتبعه، وقرب فهمه ومعرفة هداياته؛ «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر».

٣٣٦٦. فيها التأكيد على تميز هذا الكتاب وهيمنته على الكتب قبله ولذا تكرر في هذه السورة أن الله تعالى قرن ما بين الكتابين. كتاب موسى وهذا الكتاب. فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١] ثم قال بعدها: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ﴾ [الأنعام: ٩٢] وهنا قال في الآية السابقه: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ثم قال بعدها هنا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾. ولعل ثمة مناسبه بين الوصايا العشر التي هي من الدين المشترك بين سائر الأنبياء. وبين تأكيد الصلة بين أعظم كتابين أنزلهما الله تعالى لهداية العباد.

٣٣٦٧. تفيد آية من آيات النبوة في تسميته كتابا أي سيجمع ويكون كتابا مع أن هذه السورة مكية بالإجماع.

٣٣٦٨. تفيد ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ علو شأنه ونزوله من العلي الغفار.

٣٣٦٩. تفيد تعظيم الباري جل وعلا؛ لقوله: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ بصيغة الجمع.

٣٣٧٠. تفيد عظمة القرآن المنزل من عنده وبركته وهداه.

٣٣٧١. تفيد عناية الله تعالى بخلقه من خلال توالي أنزال كتبه المباركة الهادية عليهم.

٣٣٧٢. هنا قدم إنزال الكتاب على البركة؛ لأن الإنكار متعلق بإنزال الكتاب، عندما قال المنكرون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

٣٣٧٣. فيها: أنه لم يخلق الخلق سدى، ولذا قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٩١].

٣٣٧٤. تفيد إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى لأن النزول لا يكون إلا من علو.

٣٣٧٥. تفيد أن من أراد الحصول على رحمة الله فعليه بالقرآن، ومن أراد البركة في جميع أموره فعليه بالقرآن، بتحقيق التقوى والتزام الاتباع.

٣٣٧٦. فيها أن القرآن كثير البركة وهي تشمل المنافع الدينية والدنيوية.

٣٣٧٧. فيها قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ جاءت نكرة فتفيد كثرة بركات القرآن الكريم وتنوعها.

٣٣٧٨. تفيد أن القرآن أَكْثَر نَفْعًا مِنَ التَّوْراةِ دِينًا ودُنْيا من خلال وصفه أنه مبارك أي كثير الخير والنفع بما لا يحده وصف.

٣٣٧٩. تفيد الآية الكريمة أن البركة التي حواها القرآن الكريم لا حدود لها حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكر هم الله فيمن عنده". رواه مسلم.

٣٣٨٠. تفيد: أن الإعراض عن القرآن، سبب في محق البركات؛ فليعتبر بذلك أهل كل زمان.

٣٣٨١. فيها: الأمر باتباع القرآن، والنهي عن ضد ذلك.

٣٣٨٢. تفيد وجوب اتباع القرآن والسنة؛ لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾، وقال تعالى: «اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم».

٣٣٨٣. تفيد ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ دَلالَةٌ عَلى وُجُوبِ تَعَلُّمِ القُرْآنِ لِيُمْكِنَ الاتِّباعُ لَهُ؛ لَكِنْ هو كَسائِرِ العُلُومِ فَرْضُ كِفايَةٍ إلّا ما يَتَعَيَّنُ عَلى كُلِّ مُكَلَّفٍ، كَتَعَلُّمِ ما لا تَصِحُّ الصَّلاةُ إلّا بِهِ، فَإنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ.

٣٣٨٤. تفيد بمجموعها الترغيب في اتباع القرآن حيث بينت أنه من عند الله، وأنه مبارك، واتباعه واجب، ويؤدي اتباعه لتحقق الرحمة.

٣٣٨٥. فيها أن الأمر بالاتباع بعد الوصف بالإنزال من عند الله، والبركة مشعر بأن الاتباع لازم ومتحتم لمن هذا وصفه وهذه منزلته وأن اتقاء مخالفته متعين أيضا فلا تليق مخالفته.

٣٣٨٦. تفيد: دقة التعبير القرآني، لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ فأمر باتباعه ليعلم أنه مبارك لمن اتبعه، وإلا فهو ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وتصديقه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ

هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾، ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ ﴾.

٣٣٨٧. تفيد: أن التقوى، لا تتحقق ولا تكون إلا عن اتباع للقرآن والسنة.

٣٣٨٨. تفيد الأمر بتقوى الله عز وجل وأنها من أسباب الرحمة ونيل بركات القرآن. وقد ارتبط القرآن وهداياته بالمتقين من أول آياته؛ «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين».

٣٣٨٩. فيها: وصية الله ب "التقوى"؛ قال الله: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾[النساء: ١٣١].

٣٣٩٠. تفيد: أن كلمة "لعل" هنا للتحقيق.

٣٣٩١. تفيد أن أكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب قولا وعملا.

٣٣٩٢. تفيد أن الرحمة تتحقق من خلال اتباع القرآن والعمل بهديه للفرد والجماعة.

٣٣٩٣. تفيد: أن العمل الصالح يجلب رحمة الله، والعكس. وفي الحديث: "أسالك موجبات رحمتك"، وتصديقه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

٣٣٩٤. فيها: رد على المضيعين، الذين ينتهكون الحرمات ثم يقولون: ربنا رحيم، فتقول: قلتم حقا، لكن للرحمة موجبات.

٣٣٩٥. فيها: عظيم شأن الرحمة؛ فيجب السعي إليها؛ تحقيقا للفوز والسعادة وليصرف العذاب؛ وتصديقه: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾.

٣٣٩٦. فيها: عناية الله بخلقه، حيث أنزل عليهم ما يوجب رحمته لهم، وسعادتهم في الدارين.

٣٣٩٧. تفيد أن أكبر سبب لنيل رحمة الله: اتباع هذا الكتاب، علما وعملا؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾. قال السعدي: ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن العظيم، والذكر الحكيم. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ أي: فيه الخير الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما

من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة.

٣٣٩٨. تفيد إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى، والرد على المعطلة من الأشاعرة وغيرهم.

٣٣٩٩. تفيد: أن كتب الله، تتفاضل.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]

٣٤٠٠. فيها من جمال التعبير القرآني ذكر اللفظ الذي يحتمل معنيين أو أكثر (أن تقولوا) لئلا تقولوا أو كراهة أن تقولوا أو حتى لا تقولوا.

٣٤٠١. فيها الدعوة إلى التماس الأعذار للناس قبل إقامة الحجة عليهم أو سماع مستندهم فإذا قامت الحجة فلا يسمع لهم فيعتذرون.

٣٤٠٢. في حذف فاعل الإنزال (أنزل الكتاب) جواز حذف ما يعلم بداهة إذا لم يكن مقصودا بالمعنى أصالة إذ المقصود هنا الدلالة على فعلهم القبيح وهو عدم العمل بمقتضى ما في الكتاب مع أنه نازل من علو أي من مظنة العلو والرفعة والتسامي (أنزل) وفي ذلك من الإنكار عليهم مع قطع العذر عنهم ما لا يخفى قوة ودقة وبلاغة وحسنا.

٣٤٠٣. فيها أن اللسان هو آلة التعبير عما في القلب.

٣٤٠٤. فيها أن التعبير بالأسماء المشتقة يفيد عموم معنى الاسم المشتق (الكتاب) فهو قاطع لعذر كل الأمم المكذبة؛ لأنه دال على كل إقامة الحجة في كل الكتب السابقة بوجود البيان فيها.

٣٤٠٥. فيها أن التعبير بالاسم المشتق (الكتاب) للدلالة على صفة غالبة في الاسم لا يمنع وصفه بصفات أخرى فيه تذكر في مواضع أخر يتعلق بكل موضع منها معناها

٣٤٠٦. تفيد أن أعظم طائفتين قبل الإسلام أرسلت إليهم الرسل وأنزلت إليهم الكتب هم اليهود والنصارى.

٣٤٠٧. فيها: عدم التعسف مع المحتج بشيء ما والاستجابة له، والإتيان بما يقطع عذره وحجته.

٣٤٠٨. في التعبير بقوله تعالى (طائفتين) بما تدل عليه من النشاط الواسع الكثير العظيم دلالة على وجود النشاط والدأب وعدم الكسل أو التواني في التعامل مع كتاب الله عز وجل.

٣٤٠٩. في قوله: (طائفتين) ما يشير إلى خصوصية الكتب السابقة.. ويلمح إلى عمومية رسالة الإسلام القرآنية.

٣٤١٠. تفيد: أن المجوس، ليسوا أهل كتاب، أفاده النسفي في المدارك.

٣٤١١. فيها وجوب إقامة الحجة على الكفار والعصاة لقطع العذر عنهم.

٣٤١٢. تفيد: قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

٣٤١٣. تفيد: قوله﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. لأنه لو لم ينزل الكتاب، لاحتجوا بذلك؛ لقوله: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾، وتصديقه: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧]. ولاحتجوا بأنهم لا يفهمون غير العربية، والذي وصلهم بالعبرية.

٣٤١٤. تفيد: قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[الأنعام: ١٤٩].

٣٤١٥. تفيد: قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل". رواه مسلم. وكأنه يقول: قد أنزلت إليكم كتابا، لم ينزل

من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه، ولا أكثر منه بركة. وفيه شرفكم وعزكم فتمسكوا به فاعقلوا ذلك؛ وتصديقه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

٣٤١٦. فيها بلاغة القرآن (الإيجاز) في حذف ما يعلم بداهة إذ الكتاب لم ينزل على طائفتين بل نزل على الرسل والرسل تبلغه لأقوامها.

٣٤١٧. تفيد: أن أهل الأعذار يحتجون يوم القيامة؛ وفي الحديث: "أربعة يحتجون يوم القيامة..."، فذكر الأصم والذي لم تبلغه دعوة الإسلام.

٣٤١٨. فيها الدعوة إلى مدارسة العلم وفهمه ومراجعته حينا بعد حين لا سيما وحي الله تعالى.

٣٤١٩. فيها: أهمية المدارسة، والتي أهمها وأعظمها مدارسة القرآن.

٣٤٢٠. فيه إشارة إلى علمهم على الرغم من عنادهم أن مصدر هذا الكتاب المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هو نفس المصدر الذي جاءت منه الهدايات الأولى التوراة والإنجيل واللفظة الكتاب تشير إلى أن هذه الكتب في أصلها قبل أن ينالها التبديل والتحريف كتاب واحد من رب واحد ولأجل غاية واحدة وان تعددت الأسماء. وهذا ما تؤكده الآية من سورة المائدة. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣٤٢١. فيها ذم الغفلة والانشغال عن القرآن وأنها سبب من أسباب عدم الإيمان أو عدم الاتباع.

٣٤٢٢. تفيد: أن القرآن ناسخ لكل الكتب المنزلة.

٣٤٢٣. فيها: علم الله بالغيب، وبما يكون في المستقبل؛ يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فهو علم ما سيكون من قيلهم يوم القيامة لو لم ينزل عليهم الكتاب.

٣٤٢٤. فيها: رد على غلاة القدرية.

قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]

٣٤٢٥. فيها مع ما قبلها أن من أعظم المنة على العباد؛ الاهتداء والانتفاع بالكتاب.

٣٤٢٦. فيها قطع الحجة والتعلل على المشركين في إنزال الله عز وجل كتابه الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين.

٣٤٢٧. فيها: إثبات صفة العلو للعلي العظيم وفيها: إقرار المشركين بذلك.

٣٤٢٨. في هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين. وأن المعروف أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، [من] اليهود والنصارى، فهم أهل الكتاب عند الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم.

٣٤٢٩. فيها بيانما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم، وغفلتهم عن دراسة كتبهم. السعدي.

٣٤٣٠. قوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تنوين بَيِّنَةٌ للتفخيم، وفي التعرُّضِ لوَصْفِ الربوبيَّة مع الإضافَةِ إلى ضَميرِهم في قوله: رَبِّكُمْ مزيدُ تأكيدٍ لإيجابِ الاتِّباعِ. ينظر: تفسير أبي السعود: (٣/ ٢٠٢).

٣٤٣١. فيها إشارة إلى: حب الله – عز وجل – للعذر، وأنه لا يعذب إلا بعد الحجة والبيان؛ حيث أنزل عليهم الكتاب بلغتهم.

٣٤٣٢. تفيد أن القرآن الكريم فيه البينات الشافية والحجج الكافية؛ لقوله: «فقد جاءكم بينة من ربكم» وقال تعالى: «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

٣٤٣٣. فيها: أن القرآن مبني على البيان والحجج.

٣٤٣٤. فيها الحث على استخراج هدايات القرآن الكريم؛ لأن الله عز وجل وصفه بأنه هدى.

٣٤٣٥. فيها أن الكتاب المنزل هو الهدى والرحمة.

٣٤٣٦. فيها أن كتاب الله عزوجل فيه الهدى والرحمة.

٣٤٣٧. تفيد: أن النبي {رحمة للعالمين}، حيث أن ما أنزل عليه (القرآن) رحمة، وكان خلقه القرآن صلى الله عليه وسلم. فأين المفترين والمشنعين على الإسلام من هذه النصوص؟!

٣٤٣٨. فيها: من أراد البينات والحجج التي تدحض أباطيل الكافرين فعليه بالقرآن الكريم، ومن أراد الهدى والرحمة في الدنيا والآخرة فعليه بالقرآن؛ لقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

٣٤٣٩. تفيد: أهمية الثناء على كتاب الله. فينبغي عند الحديث عن كلام الله، أن نأخذ في الحديث عن بركاته، وهداه ورحمته، وأنه عصمة من الضلال، وأنه سعادة للعبد... إلخ؛ فذلك أجدر أن تقبل عليه النفس؛ فالنفوس جلبت أن تقبل على ما يكثر الحديث والثناء عليه.

٣٤٤٠. تفيد: أن الكتب المحرفة والتي زيد فيها وكتب بأيدي المحرفين، ليست "بينة ولا هدى ولا رحمة"؛ ففيها ما فيها من الضلال والطلاسم والتحريض على الإفساد في الأرض ما لا يخفى.

٣٤٤١. فيها: دقة البيان، وبراعة التعبير؛ حيث وصف القرآن ذاته بأنه هدى؛ لعلمه سبحانه أن من منهم سيكفر بهذا القرآن ولن يكون أهدى منهم كما زعم؛ بل سيكون أضل منهم؛ لحل أكل ذبيحة الكتابي، وحرمتها من المشرك. وكذا في النكاح.

٣٤٤٢. تفيد: أن إيقاع العقوبة، لا تكون إلا بعد قيام الحجة وبيانها ووضوحها؛ ألا ترى أنه قال: "ادرؤوا الحدود بالشبهات"؟

٣٤٤٣. فيها بيان خطورة الإعراض عن آيات الله.

٣٤٤٤. تفيد: أن جحود الحق بعد بيانه ظلم بين.

٣٤٤٥. فيها أن العمل بما في كتاب الله الكريم من أعظم أسباب رحمة الله عز وجل.

٣٤٤٦. فيها أنه لا أحد أعظم ظلما ممن كذب بآيات الله عز وجل وأعرض عنها.

٣٤٤٧. تفيد: أن الظلم، يتفاوت.

٣٤٤٨. تفيد: أن التعريض بالمخالف، يكون أسد وأفضل من التصريح أحيانا؛ لقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أخرجه مخرج الغيبة، والمعني به الحاضر؛ فكأنه يقول: فمن أظلم منكم، إذ أعرضتم عن القرآن بعدما تبين لكم أنه الحق المبين؟، فأنتم أظلم من الطائفتين اللتين زعمتم لو أنزل الكتاب لكنا أهدى منهم؛ لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، أما أنتم: فقد كفرتم به كله!

٣٤٤٩. قوله: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا﴾ فيه: وَضْعُ الموصولِ مَوْضِعَ المضْمَر- حيث لم يَقُلْ: سَنَجْزِيهم- لتَحقيقِ مَناطِ الجَزاءِ. يُنظر: تفسير أبي السعود (٣/٢٠٣).

٣٤٥٠. فيها: أن عذاب الله، هو العذاب الحقيقي؛ لقوله: {سوء العذاب}، فلا عذاب أسوأ منه؛ مما أعده الله للمكذبين بالله وآياته؛ فعند الله ما لا يقادر قدره؛ قال الله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١١-١٣].

٣٤٥١. قولُه: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (كَان) هنا مفيدةٌ لِلاسْتِمرارِ، أي: بِصَدْفِهم وإعراضِهم عن الآياتِ إعراضًا مُستمِرًّا. ينظر: التحرير والتنوير: (٨/ ١٨٣).

٣٤٥٢. فيها بيان أن جزاء الإعراض عن دين الله عز وجل هو العذاب المؤلم في نار جهنم.

٣٤٥٣. تفيد أنه سبحانه يجزي الصادف عن آياته مطلقا- سواء كان مكذبا أو لم يكن- سوء العذاب بما كانوا يصدفون، يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافرا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به. (أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية- درء تعارض العقل والنقل١/٥٦).

٣٤٥٤. فيها: الوعيد للصادِّين غيرهم عن سبيل الله.

٣٤٥٥. فيها: بيان عدل الله، وأنه لا يعذب إلا بجريرة؛ {بما كانوا يصدفون} بسبب كونهم يعرضون.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٣٤٥٦. فيها: مناسبة لما قبلها، وإشارة إلى تعنتهم تجاه الإيمان بالكتاب الذي أنزل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾. وكأنه يقول: فماذا ينتظرون بعد إعراضهم عن الإيمان بالكتاب والعمل بما فيه، أينتظرون أن تنزع الملائكة أرواحهم وهي متلبسة بالكفر؟!

٣٤٥٧. فيها تهديد لأهل الكفر المعاندين للحق الضالين عن الصراط المستقيم.

٣٤٥٨. فيها تهديد شديد ووعيد عظيم لأولئك المشركين المكذبين بأن ما ينتظركم واقع لا محالة.

٣٤٥٩. فيها: أن أسلوب الترهيب نافع لبعض المدعويين.

٣٤٦٠. فيها: مشروعية التهديد.

٣٤٦١. فيها: بعض النفوس من العتو والاستكبار بمكان، وتستعصي على أصحابها فلا تقبل الاتعاظ والاعتبار.

٣٤٦٢. فيها إثبات الملائكة، وأنهم أجسام تأتي وتتحرك، وفي هذا رد على الفلاسفة ونحوهم ممن يقول أن الملائكة هي قوى الخير في النفوس وليست أجساما.

٣٤٦٣. تفيد: أن الملائكة، تأتي وتذهب وتجيء وتضرب وتنزع، وعليه: فلها عقول وتسمع وتبصر، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

٣٤٦٤. فيها إثبات صفة الإتيان لله عز وجل من غير تشبيه له سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين.

٣٤٦٥. فيها: تشريف وتودد من الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم –.

٣٤٦٦. فيها إثبات بعض العلامات التي تدل على قرب الساعة.

٣٤٦٧. فيها أن من بعض علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها.

٣٤٦٨. فيها أهمية السنة في فهم القرآن؛ لأن المقصود بقوله: «بعض آيات ربك» طلوع الشمس من مغربها، كما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه.

٣٤٦٩. فيها ضرورة النظر في مجموع أدلة الكتاب والسنة في استنباط الهدايات القرآنية. وقد جاء في كتاب الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢/٥١٥): في مبحث طرق العلماء في الوصول إلى الهدايات القرآنية: التأمل في مجموع أدلة الكتاب والسنة.

٣٤٧٠. فيها أن طلوع الشمس من مغربها من أعظم الآيات ولذلك خصت بالذكر، وكانت من علامات الساعة الكبرى التي تدل على ابتداء التغير الهائل في نظام هذا الكون.

٣٤٧١. تفيد: أن الآيات بيد الله وحده؛ لقوله: ﴿ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، وتصديقه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

٣٤٧٢. تفيد أن الأنبياء مجرد مبلغين عن الله، فلا يجوز الغلو فيهم.

٣٤٧٣. فيها: رد على المشركين الذين يطلبون من الرسل أن يأتوا بالآيات من قبل أنفسهم؛ وتصديقه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾.

٣٤٧٤. تفيد: أن الترتيب، لا يعني الأفضلية، وهذا أمر هام؛ وجه ذلك: أنه ذكر إتيان الملائكة، ثم ثنى – جل ذكره – بإتيانه المهيب، ثم ثلث بعلامات الساعة.

٣٤٧٥. تفيد: أن أعظم وأنفع شيء يقدمه العبد لنفسه، الإيمان؛ لقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ﴾، وتصديقه: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾}.

٣٤٧٦. تفيد عظم وأهمية الإيمان بالغيب، فإذا ظهرت علامات الساعة لا ينفع إيمان ولا توبة.

٣٤٧٧. فيها المبادرة والمسارعة بالإيمان والتوبة والعمل الصالح قبل أن لا يقبل، وفي الحديث: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم " الحديث رواه مسلم.

٣٤٧٨. تفيد: اغتنام العمر، بعمل الخيرات والطاعات، ومسابقة وقوع الأشراط؛ وفي الحديث: "بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة". رواه مسلم.

٣٤٧٩. تفيد أن العمل من الإيمان؛ لقوله: ﴿أَوْكَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ وهذا من أصول أهل السنة والجماعة.

٣٤٨٠. تفيد: أن الإيمان، شرط في قبول العمل الصالح مهما بلغت منزلته؛ لقوله: ﴿فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، فنص على الإيمان. ولذا لم يقل: "أو كسبت خيرا"؛ وتصديقه: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}.

٣٤٨١. فيها: أن الإيمان يزيد وينقص، ﴿كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾. ففيها: رد على المرجئة.

٣٤٨٢. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿كَسَبَتْ﴾.

٣٤٨٣. فيها: قامت حجج الله على العباد، فماذا ينتظرون!!!

٣٤٨٤. فيها الاستعجال بالتوبة.

٣٤٨٥. فيها: ورد مثيل هذا التحدي في ست مواطن وبصور مختلفة ولكلٍ منها دلالة وأسلوب وسياق..، ويبقى هذا التحدي قائمًا، فكُن موقناً؛﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[الأنعام: ١٥٨]، ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود:١٢٢] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة:٣٠] ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[الأعراف:٧١] ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[يونس:٢٠] ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[يونس:١٠٢].

٣٤٨٦. فيها: مدة الإعذار والإمهال هي مدة ليست بالطويلة بل قصيرة، فلا تُطل الآمال.

٣٤٨٧. فيها: أن أهل الإيمان، ينتظرون موعود الله، ويتنظرون ما يشفي صدورهم من أعدائهم.

٣٤٨٨. فيها: تسلية لمن ظلم في هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

٣٤٨٩. فيها بيان خطر الفرقة في الدين؛ وأنها لا تأتي بخير بل هي الشر كله.

٣٤٩٠. فيها أن اليهود والنصارى هم من أستحدث هذه الفرقة وهي فرقة الدين.

٣٤٩١. فيها تهديد ووعيد للذين فرقوا دينهم.

٣٤٩٢. في قراءة (فارقوا دينهم) دلالة على أن تفريق الدين طريق إلى مفارقته والخروج من حماه ومنعته وفي هذا دليل على أن من فارق الإسلام لا يحتمي بحمى الجماعة ولا يتفيأ ظلالها.

٣٤٩٣. تفيد: العمل بجميع ما في القرآن، وشـرائع الإسـلام، وكما قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾[البقرة: ٢٠٨].

٣٤٩٤. تفيد التحذير من البدع والأهواء وأهلها؛ لأنها من أسباب الفرقة؛ قال مجاهد في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾: هم أهل البدع والشبهات، فهم في أمور مبتدعة في الشرع، مشتبهة في العقل.

٣٤٩٥. فيها تهديد لأهل الفرق المنحرفة، كما في الحديث: "افترقت اليهود... وافترقت النصارى... وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة". قال البقاعي: ﴿فِي شَيۡءٍ﴾: وفي هذا غاية الحث على الاجتماع ونهاية التوعد على الافتراق.

٣٤٩٦. فيها أن الاختلاف واقع لا محالة لكن يجب علينا تضييق مجاريه.

٣٤٩٧. فيها الوعيد الشديد لمن تولى كبر تفريق المسلمين. وإن وحدة المسلمين من أصول الدين.

٣٤٩٨. فيها النهي عن الدعوة إلى العصـــبية والتفرقة وهذه من الكبائر؛ (ليس منا من دعا إلى عصبية).

٣٤٩٩. فيها: التهديد والوعيد لكل من أراد الفرقة وشق الصف.

٣٥٠٠. تفيد: وجوب هجر المبتدعة.

٣٥٠١. فيها: أن الإسلام دين التوحيد والوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: ١٠٣].

٣٥٠٢. فيها أن دين الإســـلام يدعو الى الاجتماع والألفة والمحبة وينهى عن التفرق والتنازع والاختلاف.

٣٥٠٣. فيها: أن الإسلام دين واحد قائم على الكتاب والسنة.

٣٥٠٤. فيها: جمع الناس على الخير مطلب شرعي. والتفرقة بين الناس تورث العداوة والبغضاء.

٣٥٠٥. فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم بريئ ممن فرقوا دينهم قال الله عز وجل: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

٣٥٠٦. فيها برأ الله تعالى نبيه صـلى الله عليه وسـلم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعا. كما نهانا عن التفرق والاختلاف؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران: ١٠٥].

٣٥٠٧. تفيد: عصمة النبي ﷺ، وأن الأنبياء معصومون من الكفر والبدعة، لقوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ، ومحال أن يشهد له ربه، ويعلم منه سوى ذلك - حاشاه ﷺ -.

٣٥٠٨. تفيد: أن الأنبياء يجمعون الناس على كلمة سواء.

٣٥٠٩. تشـير: إلى أن الهداية بيد الله، لا إلى غيره؛ وكما قال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[البقرة: ٢٧٢].

٣٥١٠. تفيد: أن النبي بريء من المبتدع؛ وفي الحديث: فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي. وقال: من رغب عن سنتي فليس مني، وتبرأ منه أيضا.

٣٥١١. فيها: شهادة الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم –، ففيها: بيان فضل الرسول وكرامته على ربه – صلى الله عليه وسلم.

٣٥١٢. فيها: مشروعية الشهادة. وهذا محل إجماع.

٣٥١٣. فيها عناية الله بالعباد؛ لقوله: ﴿دِينَهُمْ﴾ حيث نسب إليهم الدين؛ لأنه أرسل إليهم الرسل به لإصلاحهم وتوحدهم.

٣٥١٤. تفيد: أنه يجب على العبد أن يهتم بدينه وأن يقوم به خير قيام، وأن يبذل له؛ لقوله: ﴿دِينَهُمْ﴾، فأضاف الدين إليهم؛ ولذا لم يقل: "فرقوا الدين". ومن أعظم الاهتمام بالدين، العمل لجمع الناس على التوحيد والعمل بجمع شرائع الإسلام. وإن شئت قلت: جمع الناس على السنة.

٣٥١٥. تفيد: أن أصل الدين واحد، والأهواء شتى؛ وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾؛ ولذا لم يقل: "أديانهم".

٣٥١٦. قوله: ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فيها ما من صاحب فتنة إلا وتبعه أشياع فالحذر من الأفكار الهدامة والآراء الشاذة.

٣٥١٧. تفيد: أن أهل البدعة، شديدو الحب لبدعتهم؛ لقوله: ﴿شِيَعًا﴾؛ وتصديقه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢]. وقيل لابن عيينة: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟، فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة: ٩٣].

٣٥١٨. فيها الدعوة إلى أدب الاختلاف.

٣٥١٩. قوله: إنما أمرهم إلى الله إن إذا اتصلت بما تفيد الحصر والتقيد يعني أمرهم ليس بيد عيسى المخلص أو موسى الكليم إنما هو بيد الله جل جلاله.

٣٥٢٠. فيها: مرد أمر المخالف إلى الله، بعد إقامة الحجة.

٣٥٢١. فيها أن الأمر كله لله عز وجل فهو الذي يتولى جزاءهم ومحاسبتهم إذا ردوا للقيامة.

٣٥٢٢. فيها: علم الله وإحاطته بأفعال العباد.

٣٥٢٣. فيها أن لا يعذب حتى يقيم الحجة ﴿يُنَبِّئُهُم﴾.

٣٥٢٤. فيها: أن الله ينبئ عباده بما يكون منهم، وفي الحديث: أتذكر ذنب كذا؟

٣٥٢٥. فيها الحث على فعل الخيرات وترك المنكرا؛ت لأن الإنسان سوف يسأل عن كل ما فعل؛ ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

٣٥٢٦. فيها حلم الله سبحانه على العباد.

٣٥٢٧. فيها بيان هيمنته وسلطانه بالرجوع إليه.

٣٥٢٨. تفيد: إثبات الحساب والبعث.

٣٥٢٩. فيها: عدم نسيان الوقوف بين يدي جبار السموات والأرض والمحاسبة.

قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

٣٥٣٠. فيها: مناسبة لما قبلها من وجوه: الأول: إثبات الحساب والبعث. الثاني: دعوة للتوبة من التفرق في الدين.

٣٥٣١. فيها مع التي قبلها أن توحيد الكلمة في كلمة التوحيد وأنهما من أعظم حسنات العبد؛ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٣٥٣٢. فيها سعة فضل الله عز وجل.

٣٥٣٣. فيها: بيان عظيم فضل الله على عباده.

٣٥٣٤. فيها الترغيب في عمل الصالحات وترك السيئات.

٣٥٣٥. فيها الإيمان قول وعمل.

٣٥٣٦. فيها لا يجازى الإنسان إلا بما قدم.

٣٥٣٧. فيها: رحمة الله غلبت غضبه.

٣٥٣٨. فيها أن الشرط أسلوب محفز للإقدام أو الإحجام: ترغيبا أو ترهيبا.

٣٥٣٩. تفيد فضل التوحيد وأنه أعظم أسباب مضاعفة الحسنات؛ لما نقل عن كثير من الصحابة والتابعين أنهم قالوا: الحسنة: لا إله إلا الله. وهي كالشجرة الطيبة وفروعها وثمارها الأعمال الصالحة.

٣٥٤٠. فيها: إشارة إلى التوحيد؛ لأنه أصل لزيادة الحسنات؛ ولحديث البطاقة. ألا ترى أنه قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٨١]، فالسيئة الوحيدة التي تأكل كل الحسنات هي: "الشرك".

٣٥٤١. في قوله: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ولم يقل عشر أضعافها؛ لأن المثل مساو للأصل أو قريب منه (بدلالة لفظ مثل في اللغة ودلالته عند البلاغيين باعتبار أن التشبيه والتمثيل إلحاق فرع بأصل في أمر مشترك بينهما)، والضعف في أصل اللغة يبدأ من كونه مساويا للشيء ولا حد لنهايته وأما في العرف فهو قريب في المعنى من المثل: نص على هذا الأزهري في تهذيب اللغة ونقله عنه كثير ممن جاء بعده كابن منظور في لسان العرب والزبيدي في تاج العروس؛ لأن الضعف في الأصل نقص ووهن يحتاج إلى من يتمه ويجبره ؛وإنما يكون هذا الجبر على حسب حجم الضعف وهو مختلف لذلك كان في دلالته اللغوية لا يقف عند حد في نهايته أو لا نهاية له في الكثرة.

٣٥٤٢. التعريف في الحسنة والسيئة فلم يقل (من جاء بحسنة) يفيد بأنها المعهودة المعلومة لدى المخاطبين. فيشير إلى أهمية الوقوف على الأعمال ومعرفة ما هو حسن وما هو سيئ.. وهذا يحتاج إلى الفقه في الدين وتعلم الشريعة.

٣٥٤٣. تفيد: أهمية التوبة في محو السيئات والتخلص منها؛ لقوله: ﴿مَن جَآءَ﴾، فشرط المجيء بها؛ وكأنه يقول: وكان بإمكانه ألا يجيء بها. فيجب على العاقل أن يبادر بالتوبة، وألا يجيء ربه حاملا لهذه السيئات، فالتوبة معروضة. وكما قال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وكان بإمكانه أن يضع هذا الحمل قبل أن يأتي ربه.

٣٥٤٤. فيها إثبات البعث والجزاء؛ لقوله: ﴿مَن جَآءَ﴾ وهذا المجئ يكون يوم القيامة.

٣٥٤٥. فيها: دقة التعبير القرآني، حيث قال: ﴿مَن جَآءَ﴾، لأن الأعمال بالخواتيم، ليخرج منه من عمل حسنة ثم أحبطها بشرك. وكذا في السيئة، ليخرج منها من تاب. كما دل المجيء بالحسنة وثوابها على قبولها، وتحقق شروط العمل الصالح فيها، ودل على المحافظة على هذه الحسنة من آفات الرياء، والعجب المحبطة لها إلى لقاء الله تعالى، كما دل المجيء بالسيئة والعقوبة عليها على عدم التوبة والتنصل منها؛ فالعبد بين نظرين: نظر إلى حسناته بالمحافظة عليها، ونظر إلى سيئاته بالتوبة والتنصل والاعتذار منها. والله أعلم.

٣٥٤٦. دلت الآية المباركة على نوع من أنواع المضاعفة للحسنات وهو عشر أمثالها، وجاء في آية سورة البقرة المضاعفة إلى سبعمائة ضعف قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]، وجاء في السورة نفسها المضاعفة الكثيرة التي لا يعلم قدرها إلا الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٤٥] ومنها قوله تعالى في حسنة الصبر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٣٥٤٧. تفيد الحث على الإكثار من الحسنات، وترك السيئات؛ وقد قال بعض السلف: ويل لمن غلبت وآحاده عشراته.

٣٥٤٨. تفيد إثبات كمال عدل الرب جل وعلا.

٣٥٤٩. فيها تنزه الله سبحانه وتعالى عن الظلم فإن عاقب فبعدله وإن أثاب فبفضله.

٣٥٥٠. فيها دلالة على أن أفعال الله تعالى تدور بين الفضل ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ والعدل ﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ ولا ظلم فيها بوجه من الوجوه ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾. ومن نظائر الآية في ثواب من جاء بالحسنة، وعقاب من جاء بالسيئة قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل ٨٩ – ٩٠] فثواب الحسنة هنا نكرة عام، وزاد فيه الأمن يوم الفزع، وهذا ترغيب عظيم، وفي الأخرى جاء الترهيب الشديد. وقوله تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤] الذي جاء بعد قوله تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] لتدل على أن التواضع وخفض الجناح والإصلاح في الأرض من أعظم الحسنات، وأن العلو والكبر والفساد في الأرض من أعظم السيئات والعياذ بالله.

٣٥٥١. فيها أسلوب بلاغي رائع وهو الالتفات من المفرد إلى الجمع.

٣٥٥٢. تشير إلى: خسران من غلبت سيئاته حسناته.

٣٥٥٣. فيها: أن الحساب يوم القيامة، بالحسنات والسيئات.

٣٥٥٤. تفيد: قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[غافر: ١٧].

٣٥٥٥. فيها: إشارة إلى: غنى الله عن طاعة العباد، وأن المعصية لا تضر إلا صاحبها؛ فلو كانت تضر الله لزادها أضعافا مضاعفة. وأما عن غناه، فلأنه ضاعف لهم الحسنات.

٣٥٥٦. فيها: رد على الجبرية.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]

٣٥٥٧. تفيد: أن النبي ﷺ مكلف ومأمور بالتبليغ؛ لقوله: ﴿قُلۡ﴾.

٣٥٥٨. فيها أن الهداية محض فضل من الله تعالى بعد بذل أسبابها.

٣٥٥٩. تفيد: حاجة الأنبياء إلى هداية الله، فنحن من باب أولى. ولعل إيثار ذكر الربوبية في قوله: ﴿رَبِّي﴾، لأن الرب هو الخالق الذي شق السمع والبصر، والمالك لنواصي الخلق، والمدبر لهذا الكون، فمن كانت صفاته هكذا، فهو يعلم ويقدر كيف يهدي عبده ويجنبه ما يشقيه، وما يحول بينه وبين الهداية.

٣٥٦٠. تفيد أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى فعلينا أن نطلبها منه؛ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

٣٥٦١. تشير: إلى شرف الهداية، وهي الغاية المطلوبة والمقصد من تشريع الشرائع كلها.

٣٥٦٢. فيها أن القلوب بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء سبحانه وتعالى؛ فمن يشأ وفقه بفضله..ومن يشأ أضله بعدله.

٣٥٦٣. فيها: اعتراف واقرار من النبي ﷺ بفضل ربه عليه؛ فالأنبياء أعرف الناس بفضل الله عليهم، وأذكرهم له، قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[النمل: ٤٠].

٣٥٦٤. في إضافة اسم الرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن العناية الربانية تحوطه، وأنه لا ينطق عن الهوى.

٣٥٦٥. تفيد: أن الأنبياء عباد مربوبون لله.

٣٥٦٦. فيها إقرار النبي ﷺ بفضل ونعمة هداية ربه له، مما يبعث على التواضع الذي هو خلقه ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى:٧].

٣٥٦٧. فيها الرد على المشككين في صحيح السنة كصحيح البخاري؛ وأنها من هدى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وطريقه المستقيم.

٣٥٦٨. فيها: أن صراط الله واحد، لا اعوجاج فيه.

٣٥٦٩. تفيد: قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[التوبة: ٣٦، يوسف:٤٠، الروم:٣٠].

٣٥٧٠. لعل: البدء بالصراط المستقيم، يشير إلى خطر الفرق والانحراف عن السنة؛ فأهل البدعة – الغير مكفرة – على الدين، لكنهم ليسوا على الصراط المستقيم: قيل لابن حنبل – وهو في الحبس –: أماتك الله على الإسلام، فقال: وعلى السنة. ولا ريب أن هذا من فقه ابن حنبل – رحمه الله –. ولأنه أخبر – صلى الله عليه وسلم – عن افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وأن جميعها في النار، إلا واحدة. مع كونهم لم يخرجوا من الإسلام (على تفصيل معروف).

٣٥٧١. تفيد مدح الإسلام وأنه دين الحق وصراط الله المستقيم والدين القيم.

٣٥٧٢. فيها: أن "الدين الاسلامي"، هو صراط الله المستقيم.

٣٥٧٣. تفيد: أن الأنبياء، دينهم واحد؛ لقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾.

٣٥٧٤. تدلّ على أن دين الأنبياء واحد، ففيها الرد على النصارى في زعمهم أن الإسلام إنما ابتكره نبينا ﷺ.

٣٥٧٥. فيها: بيان فضل وشرف نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، وكرامته على ربه؛ حيث هدى أفضل الأنبياء إلى ملته.

٣٥٧٦. فيها وجوب اتباع الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وهي أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين.

٣٥٧٧. فيها أن من أصول الحنيفية البراءة من الشرك وأهله.

٣٥٧٨. فيها أهمية إتباع السلف الصالح.

٣٥٧٩. فيها الانتساب في العقيدة لأهل السابقة والمجاهدة.

٣٥٨٠. تفيد: الاعتراف بفضل السابقين، وسبقهم إلى الحق والدين.

٣٥٨١. تفيد: جواز إئتمام الفاضل بالمفضول.

٣٥٨٢. تفيد: أن شرع من قبلنا، شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه.

٣٥٨٣. فيها الفخر بالانتساب للدين.

٣٥٨٤. فيها: شهادة الله لخليله إبراهيم - عليه السلام -، بالتوحيد وعصمته من الشرك. ولعل هذا التنبيه والشهادة، لكثرة الشرك في قومه؛ فهم عبدة للأصنام والكواكب والنجوم والشمس والقمر. وكأنه يقول: ما أشرك قط، فنحن هديناه وعصمناه.

٣٥٨٥. فيها: إقامة للحجة عليهم واستمالة لهم ولوم على مفارقة دين جدهم.

٣٥٨٦. فيها: تعريض بدين المشركين، وأنهم خالفوا من وجب عليهم اتباعه.

٣٥٨٧. فيها: أن عبادة الأصنام ليس من ملة إبراهيم وهذا رد عليهم.

٣٥٨٨. تفيد: ذم الشرك، والبراءة من أهله.

٣٥٨٩. فيها: الصدع بالمنهج الحق، والإبانة عن الاعتقاد. وهذا مما يميز أهل السنة عن أهل البدعة؛ قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: أمره تعالى بالإعلان بالشريعة ونبذ ما سواها".

٣٥٩٠. فيها: دفاع الله عن أوليائه، وأنه سبحانه يدافع عنهم ولو بعد مماتهم؛ ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

٣٥٩١. فيها أن أعظم مدح هو المدح بالعبودية لله والبراءة من الشرك.

٣٥٩٢. يُقرأ قوله تعالى ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مع ما تقدمه من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٩] مع ما تقدمهما في السورة نفسها ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣]؛ ليفيد: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٣].

٣٥٩٣. يُقرأ قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مع قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٦-٧] مع

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]؛ ليفيد أن أبا الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم من أهل النعمة، والقدوة، ومن أعظم مظاهر القدوة في تحقيق التوحيد والدعوة إليه وتحمل الأذى فيه، والميل والبعد عن الشرك، والبراءة من المشركين.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

٣٥٩٤. تفيد، وبضميمة ما قبلها: أن الدين، قول وعمل، واعتقاد.

٣٥٩٥. تفيد، وبضميمة ما قبلها: وجوب العمل لهذا الدين، وخدمته.

٣٥٩٦. فيها مع ما قبلها: أن هذه العبادات المذكورة من الدين القيم الذي هدانا الله تعالى إليه.

٣٥٩٧. تفيد العزة والقوة والوضوح في إعلان جميع شعائر الدين والاعتزاز بذلك وعدم الخوف لقوله تعالى: ﴿قُلۡ﴾.

٣٥٩٨. فيها بيان عظمة الصلاة ومكانتها من الدين.

٣٥٩٩. تفيد أن الصلاة أفضل الأعمال بعد التوحيد؛ لتقديمها في الآية؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصلاة تتناول الدعاء الذي هو بمعنى العبادة، والذي هو بمعنى السؤال. فالصلاة تجمع هذا وهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فقد فسر دعاءه بسؤاله، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فأمره تعالى أن يكون الدعاء لله والصلاة لله. (مجموع الفتاوى ٣٦٩/٢٧). وقال قبلها: وقوله تعالى: ﴿وَنُسُكِي﴾ قد ذكروا في تفسيره: الذبح لله، والحج إلى بيت الله. وذكروا أن لفظ النسك يتناول العبادة مطلقا. والله سبحانه قد بين في القرآن أن الذبح والحج كلاهما منسك: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

﴿بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾[الحج: ٣٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ذبح بعد الصلاة فقد أصاب النسك، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله".

٣٦٠٠. فيها: أن الذبح لا يكون إلا لله. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[الكوثر: ٢].

٣٦٠١. تفيد تحريم الذبح لغير الله وأنه من الشرك المنافي للتوحيد؛ وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله من ذبح لغير الله".

٣٦٠٢. تفيد: أن المشركين كانوا يصلون للأصنام، ويذبحون لها.

٣٦٠٣. تفيد الأمر بذكر اسم الله على الذبيحة؛ لأن كونها لله يستلزم أن تذبح على اسمه سبحانه، وقد تقدمت الآيات صريحة في ذلك.

٣٦٠٤. تفيد أن الذبح من أفضل العبادات المالية؛ قال السعدي: وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى.

٣٦٠٥. تفيد شرف وفضل عبادة الصلاة والذبح ودلالتها على محبة الله تعالى واخلاص العبادة له تعالى.

٣٦٠٦. فيها اقتران عبادة الصلاة بعبادة الذبح؛ لأن النسك هو الذبح على الأشهر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[الكوثر: ٢] وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير الذبح لله سبحانه وتعالى؛ قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن زيد بن أبي حبيب، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله قال: ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد بكبشين وقال حين ذبحهما: " وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

٣٦٠٧. فيها أن حياة المسلم كلها لله تعالى.

٣٦٠٨. تفيد أن الحياة ينبغي أن تكون رحلة عبودية لله تعالى كاملة.

٣٦٠٩. تفيد أن المؤمن يجعل حياته كلها لله؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾.

٣٦١٠. تفيد: الإقدام على الموت في سبيل الله.

٣٦١١. فيها: من جعل حياته لله صادقا وفقه الله لميتة مباركة له سبحانه؛ وتأمل في ذلك موت كثير من الصالحين فيمن سبق ولحق (ختم الله لنا بخير).

٣٦١٢. تفيد أهمية التمسك بالإيمان والاستمرار على العمل الصالح حتى الممات ليكون لله رب العالمين.

٣٦١٣. تفيد أهمية الحياة والعيش في سبيل الله تعالى؛ والحياة في سبيل الله أصعب وأشق من الموت في سبيل الله.

٣٦١٤. يفيد قوله: ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أن العادات باحتساب نية التقرب بها إلى الله تعالى تصبح عبادات: كأكل الطعام بنية التقوي به للعبادة، والنوم للراحة والنشاط للعبادة. وهكذا تكون الحياة كلها لله رب العالمين.

٣٦١٥. يفيد قوله تعالى: ﴿وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الوفاة على الإسلام، وهي وصية الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

٣٦١٦. تشير إلى: ضلال الكفار، وأنهم ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾[محمد:١٢]؛ لأن حياتهم ومماتهم لم تكن لله، فإن عاشوا كانوا على الكفر، وإن قتلوا ففي ﴿سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾[النساء: ٧٦]؛ وبدليل ما بعدها: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾.

٣٦١٧. تشير: إلى مخالفة الكفار، في حياتهم ومماتهم. ففيها مخالفة المشركين؛ قال ابن كثير في الآية: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

٣٦١٨. تفيد: بأن المشركين كانت حياتهم ومماتهم للأصنام أيضا؛ ودل عليه قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣] إلى الممات. ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ٦٣]. وقوله: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:٦].

٣٦١٩. تشير: إلى كرامة المؤمن على ربه، حيث جعل حياته ومماته لله وحده.

٣٦٢٠. تفيد الآية أن الحياة محكومة بالدين، وأن المسلم معبَّد لله تعالى في حركاته وسكناته، وفيه ردٌ على من يريد إقصاء الدين عن مناحي الحياة المختلفة، وحصره بين سواري المساجد في صورة شعائر تعبدية وأمور شكلية.

٣٦٢١. هذه الآية بوصلة لحياة كل مسلم في كل مسارات حياته وخطواته أن يكون منطلقها لله وحده ل اشريك له.

٣٦٢٢. فيها: من عاش حياته كلها لله فقد حقق معنى العبودية.

٣٦٢٣. فيها: عندما تتراءى أمام عينيك الحاجات وتتقاذفك الهموم وتتسابق الأولويات، لا تجعل غير هذه الاولوية يسبق، فما خلقك الله إلا لتحقيق عبوديته.

٣٦٢٤. فيها خطا قول بعضهم: (ساعة لربك وساعة لقلبك)؛ فالساعات كلها لله تعالى.

٣٦٢٥. تفيد ضلال وخسارة من يضيعون أوقاتهم وطاقاتهم في المتع والشهوات ويغفلون عن عبودية الله تعالى.

٣٦٢٦. تفيد أن العبادات هي ترجمان لما يعتقده العبد في قلبه.

٣٦٢٧. فيها: وجوب الإخلاص لله.

٣٦٢٨. تفيد منزلة ومكانة الإخلاص وأهميته في قبول وصلاح الأعمال.

٣٦٢٩. يفيد حرف الجر في لفظ الجلالة إلى مثال لعبودية القلوب، كما تشير الصلاة إلى نوع من أنواع العبادات البدنية، والنسك إلى نوع من أنواع العبادات المالية، ومن العبادات ما هو بدني ومالي، وتأخرت لام الاستحقاق ليعم الإخلاص جميع العبادات. والله أعلم.

٣٦٣٠. تفيد أن العبادات لا يكفي فيها الأداء وإنما ينبغي الاهتمام بروحها المتمثل في الإخلاص.

٣٦٣١. تفيد: أن الخالق، أحق بالعبادة.

٣٦٣٢. تفيد سبب استحقاق الله تعالى للعبودية فهو رب العالمين.

٣٦٣٣. تفيد أن الإيمان بتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

٣٦٣٤. في الآية دليل على توحيد الربوبية من وجهين:

- من: ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾ ومعناه التصرف في وتدبير أموري كلها حيا وميتا.

- ومن﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وتدل على الألوهية من وجهين:

-من ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾.

-ومن ﴿لَا شَرِيكَ﴾. وتدل على نفي الشرك والبراءة منه في الربوبية والإلهيه.

٣٦٣٥. تفيد عظمة الله وكمال غناه وقوته وقدرته فهو الخالق المدبر السيد للعالمين.

٣٦٣٦. تفيد كمال علمه جل وعلا وإلا ما كان ربا للعالمين.

٣٦٣٧. تفيد: تحريم الشرك بأنواعه.

٣٦٣٨. فيها أن تقديم الجار والمجرور في قوله ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾لإفادة الحصر والتخصيص.

٣٦٣٩. في حذف الفاعل ﴿أُمِرۡتُ﴾ لإفادة التعظيم والتفخيم.

٣٦٤٠. تفيد منزلة ومكانة النبي عليه السلام حيث جعله الله تعالى قدوة للعالمين في العبودية والخضوع لله رب العالمين.

٣٦٤١. في: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ عند حملها على الأولية المعنوية أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلى المسلمين إسلاما وأكملهم إيمانا.

٣٦٤٢. تفيد الآية التجرد الكامل والتسليم المطلق لله تعالى.

٣٦٤٣. فيها: من أراد أن يبلغ إمامة المتقين فعليه بتربية ذاته، ولن تتحقق تلك التربية وبلوغ القيادة إلا بتحقيق التوحيد وجعل هذه هي الأولوية (الأساس) في مضيه.

٣٦٤٤. جاءت هذه الآية في ختام سورة الأنعام التي تبطل اعتقادات المشركين في الأنعام لتقرر أن الأمر والتشريع كله لله تعالى.

٣٦٤٥. فيها: لا تدوم النعم بالاستكبار عن عبادة الله، وإنما الله يملي للظالم. وهذا ما قررته السورة في عدة مواطن وأكدته في آخرها بتقرير هذه الأولوية.

قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

٣٦٤٦. فيها، وبضميمة ما قبلها: الأمر بالإخلاص؛ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر:١١].

٣٦٤٧. تفيد شدة التناسب والارتباط، وتكامل المعنى مع التي قبلها حتى كأنهما آية واحدة.

٣٦٤٨. فيها: نفي الشرك وإثبات التوحيد.

٣٦٤٩. تفيد أن التوحيد نفي وإثبات، وأن الإثبات لا ينفع بدون نفي، ولذلك لابد من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله؛ فقال هنا: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾.

٣٦٥٠. في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ وجوب التخلية قبل التحلية.

٣٦٥١. تفيد أن الله عز وجل ليس له شـــريك ولا ولي من الذل لكمال ملكه وغناه عن العالمين.

٣٦٥٢. فيها: دعوة الرسل واحدة وهي التوحيد.

٣٦٥٣. فيها الدعوة الى الدين الخالص في العبادة وفي الملك والتدبير.

٣٦٥٤. فيها معنى لا إله إلا الله أي أن العبودية لله وحده.

٣٦٥٥. فيها أن تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك طريق لتحقيق كمال الإسلام لله.

٣٦٥٦. قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ يفيد البراءة من الشرك على العموم والخصوص، فعلى الأول البراءة من جميع مظاهر الشرك ومن أصحابه، وعلى الثاني تخليص عمل العامل من الشرك مدة الحياة إلى الممات كما تقدم في الآية التي قبلها.

٣٦٥٧. اسم الإشارة للبعيد مع قرب المشار إليه دل على علو الدين ورفعة مقامه.. وكذا مقام الحاملين له..

٣٦٥٨. فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم عبد مأمور من ربه عز وجل؛ ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾.

٣٦٥٩. قوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ لما نص على الأمر دل على أن القيام بالتوحيد والحذر من الشرك من الواجبات وعزائم الأمور.

٣٦٦٠. أمرت.. تظهر فيها عبودية نبينا عليه الصلاة والسلام.. فهو عبد مكلف.. لا إله مكلف.. ففيها رد على غلاة المتصوفة..

٣٦٦١. قوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ يرتبط بما تقدم من قوله﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾الآية، ويرتبط بآخر الآية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، ويرتبط بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] كما دلت على كمال القدوة والأسوة بالنبي ﷺ ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١].

٣٦٦٢. ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم محاسب ومسؤول كبقية البشر ويؤيده ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾[المائدة: ١٠٩] ففيها رد على اعتقاد أنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة.. ويفهم منهما معا أن الآمر مديرا كان أو مربيا أو والدا لا بد له من متابعة ومساءلة المأمورين وما يترتب على ذلك.. وإلا كانت إدارته فوضى.. وتربيته فاشلة.

٣٦٦٣. حذف الفاعل للعلم به ولإرادة إبراز المأمور به لا الآمر.. وفيه فضيلة التوحيد ونبذ الشرك..

٣٦٦٤. تفيد: التحذير من الإحداث في الدين، وأن العبد لا يأتي - تعبدا - إلا ما أمر به؛ لقوله: ﴿أُمِرْتُ﴾.

٣٦٦٥. فيها: مشروعية قول الرجل: أنا أول من سبق إليه، أو فعل هذا الخير، ونحوه. كما قال أبو ذر رضي الله عنه: فكنت أول من حياه بتحية الإسلام. رواه مسلم. وكقول سعد - رضي الله عنه -: أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله. أصله عند البخاري. وعليه: فلا يكون مثل هذا من التسميع المنهي عنه مطلقا. قال النووي في المنهاج: قَوْلُهُ: (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى) فِيهِ مَنْقَبَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ وَجَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَقَدْ سَبَقَتْ نَظَائِرُهُ وَشَرْحُهَا.

٣٦٦٦. تفيد: أن إسلام كل نبيّ متقدّم لإسلام أمّته.

٣٦٦٧. فيها أنه عليه الصلاة والسلام أول المستسلمين لله عز وجل من هذه الأمة ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٣٦٦٨. فيها: أهمية الإسلام، وشرف المسلمين. فعلى العبد أن يتذكر هذه النعمة، ويحمد الله عليها.

٣٦٦٩. تفيد: أن الإسلام يرد ومعناه: الإيمان.

٣٦٧٠. فيها: بيان فضل الأنبياء، وأنهم أول الناس استسلاما لربهم وأسبق الخلق وأسرعهم للخيرات. وعليه: فينبغي الاقتداء بهم في المسارعة في الخيرات، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء: ٩٠].

٣٦٧١. تفيد فضل السبق إلى الإسلام والخير.

٣٦٧٢. يفيد قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ تحريك همة المسلمين وشحذها ليسابقوا في الخيرات، ويسبقوا الأمم في كل المجالات، فيجمعوا ما بين القوة في الدين والدنيا.

٣٦٧٣. تفيد فضل الإسلام وفضل السابقين إليه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٣٦٧٤. لازالت السورة تقرر التوحيد، وتنكر على أهل الشرك، وتتوعد كل من يجنح إلى غير الله، وأن الله يكل المشركين إلى شركائهم، وبعد طول الإمهال سيرجعون إليه، فيخبرهم بالحق في مخالفتهم الشرع.

٣٦٧٥. تكرار ﴿قُلْ﴾ في هذه الآيات يدل على أهمية التلقين في تقرير العقيدة الصحيحة، وأن القول والنطق من الإيمان؛ قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

٣٦٧٦. الاستفهام في قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ إنكاري توبيخي يحمل في طياته غاية الذم والتوبيخ للمشركين.

٣٦٧٧. تفيد: أن المشركين يدعون لعبادة غير الله، كما قال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

٣٦٧٨. تفيد: أن الاعتراف بالجميل والعمل بمقتضاه، مطلب شرعي، وكأنه يقول: أفغير الله، أطلب ربا سواه، وهو رب كل شيء، يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري. ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣٦٧٩. فيها من دلائل الربوبية ربوبيته لكل شيء وعدله وبعثه لخلقه وعلمه بما عملوه وحسابهم.

٣٦٨٠. فيها التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن الرب الخالق هو الإله الحق لا إله إلا هو.

٣٦٨١. فيها: الذود عن التوحيد.

٣٦٨٢. تفيد عموم ربوبية الله تعالى لكل شيء؛ فهو رب كل شي ومليكه.

٣٦٨٣. تفيد: قوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وكأنه يقول: أغير الله أتخذه ربا، وهو صنعة الله، وكيف أتخذه ربا وهو يسبح بحمده أصلا؟!؛ إذ الكل يسبح بحمده وخلقه وصنعته.

٣٦٨٤. فيها: عدم صرف العبادة أو شيء منها لغير الله؛ لأنه الواحد في الخلق، فوجب توحيده في العبادة.

٣٦٨٥. فيها: الأمر بإخلاص التوكل على الله. أفاده الطبري.

٣٦٨٦. فيها تفويض الأمر لله عز وجل وصدق التوكل عليه حيث هو الإله الحق وهو رب كل شيء والكل مذعنون له منقادون لأمره والكون كله في قبضته.

٣٦٨٧. فيها هداية كلية، بل من هدايات كتب الله عز وجل جميعا؛ وهي: لا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثمه عليه، ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة؛ قال تعالى ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤٢].

٣٦٨٨. فيها تتجلى عدالة الله عز وجل حيث لا تحمل نفس خطيئة غيرها.

٣٦٨٩. في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ ردّ على النصارى في معتقدهم تحمّل المسيح خطايا البشر.

٣٦٩٠. فيها رد وتكذيب للكفار القائلين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

٣٦٩١. تفيد: قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[فاطر: ١٨].

٣٦٩٢. تشير: إلى الحث على الخيرات، وترك المنكرات، لقوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: قال السعدي: من خير وشر.

٣٦٩٣. فيها: رد على الجبرية.

٣٦٩٤. فيها: عدل الله تعالى.

٣٦٩٥. فيها: الإيمان بالبعث.

٣٦٩٦. فيها بيان الرجوع الى الله عز وجل ومصير الخلائق جميعا إليه فيقضي بينهم بعدله ويحسن إليهم برحمته ويتلطف إليهم بفضله وكريم عفوه.

٣٦٩٧. فيها: كما علمه، وإحاطته، وتفيد قوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طه: ٥١-٥٢].

٣٦٩٨. تفيد أن الله عز وجل يحكم بين الناس في كل ما اختلفوا فيه؛ قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

٣٦٩٩. الآية فيها إشارة إلى ذم الاختلاف والتفرق؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥].

٣٧٠٠. تفيد: أن الاختلاف سنة كائنة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

٣٧٠١. فيها: مناسبة لما قبلها، وكأنه أراد أن يبين أفعال الرب والمالك لعباده، الذي اتخذه ربا ومعبودا - سبحانه -.

٣٧٠٢. فيها: تعريض بمعبودات المشركين؛ وأنها لا تجعل شيئا وأنها عاجزة تمام العجز؛ لقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ حصر.

٣٧٠٣. في أسلوب القصر الذي افتتحت به الآية دلالة على أنّ الله تعالى وحده هو المتصرف في هذا الكون والمدبر له وأنه المسبِّب لهذه الأسباب الظاهرة للناس في الدنيا.

٣٧٠٤. فيها: أن الخلق خلقه، وأن الأمر أمره؛ فهو يفعل ما يرد؛ لقوله: ﴿جَعَلَكُمْ﴾، فلو شاء لم يجعلكم خلائف ولا درجات، و لكنه ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[الرعد: ٤١].

٣٧٠٥. تفيد: أن الدنيا، دار ممر لا دار مقر؛ لقوله: ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾. وعليه: فيجب الاستعداد ليوم النقلة، وعدم الاغترار بالدنيا؛ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨١].

٣٧٠٦. تفيد تكريم بني آدم حيث جعلهم الله تعالى خلائف الأرض أي يخلف بعضهم بعضا.

٣٧٠٧. تشير: إلى الإعمار في الأرض، وعدم الإفساد فيها.

٣٧٠٨. فيها: منة الله على بني آدم، خصهم وجعلهم ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾، ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[الزخرف: ٦٠].

٣٧٠٩. تفيد: قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

٣٧١٠. تشير: إلى الحياة السرمدية، بعد الحساب؛ لأنه جعلهم ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[يونس: ١٤] للابتلاء، فإذا جاء الحساب، لا خلافة بعده ولا امتحان؛ "يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت". أو كما في الحديث.

٣٧١١. فيها: شفاء للقلب من مرض العجب والغرور؛ فإن الذي رفع هو الله وحده، ومن رفع فهو قادر أن يضع؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء.

٣٧١٢. فيها: طمأنينة وشفاء للقلب من الحسد؛ وكما قال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]. والمعول عليه في ذلك كله، السبق إلى الله؛ قال الله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

٣٧١٣. تفيد: أن الناس منازل، وذكر عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم.

٣٧١٤. تفيد: أن ما في أيدي الناس، إنما هو عطاء الله؛ فوجب العمل بمقتضى ذلك؛ لقوله: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] جعلك تقتني. ففيها: رد على قارون – لعنه الله –، لما قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

٣٧١٥. تفيد: أن الدنيا، مبنية على الابتلاء، ونحوه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

٣٧١٦. فيها: أن الكل مختبر، فأغنى الغني امتحانا، وأفقر الفقير كذلك.

٣٧١٧. فيها: أن الله تعالى، لا يفعل شيئا إلا لحكمة؛ لقوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾، فاللام للتعليل.

٣٧١٨. فيها: دعوة لأهل العلم والجاه، أن يتواضعوا؛ فلو شاء الله ما علم هذا العالم ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء: ١١٣]، ولو شاء لنزع الجاه من أصحابه ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[آل عمران: ٢٦].

٣٧١٩. تفيد: حث النفس على الدعاء، برفع الدرجات، والتوفيق في هذا الاختبار في المحنة والمنحة ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ [النمل: ٤٠]. وقد علم أنه لا يرد القدر إلا الدعاء، فما تدري لعله رفعك بدعائك، وإن كنت عنده وضيعا.

٣٧٢٠. تفيد: اللجوء إلى الله في قضاء الحوائج.

٣٧٢١. تفيد: لزوم الصبر والشكر؛ يشكر الفاضل ويصبر المفضول.

٣٧٢٢. تفيد: أن الرفيع والوضيع كلاهما يصدر منه ما يستوجب عقاب الله ومغفرته ورحمته؛ فالجنة والنار فيهما من كلا الصنفين.

٣٧٢٣. تفيد: الإيمان بالحساب والبعث؛ لأن من ابتلي وامتحن فلابد أن يحاسب على نتيجة هذا الاختبار؛ ولذا قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

٣٧٢٤. فيها: أنه يحسُن بالمربّي أو الأب اختيارُ الكلمات الإيجابية، وتَرْكُ الكلمات السلبية؛ فقولُ الأب لابنه: (كن صادقا)، أفضل مِن قولِ:(لا تكن كاذبا) إلا في أحوال. ففي الآية

الكريمة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ دُونَ قولِ (وخفض بعضكم عن بعض) وإنْ كان يستلزِمِ مِن رَفْعِ البعض خَفْضُ البعض الآخر. والله أعلم.

٣٧٢٥. تفيد التفاوت بين العباد في الدنيا من أجل الابتلاء ولذلك أمرنا بالصبر عند الضراء والشكر عند السراء.

٣٧٢٦. تشير: إلى كمال قدرة الله وحكمته، حيث جعل كل هؤلاء الخلق - على كثرتهم التي لا يحصيها إلا هو - متفاضلين، على درجات ورتب؛ بحيث يتحير العقل ولا يسعه إلا التسليم لخالقهم. قال الشافعي: ومن الدليل على القضاء وحكمه، بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق.

٣٧٢٧. فيها: رد على الاشتراكية والشيوعية. وأين هم الآن؟، أذلهم الله وأخزاهم. فلا تستقيم الحياة إلا بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾، فلما نازعوا الله أمره، سلط الله عليهم بقية العالم فرموهم في مزبلة التاريخ.

٣٧٢٨. فيها: قد تعلو غيرك، وقد يعلوك حينا آخر، ليبتليه الله بك، ويبتليك به، والصبر هو سبيل النجاة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

٣٧٢٩. فيها: تشريف وتودد من الله لنبيه؛ ﴿رَبَّكَ﴾.

٣٧٣٠. تفيد التخويف من المعاصي؛ لأن الله سريع العقاب.

٣٧٣١. تفيد: أن كل ما هو آت قريب، لقوله: ﴿سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، وإن تأخر في أعين الناس، إلا أنه عند الله قريب؛ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]، وكما قال: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، أي اقترب ما مضى وقوعه؛ ولذا كان من جمال الآية، ختامها بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فذكر المغفرة والرحمة، وأكد ذلك باللام المؤكدة؛ وكأنه يقول: بادروا بالتوبة من قريب، لأنه سريع الحساب؛ وقبل أن يفجأكم حسابه.

٣٧٣٢. تفيد الحث على المسارعة إلى التوبة خصوصا بعد المعصية؛ لقوله: «وإنه لغفور رحيم».

٣٧٣٣. فيها: ليس الشأن أن يسترك فحسب، بل الشأن أن يسترك ويرحمك؛ لقوله: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فكم ممن مستور معذب.

٣٧٣٤. فيها: محبة الله للستر على عباده.

٣٧٣٥. تفيد: أن رحمة الله، غلبت غضبه.

٣٧٣٦. في إدخاله لام التأكيد في قوله ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعدم ذلك في قوله ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه. قال أبو حيان في البحر- رحمه الله -: ولَمّا كانَتْ جِهَةُ الرَّحْمَةِ أرْجى أكَّدَ ذَلِكَ بِدُخُولِ اللّامِ في الخَبَرِ ويَكُونُ الوَصْفَيْنِ بُنِيا بِناءَ مُبالَغَةٍ ولَمْ يَأْتِ في جِهَةِ العِقابِ بِوَصْفِهِ، بِذَلِكَ فَلَمْ يَأْتِ إنَّ رَبَّكَ مُعاقِبٌ وسَرِيعُ العِقابِ مِن بابِ الصِّفَةِ المشَبَّهَةِ. فإذا استقر هذا، فينبغي أن يجتهد العبد في الدعاء بالرحمة، حتى إذا كاد العذاب أن يحل به، أدركته الرحمة. ولذا أخطأ الرجل لما قال: اللهم إن كنت معاقبي بذنبي في الاخرة، فعجل لي في الدنيا"؛ والصواب أن يقول - إن كان ولا بد -: إن كنت معاقبي، فاغفر لي وارحمني. وخير من ذلك كله ارشاد النبي ﷺ لما قال: هلا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنه وفي الآخره حسنه".

٣٧٣٧. تفيد إثبات صفتي، المغفرة والرحمة لله - جل ذكره -.

٣٧٣٨. الجمع بين الترغيب والترهيب في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ ليكون سير العبد في حياته إلى الله تعالى بين خوف ورجاء، خوف من ذنوبه، ورجاء لرحمة ربه.

٣٧٣٩. تفيد: عدم الاغترار بحلم الله، والأمن من مكره.

٣٧٤٠. فيها: مهما ارتقيت في المناصب، ومهما ارتفعت في الدرجات، فلا تنس أنها ابتلاء من الله، لينظر كيف تعمل، إن كفرت فإنه سريع العقاب، وإن شكرت فإنه غفور رحيم.

٣٧٤١. فيها: تخويف للرفيع، ومواساة للوضيع؛ وكأنه يقول: ليعلم الرفيع أن الله فوقه وأعلى منه؛ ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، أعلى منك أيها الباغي فلا تبغي، ولا تتجبر. ومواساة للوضيع، وكأنه يقول: قد حكمت بما

أنت فيه، وأعلم أنني الرحيم، فما حرمتك إلا لأعطيك، فما عليك إلا أن تصبر حتى تلقاني – وهو قريب، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. دل على ما ذكرته أعلاه، تذييل الآية البديع، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾. والله أعلم.

٣٧٤٢. تفيد أنه لا يهلك على الله إلا هالك.

٣٧٤٣. في مناسبة أول السورة مع آخرها: تخويف للمشركين الذين هم بربهم يعدلون؛ ببيان أن الله عز وجل سريع العقاب، وحث لهم على التوبة والإيمان ببيان أنه غفور رحيم؛ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

٣٧٤٤. لعل افتتاحها بالحمد، وختامها بالرحمة يفيد أن حمد الله من أسباب رحمته ومغفرته، ويفيد بأنه سبحانه أهل الحمد والمغفرة، والله أعلم.

وبهذا تمت سورة الأنعام في ٣٧٤٤ هداية

بتاريخ ١٠/٧/١٤٤٠هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور أحمد خليفة

ودكتور يوسف عبد الله